

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 بن يوسف بن خدة

قسم : علوم اللسان

كلية الآداب واللغات

ألفاظ الأرض في القرآن الكريم و الدراسات

العلمية الحديثة

- دراسة وصفية دلالية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير

تخصص: معجمات ومصطلحات وترجمة

إشراف أ، د:

فاطمة ولد حسين

إعداد الطالبة:

سحوان حياة

السنة الدراسية: 2012م-2013م

الإهداء

قال عز وجل: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾

إلى التي غمرتني بحبها وحنانها وفتحت لي قلبها ليكون منبع فرحي وإلهامي، وإلى التي أذهلتني بروعتها وقوة صبرها.

أمي الغالية حفظها الله ورعاها لنا

إلى من كان عوني وسندي في مشواري الدراسي الطويل، والذي علمني الصبر في الشدائد والإصرار في نيل المطالب.

أبي الغالي حفظه الله وأدامه لنا

إلى من كُنَّ كالنجوم الساطعة والنسيم العليل: أخواتي العزيزات وأزواجهن وأولادهن.

إلى من كانوا معي في السراء والضراء كجنود الخفاء: إخوتي الأعراء وأزواجهن وأولادهن.

وإلى كل من يعرفني من قريب أو بعيد أهدي له هذا العمل المتواضع الذي لا يكاد أن يكون

إلا قطرة صغيرة في بحر البحث العلمي، كما أسأل الله تعالى أن تعمَّ فائدته ويجعله في ميزان

حسناتنا.

حياة

شكر و عرفان

قال تعالى:

﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾
(ابراهيم الآية 7)

أولا أحمد الله عزّ وجلّ وأشكره، وأعترف بفضله عليّ ولا أنكره، وأدعو الله أن أكون ممن يستمع القول فيتبع أحسنه.

ثم أتوجه بأسمى عبارات الشكر والعرفان بالجميل لأستاذتي المشرفة "فاطمة ولد حسين" والتي لم تبخل علينا يوما بوقتها وجهدها، فتقبلي منا فائق الاحترام والتقدير.

ولا يفوتني أن أشكر جزيل الشكر كل العاملين بقسم "علوم اللسان" بداية من رئيسها الأستاذ "عبد المجيد سالمى" إلى أصغر عامل بها وأخص بالذكر "نجاة" التي لطالما كانت لنا عوناً في السراء والضراء.

ولا يمكنني أن أنسى "قسم الأدب" الذي كان أول بيت احتضنني في مشواري الدراسي الجامعي، وأخص بشكري كل العاملين بالمكتبة على رأسها الأستاذ "بيدي" الذي لم يبخل علينا يوماً بعونه وإرشاده.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد وشجعني على إتمام هذا البحث المتواضع رُغم الصعاب والعثرات التي مررنا بها.

وأخيراً أحمد الله وأشكره الذي وفقنا لإتمام هذا البحث وما توفيقى إلا بالله العلي العظيم.

مقدمة

تعد الدراسات اللغوية من أكثر الدراسات تطبيقاً في النصوص عموماً والنص القرآني خصوصاً، ومنها الدراسة الدلالية التي تعتمد أساساً تحديد معاني اللفظ القرآني الوارد في سياقاته المتعددة لرصد المعاني المشتركة (المؤتلفة) والمتضادة (المختلفة)، ولهذا الغرض حاولنا قدر المستطاع إخضاع هذه المدونة القرآنية لوصف بعض نماذجها وتحليلها فتأسست إشكالية بحثنا على التساؤل التالي:

هل يمكن قراءة هذه الظاهرة القرآنية بمنهج لغوي صرف ينطلق مبدئياً من تحديد المصطلح وذلك اعتماداً على مقارنة النظريات اللسانية الحديثة، ثم تحليله تحليلًا معجمياً سياقياً ودلالياً واضعاً المفردة في إطارها المعجمي والصرفي والإشتقائي ثم في إطارها السياقي؟

وقد تركزت هذه الإشكالية في حقيقة الأمر على تساؤلات فرعية أخرى وهي:

- أنتغير البنى اللغوية للألفاظ بتغير دلالة النص القرآني، ومن ثم يصبح للدال مقومات وجوده النصي التي لا يؤديها غيره؟

- هل يمكن الإستعانة بالمستويات اللغوية المختلفة لتحليل هذه النظرية؟

- وما سر اختيار الخطاب القرآني مفردة دون أخرى في تركيبين أو تراكييب متشابهة إن لم تكن شبه متطابقة تتحدث عن موضوع واحد؟

- ما مدى ليونة المفردة القرآنية وتعايشها مع السياقات؟ ومن ثم كيف تتفاعل المفردة مع السياق - بأنواعه - لتشكيل دلالة النص وكيف تستجيب الأولى (المفردة) للثاني (السياق)؟

- وكيف يمكن للسياق أن يتحكم في اختيار المفردة والبنية اللغوية كلها؟

- هل للطاقت الدلالية الكامنة في المفردة القرآنية أن تقدم للنص دلالات جديدة؟

- ما مدى مصداقية الفكرة القائلة بترادف الألفاظ عموماً واللغة القرآنية خصوصاً؟

على أرضية هذه التساؤلات انبنى هذا البحث الموسوم:

ألفاظ الأرض في القرآن الكريم

والدراسات العلمية الحديثة

– دراسة وصفية دلالية –

فأول ما قمنا به هو اختيار أو بالأحرى انتقاء عينة من المدونة القرآنية لدراستها في هذا البحث. ولهذا اعتمدنا في بحثنا المنهج الوصفي الدلالي، مستعينين عند الحاجة بالمنهج المقارن لاستنتاج جوانب الإتفاق والإختلاف بين آراء كل من اللغويين والمفسرين وعلماء الجيولوجيا.

وإن مادفنا وحفزنا لاختيار هذا الموضوع دوافع متعددة أهمها:

- شغفنا الكبير بالقرآن العظيم باعتباره منهج دين ومقصد دراسة وتحليل، فبعد أن كان ملاذ العلماء واللغويين لاكتشاف إعجازه البياني، أصبح الآن مصدرا لاستظهار إعجازه العلمي من خلال أهم الإشارات العلمية التي صورها القرآن الكريم تصويرا مُعجّزا.

- اختيارنا لألفاظ القرآن الكريم - رغم إدراكنا صعوبة هذا المجال - يعود لاطلاعنا على بحوث سابقة اهتمت بدراسة جوانب أخرى غير جانبه اللغوي فاقتصرت على إبراز الدلالات المتفرقة، التي جعلتنا ندرك أن لكل لفظ مقام وسياق يناسبه لا يناسب غيره رغم اتفاقهما أو اشتراكهما أحيانا في المعنى نفسه، فوجود بعض الصفات المميزة في لفظ معين دون سواه تجعله يتلائم مع ذلك السياق وأحيانا يختص به، حيث أنه إذا ذكر توجهنا مباشرة بفكرنا إلى سياقه الوارد فيه.

- إن وقوفنا عند دلالات اللفظ الواحد في مجالات متعددة تجعلنا حائرين في اختيار الدلالة الأقرب إلى الذهن، ولكننا إذا حاولنا التقريب بين هذه المعاني التي تبدو أحيانا مختلفة وأحيانا أخرى متشابهة استطعنا الحصول على دلالة عامة للفظ، وبالتالي إنشاء جسر تواصل بين هذه المدلولات.

- إن محاولة الإنزياح بالصور البيانية للألفاظ في نظامها الإستعاري إلى لب الدراسة الدلالية يعد هدفا أساسا لاكتشاف قدرة المفردة الإبداعية وإسهامها في تحديد جماليات النص القرآني، ومن ثم استنتاج كيفية تفاعل البنية اللغوية مع السياق.
- وبناء على ما سبق ذكره سنحاول أن نسهم ولو بجهد ضئيل في التجسيد الفعلي لإعجاز القرآن اللغوي مقارنة بالاكشافات العلمية الحديثة وفق منهج علمي وممارسته اللسانية.
- وتأسيسا عليه حددنا هدفا لهذه الدراسة وهو الوقوف على ظاهرة لسانية تثبت لنا جدلية " المفردة والسياق " وتدعيمها بالاكشافات العلمية الحديثة لتحديد دلالة النص القرآني.
- وتقدما لكل هذه الفصول التطبيقية كنا نعرض النماذج بحسب ترتيبها في المصحف وتقديم النموذج - التركيب- الذي وقع فيه اللفظ ثم تحليله.
- فقد فرضت علينا طبيعة الموضوع التعامل معه بمناهج متعددة من بينها " المنهج الإحصائي " ومن خلاله أحصينا مواضع هذه الظاهرة وصنفناها، وقد اتخذنا في ذلك معايير عديدة أثناء الإحصاء، وباختصار هي:
- اعتمدنا المعاجم المفهومة لألفاظ القرآن متبعين في ذلك مواضع المفردات ومن ثم رصد التشابه فيما بينها وكنا نعود في ذلك بالتوازي إلى المصحف الشريف.
- العودة إلى كتب التفسير المختلفة للتحقق من دلالة الآية الكريمة.
- رتبنا النماذج في المدونة حسب الحقول الدلالية العامة والفرعية، وذلك حسب ترتيب السور في المصحف.
- اقتصرنا على إيراد مواضع الألفاظ في الآية دون أن تنقل هذه الأخيرة كاملة.
- عزونا الآيات بالأرقام إلى سورها معتمدين في ذلك الرسم العثماني.
- وقد اتبعنا في منهجنا التحليل اللغوي للألفاظ ثم الإصطلاحي وشفعناه بأراء المفسرين والعلماء لسياق السورة العام.

كما استعنا بالمنهج الوصفي الدلالي الذي يفيدنا في الوقوف على الآيات التي وقعت فيها الألفاظ ، والتحليل الذي ربطنا من خلاله العلاقة بين المفردات والنصوص الواردة فيها من خلال تفاعلها مع المعطيات الخارجية، ومن خلاله يتجلى دور التحليل النصي في بيان وظيفة السياق في توظيف المفردات وفهم النص ومن ثم استعنا بالمقارنة العقلية لاستخراج أوجه الشبه والإختلاف بين ظواهر البحث أو عناصره، وقد توسعت عملية المقارنة لتشمل معنى المفردة الواردة في القرآن الكريم وما توصل إليه البحث العلمي الحديث من خلال اكتشافاته القيمة لتوضيح دلالات المفردات والتأكيد على ما جاء به القرآن من قرون مضت.

ولا تفوتنا الإشارة الى إفادتنا الكبيرة من أهم المصادر والمراجع التي توفرت لدينا في علوم اللغة وعلم التفسير وعلى رأسها المصحف الشريف "برواية حفص عن نافع".

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة كتب التفسير خصوصا التي أظهرت جانب الإعجاز في القرآن الكريم، إضافة إلى كتب علمية تساعد في توضيح الظواهر الطبيعية الكونية مفصلة ودقيقة تتناسب ودقة ألفاظ القرآن الكريم، وقد دعمناها بكتب اللغة والتفاسير سواء التي نقلت إلينا بما أثر عن الرسول(صلى الله عليه وسلم) والصحابة التابعين مثل:

" تفسير الطبري" و"تفسير ابن كثير" وغيرهما، أما ما صنف من التفاسير بالدراية التي تعتمد اللغة بشكل واضح ومنها: " تفسير الكشاف للزمخشري" و" تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي".

ومن التفاسير الحديثة التي تعتمد هذه الدراسات إضافة إلى الإكتشافات العلمية الجديدة نذكر منها: " تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور" وغيرها من المؤلفات.

واقترضت الدراسة أن يكون البحث في ثلاثة فصول سبقها مدخل وتوجتها خاتمة ثم تلتها قائمة لأهم المصادر والمراجع وفهرس للمحتويات وملحق.

أما المدخل فتحدثنا فيه عن ماهية علم الدلالة لغة واصطلاحا مبرزين فيه أهم آراء اللغويين القدامى والمحدثين.

وسبب اختيارنا الحقل الدلالي للفظ الأرض يعود لميولنا اللغوي بهدف دراسته دراسة دلالية محضة، فكان لا بد من توضيحه للكشف عن علاقة التفسير العلمي للقرآن الكريم بالإعجاز العلمي قصد إجلاء عنصر التأثير والتأثر بينهما.

ويتلو المدخل **الفصل الأول** وهو منطلق الدراسة التطبيقية، فبدأناه بالعينة من خلال إحصاء مواضع الظاهرة ودراستها لنعرض الجداول التي خرجنا بها من عملية الإحصاء وقد تعمدنا تقديمها في ثنايا البحث بدل وضعها في ملحق لأنها من أهم أعمال البحث ومراحله، وقد استغرقت منا جهداً وعناء ووقتاً كبيراً وصنفناها حسب حقول دلالية عامة وفرعية وفق ما تقتضيه دراسة الحقول الدلالية، فكان كالتالي:

1- الحقل الدلالي العام: المتمثل في لفظ الأرض وذلك باستظهار بعض الآيات (السياقات) التي ورد فيها وصف لخلق الأرض.

2- حقل دلالي فرعي: يتعلق بلفظ الجبال.

3- حقل دلالي فرعي: آخر يتعلق بلفظ البحار.

واقصرنا في بحثنا على دراسة هذين الحقلين الفرعيين لعلاقتها الكبيرة بحقل الأرض عموماً في أثناء خلقها وبعده، فلولا الجبال الراسيات لما ثبتت الأرض وقرت ولولا البحار لما عرفت الأرض بالكوكب الأزرق.

وعلى هذا الأساس يكون **الفصل الثاني** مخصصاً لدراسة لفظ الأرض دلالة من خلال استخراج كل السياقات التي وردت فيها مشاهد مُعجزة عن خلق الأرض.

وتمت دراسة هذا اللفظ باستظهار المعنى المعجمي ثم الاصطلاحي بجانبه:

التفسيري والعلمي الحديث لاستنتاج أوجه التشابه والاختلاف بين الآراء بالدراسة والتحليل.

لننتقل بعدها **للفصل الثالث** الذي قسمناه إلى مبحثين:

الأول منه: خصصناه لدراسة دلالة لفظ الجبال، والذي تضمن:

أ- تعريف لفظ الجبل لغة واصطلاحاً.

ب- تحديد السياقات التي ورد فيها خلق الجبال.

ج- سياقات حركة الجبال.

د- سياقات ألوان الجبال.

أما الثاني: فقد عنوانه بـ " الدراسة الدلالية للفظ البحار " حيث فرض علينا تتبع الخطوات نفسها، فحددنا السياقات التي ورد فيها ذكر لتفجير البحار المالحة والعذبة وتسجيرها من خلال زوال البرزخ الذي كان يمنع اختلاطهما.

وكنا نختم كل دراسة دلالية للفظ من الألفاظ باستنتاج أو خلاصة تضمنت أوجه الاتفاق والاختلاف بين الآراء لتحديد دلالة اللفظ تحديدا دقيقا.

وفي الأخير أنهينا البحث **بخاتمة** تشمل حوصلة لكل ما ورد سابقا محاولين قدر المستطاع استنباط أهم النتائج والإقتراحات التي أسفر عنها البحث ثم شفعاها **بقائمة للمصادر والمراجع** وفهرس **لمحتويات البحث** ثم أضفنا **ملحقا** خاصا بمشاهد حقيقية توضح دلالة اللفظ **المُعجزة** التي ذكرها القرآن الكريم وكشفت عنها الدراسات العلمية الحديثة.

وكأي باحث في دروب البحث اعترضت سبيلنا كثير من الصعاب وأي صعب يضاهي التعامل مع النص القرآني، خاصة إذا تعلق الموضوع بباب دقيق من أبواب علم التفسير حيث تتجاذبه علوم أخرى تتطلب كفاءة وفطنة في تحديد الفوارق الدلالية بين المفردات يظن أنها من المترادفات.

إضافة إلى ذلك مشقة إحصاء مواضع الظاهرة و طول مدته لما تستدعيه من تركيز ودقة وحيطة من الوقوع في الخطأ، وهذا بالرجوع في كل مرة إلى المعاجم المفهومة لألفاظ القرآن الكريم وكتب التفسير.

وختاما نسأل الله عزّ وجلّ أن يشملنا بتوفيق منه وسداد على الرغم من نقائص هذا العمل وثغراته، والشكر لله أولا وأخيرا ثم لأستاذتنا المشرفة " فاطمة ولد حسين " التي لطالما شجعتنا وحفزتنا لإتمام هذا البحث كي يرى النور في الأخير. فوجدنا فيها التواضع ورحابة الصدر والجدية في تقديم أهم التوجيهات والنصائح، فلك منا فائق التقدير والاحترام والاعتراف بالجميل، كما نتقدم بجزيل الشكر والإمتنان والتقدير إلى لجنة المناقشة لتحملها عناء قراءة هذا البحث وتفضلها بالموافقة على مناقشته.

مدخل

1- علم الدلالة

2- التفسير العلمي وعلاقته
بالإعجاز العلمي

1- علم الدلالة:

أ- الدلالة لغة:

الدلالة في اللغة العربية مصدرها دل، بمعنى أرشد وهدى، فالدليل هو المرشد والهادي « والدليل ما يستدل به والدليل الدال وقد دله على الطريق يدلّه دَلالة ودِلالة ودُلولة، والفتح أعلى»⁽¹⁾.

« ودل: دله على الطريق، وهو دليل المفازة وهم أدلاؤها، وأدلت الطريق اهتديت إليه»⁽²⁾.
والحاصل أن الدلالة يدور معناها اللغوي حول الإرشاد والهداية.

ب- الدلالة اصطلاحاً:

أورد " الجرجاني " كلاماً جامعاً عن الدلالة في الاصطلاح المشترك بين علماء الشريعة واللغة والمنطق حيث يقول فيه أن: « الدلالة هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول»⁽³⁾.

والدلالة أيضاً « ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة والعقود في الحساب»⁽⁴⁾.

وهذا يؤدي إلى أن " الدال " و " المدلول " والعلاقة التي تربطهما " الدلالة " من المسائل اللغوية التي شغلت حيزاً كبيراً من جهود علماء العرب والغرب، ويتساءل في هذا المقام " طنطاوي محمد دراز " عن ماهية الدلالة وعن علاقتها بالألفاظ والمعاني قائلاً: « فما الدلالة ؟ وتدور هذه اللفظة كثيراً عند علماء اللغة بإزاء المعاني الناتجة عن الألفاظ، أو التي تدل عليها وترمز إليها »⁽⁵⁾.

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة 1، مادة (دل).

2- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، لبنان، طبعة 1، 1998، ج 1، ص 295.

3- الجرجاني (بن محمد الشريف)، التعريفات، مكتبة لبنان بيروت، طبعة جديدة، 1990، ص 109.

4- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (مجمع البيان الحديث)، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1984، ص 322.

5- طنطاوي محمد دراز، في أصول اللغة، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة، (د- ط)، 1985، ص 192.

1-1- الدلالة عند اللغويين القدامى:

لم يكن البحث اللغوي مقتصرًا على فئة معينة من العلماء والباحثين ولا بمدة زمنية محددة فاللغة مرآة تعكس ثقافة كل مجتمع ولم يقتصر البحث في النشأة اللغوية على علماء اللغة في العصور القديمة فقد « تناوله أيضا فلاسفة اليونان والمتكلمون وأهل الأصول من علماء العرب بل حتى بعض الملوك القدماء»⁽¹⁾.

وقد ظهرت جليا الجهود اللغوية لعلماء العربية في مقدمات الأصوليين « وربما كان الأصوليون المسلمون في هذه الفترة الباكرة من دراسة اللغة أكثر تنبهاً وأنفذ إدراكاً لمشكلة المعنى وأثرها في فهم المضمون وتحديد المستوى الفكري الذي يدل عليه»⁽²⁾، حيث اهتم الأصوليون اهتماما كبيرا بدراسة اللفظ دراسة مصطلحية بأبعادها المعجمية والسياقية والدلالية وهذا ما ذكره "عبد الحميد العلمي" في دراسة مقارنة لمسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين حيث يقول: « لا نستبعد أن دراسة اللفظ عند الأصوليين استوعبت جهود اللغويين والنحاة والبلاغيين، وظهر تألقهم أكثر في انكبابهم على دراسة اللفظ دراسة مصطلحية بأبعادها المعجمية والسياقية والدلالية»⁽³⁾.

وكلام "الجرجاني" أكبر دليل على أهمية الجهود الدلالية لعلماء الأصول « وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، إشارة النص واقتضاء النص، وإن كان الحكم مفهوما من اللفظ لغة فهو الدلالة أو شرعا فهو الاقتضاء فدلالة النص عبارة عما ثبت بمعنى النص لغة لا اجتهدا»⁽⁴⁾.

كما « يوضح النص دلالة اللفظ على المعنى وأقسامها عند علماء أصول الفقه، وهي أربعة: عبارة النص، إشارة النص، دلالة النص، واقتضاء النص، وتلك الأقسام مأخوذة من الطرق التي تتبع للتوصل إلى الحكم من النص»⁽⁵⁾.

1- إبراهيم أتييس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط5، 1984، ص13.

2- أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ط1، 1993، ص81-82.

3- عبد الحميد العلمي، مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، مطبعة أنفوبرينت، المغرب، ط1، 2000، ص14(بتصرف).

4- الجرجاني، التعريفات، ص109.

5- محمد سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي(المعاني، البيان، البديع)، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د-ط)، 1995، ج2، ص407.

تعرض " التهانوي " لمفهوم هذا المصطلح " الدلالة " عند الأصوليين والبلاغيين واللغويين فقال: « الدلالة بالفتح هي على ما اصطلح عليه أهل الميزان والأصول والعربية والمناظرة أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر. والشيء الأول يسمى دالا والشيء الآخر يسمى مدلولا، والمطلوب بالشيئين ما يعم اللفظ وغيره»⁽¹⁾.

1-2- أقسام الدلالة (أنواعها):

كما تكلم " التهانوي " « عن صور الدلالة وأنواعها لفظية وغير لفظية، عقلية وطبيعية ووضعية ثم قسم الوضعية إلى دلالة المطابقة والالتزام»⁽²⁾، وهذا ما يتضح لنا من خلال الجدول التالي⁽³⁾:

| المعاني الاصطلاحية | أقسام الدلالة |
|--|----------------|
| - إذا كان هناك تلازم بين الدال والمدلول ملازمة ذاتية في الواقع الخارجي نحو النار و الدخان. | عقلية |
| - إذا كان التلازم بين الدال والمدلول يقتضيه طبع الإنسان نحو الوجد والتأوه. | طبيعية |
| - إذا كان التلازم بين الدال والمدلول ناشئا من الاصطلاح والمواضعة وهذه تكون: 1- غير لفظية كالإشارات والخطوط. 2- لفظية إذا كان الدال لفظا. | عرفية اصطلاحية |

1- التهانوي(محمد علي الفاروقي)، كشف اصطلاحات الفنون، دار الكتاب العربي، مصر، (د-ط)، 1969، ج2، ص284.

2- المرجع نفسه، ص286-289.

3- فاطمة ولد حسين هيشور، صفات المرأة المادية والمعنوية في القرآن الكريم (دراسة دلالية)، دكتوراه في اللسانيات، كلية الآداب واللغات جامعة الجزائر، 2008-2009، ص4.

وقد اهتم "الجاحظ" بالحديث عن أصناف الدلالات على المعاني وذلك في خمسة أشياء قائلا: « أن جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولا اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد (ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد وقد ورد في الحديث أنه "عقد عقد تسعين") ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة*»⁽¹⁾.

أما "الجرجاني" فبيّن أقسام الدلالة عند الأصوليين وذلك من خلال تعريفه للدلالة - وهذا ما ذكرناه سابقا - والتي تتمثل في عبارة النص، إشارة النص، دلالة النص واقتضاء النص .

1-3- علم الدلالة عند الغربيين:

تعد الدراسات اللغوية عند الغربيين حديثة النشأة، حيث « تبلور مصطلح علم الدلالة في صورته الفرنسية Sémantique -على يد- * اللغوي الفرنسي بريال Michel Bréal ليعبر عن فرع من علم اللغة العام هو "علم الدلالات" ليقابل "علم الصوتيات" الذي يعنى بدراسة الأصوات اللغوية»⁽²⁾.

اهتم "بريال" بدراسة ألفاظ اللغات القديمة دراسة دلالية تطورية وذلك من خلال رسالته التي سماها « بحوث في علم الدلالة "Essai de Sémantique" وفيها عنى ببحث الدلالة في بعض ألفاظ اللغات القديمة التي تنتمي إلى الفصيحة الهندية- الأوربية، كاليونانية واللاتينية والسانسكريتية، وخلص من بحثه إلى نتائج هامة، وقواعد عامة في حدود الدلالة وتطورها»⁽³⁾.

1- الجاحظ، البيان والتبيين، تقديم د نهاد نورا لدين جرد، منشورات وزارة الثقافة، سوريا، (د-ط)، 2001، السفر الأول، ص114.

*- النصبة: هي الحال الناطقة بغير اللفظ، والمشيرة بغير اليد.

2- فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د-ط)، (د-ت)، ص6.

*- أضفنا كلمة "على يد" لإتمام معنى الجملة الناقص.

3- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص7.

4-1- تعريف علم الدلالة:

لقد « اشتقت هذه الكلمة الاصطلاحية من أصل يوناني مؤنث Semantiké مذكوره Semantikos أي: يعني يدل، ومصدره كلمة Sema أي: إشارة، وقد نقلت كتب اللغة هذا الاصطلاح إلى الإنكليزية وحظي بإجماع جعله متداولاً بغير لبس Semantics»⁽¹⁾.

ويعد علم الدلالة من أهم وأحدث فروع علم اللغة ومن أصعب مستوياتها، حيث يصعب الفصل بينها أثناء دراسة لغة معينة، وإن كان ذلك الفصل يبدو ظاهرياً من خلال تقسيم اللغة إلى مستوياتها المختلفة، إلا أنه في عمق البحث والتحليل نتجاوز تلك الحدود، حيث « لا يمكن فصل علم الدلالة عن غيره من فروع علم اللغة، فكما تستعين علوم اللغة الأخرى بالدلالة للقيام بتحليلاتها يحتاج علم الدلالة – لأداء وظيفته- إلى الاستعانة بهذه العلوم»⁽²⁾.

فموضوع علم الدلالة أثار الكثير من الأبحاث والتساؤلات تهدف إلى توضيحه وإرساء قواعده في خضم بحر علم اللغة (Linguistique) وقد عرف تعريفات كثيرة من بينها ما يلي: « العلم الذي يدرس المعنى أو ذلك الفرع من علم اللغة الذي يتناول نظرية المعنى»⁽³⁾، وهو بهذا يهتم اهتماماً كبيراً بدراسة معنى الكلمة من خلال جانبي المفردات والتراكيب، فهو « ذلك العلم الذي يدرس المعنى، سواء على مستوى الكلمة المفردة أم على مستوى التركيب، وما يتعلق بهذا المعنى من قضايا لغوية، أي أنه يدرس اللغة من حيث دلالتها، أو من حيث أنها أداة للتعبير عما يجول بال خاطر»⁽⁴⁾. وحصول المعنى في الكلام يعتمد على مدى تلازم الدال والمدلول مع وجود قرينة "علاقة" تجمعهما بحيث يفهم المتلقي كلام المخاطب ليتجنب الوقوع في الخطأ، وهذا المعنى يتلخص في قول جد مهم للجرجاني: « الدلالة اللفظية الوضعية وهي كون اللفظ بحيث متى أطلق أو تخيل فهم منه معناه للعلم بوضعه»⁽⁵⁾، فمتى فهم المعنى الحقيقي للفظ تحققت إفادته وعمّت.

1- فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ص6.

2- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص13.

3- المرجع نفسه، ص11.

4- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، (د- ط)، 2001، ص11.

5- الجرجاني، التعريفات، ص110.

1-5- مستويات التحليل اللغوي:

تقوم دراسة اللغة على مستويات عدّة، حيث تتداخل فيما بينها كما تتداخل و تتشابك خيوط العنكبوت عند صنع شبكتها، و"ماريو باي" يعتبر الحدود بين هذه المستويات غير واضحة لأن « دراسة اللغة - على ما جرى عليه العرف- سواء كان المنهج وصفياً أم تاريخياً تندرج في أربعة مستويات وإن كانت الحدود بينها غير واضحة تماماً كما قد نحب أن تكون»⁽¹⁾. وتتجلى هذه المستويات الأربعة في "المستوى الصوتي، الصرفي، النحوي، والدلالي" « ولعل المستوى الدلالي من أهم هذه المستويات وأصعبها، لأن الطبيعة الحقيقية للغة يمكن فهمها فقط من خلال فهم المعنى»⁽²⁾، وأحياناً يعوض مصطلح المستوى الدلالي بمستوى المفردات عند " أحمد مختار عمر" أما " إبراهيم أنيس" فيستعمل مصطلح الدلالة المعجمية أو الاجتماعية فرغم اختلاف التسميات إلا أنها تختص بعمل واحد وهو دراسة الكلمات المنفردة في جوانب متعددة. أما المستويات اللغوية فتنتمثل في:

1-5-1- المستوى الأصوات phonétique:

و« يدرس أصوات اللغة ويشمل كلا النوعين المعروفين باسم علم الأصوات العام phonetique و علم الفونيمات phonemique»⁽³⁾، حيث أن التغيرات التي تطرأ على الجانب الصوتي لبعض الكلمات قد يؤثر في معناها الحقيقي ليبدل على معنى مغاير فكلمة " تنضح" تعبر عن فوران السائل في قوة و عنف، وإذا ما قورنت بنظيرتها " تنضح" التي تدل على تسرب السائل في تودة وبطء يتبين لنا أن صوت "الخاء" في الأولى له دخل في دلالتها فقد أكسبها تلك القوة وذلك العنف، ومن مظاهر الدلالة الصوتية "النبر" "Accent" و"التنغيم" "Intonation" « فبعض الكلمات الإنجليزية تستعمل اسماً إذا كان النبر على المقطع الأول منها فإذا انتقل النبر على مقطع آخر من الكلمة أصبحت فعلاً»⁽⁴⁾. أما التنغيم فيلعب دوراً هاماً في بعض اللغات لتحديد معنى الكلمات « ففي اللغة الصينية مثلاً قد يكون للكلمة الواحدة عدة دلالات لا يفرق بينها إلا اختلاف النغمة في النطق، فتغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات»⁽⁵⁾.

1- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (د- ط)، 1998، ص43.

2- صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم، لبنان، الجزائر ط1، 2008، ص26.

3- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص43.

4- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، ص46.

5- المرجع نفسه، ص47.

1-5-2- مستوى الصرف Morphologie :

ويعرف أيضا « بمستوى دراسة الصيغ اللغوية وبخاصة تلك التغيرات التي تعترى صيغ الكلمات فتحدث معنا جديدا، مثل: اللواحق التصريفية والسوابق والتغيرات الداخلية»⁽¹⁾. فعلى سبيل المثال: « لا يكفي بيان معنى "استغفر" المعجمي المرتبط بمادتها اللغوية "غ ف ر" بل لابد أن يضم إلى ذلك معنى الصيغة وهي هنا وزن " استفعل" أو الألف والسين والتاء التي تدل على الطلب»⁽²⁾. فصيغة "استفعل" تدل على استمرارية الفعل في طلب المغفرة والتوبة.

1-5-3- مستوى النحو Syntaxes :

وهذا المستوى « يختص بتنظيم الكلمات في جمل أو مجموعات كلامية»⁽³⁾، ويتعلق الأمر بتراكيب الكلمات ضمن جمل وعبارات لتؤدي معنى معيناً « ولو لم يؤد تغيير مكان الكلمات في الجملة - تغيير الوظيفة النحوية - إلى تغير المعنى ما كان هناك فرق بين قولك : طارد الكلب القط، طارد القط الكلب»⁽⁴⁾، فأى شخص إذا قلنا له رأينا كلبا شرسا يطارد قطا صغيرا لما استغرب لهذا، أما إذا قلنا أننا رأينا قطا شرسا يطارد كلبا لاستغرب هذا الأمر وأنكره، فالغريزة الحيوانية تستوجب أن يتغلب القوي على الضعيف وليس العكس.

1-5-4- مستوى المفردات (المعجمي) Vocabulaire :

ويعرف كذلك بالمستوى الإفرادي « الذي يختص بدراسة الكلمات المفردة، ومعرفة أصولها، وتطورها التاريخي، ومعناها الحاضر وكيفية استعمالها»⁽⁵⁾. « فالمستوى الدلالي يدرس كمكونات المعنى اللغوي وعناصره واختلاف المعاني باختلاف المنشئين للتراكيب اللغوية، وأهمية الكلمة ودورها في أداء المعنى اللغوي داخل التركيب، كما يدرس ربط الكلمة بمقام استعماله ومراعاة مقتضى حاله»⁽⁶⁾.

1- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص.43

2- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص.13

3- المرجع السابق، ص.44.

4- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص.13.

5- ماريو باي، ص.44

6- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط3، 1998، ص.201.

- وهناك فروع أخرى تندرج ضمن مستوى دراسة المفردات، حيث حددها "ماريو باي" في ثلاث فروع هي:
- 1- « الاشتقاق Etymologique: وهو يختص بدراسة تاريخ الكلمات.
 - 2- الدلالة Semantique: ويختص بدراسة معاني الكلمات.
 - 3- المعجم Lexicographie: وهو فن عمل المعجمات اللغوية»⁽¹⁾.

وبناء على هذا التقسيم اعتمدنا المستوى الثاني المتمثل في " فرع الدلالة" الذي يهتم كثيرا بدراسة معاني الكلمات، والهدف من هذا هو تطبيقه على بعض ألفاظ مدونة القرآن العظيم - والمتعلقة بألفاظ الكون- لاستجلاء معانيها المتباينة، ولكن لا يمكن لهذه الدراسة أن تتم إذا لم نسلط الضوء على جانب لا يقل أهمية عن "علم الدلالة"، باعتباره يواكب التطورات العلمية الحديثة فيأخذ منها معلومات ونظريات تتناسب ولا تتناقض مع القرآن الكريم فالجانب الذي نحن بصدد دراسته في الجزء الثاني من المدخل يتجلى في: " التفسير العلمي للقرآن وعلاقته بالإعجاز العلمي".

1- ماريو باي، أسس علم اللغة، ص44(بتصرف).

2- التفسير العلمي للقرآن الكريم:

أ- التفسير لغة:

« فسر الفسر: البيان فسر الشيء يُفسره بالكسر، ويَفسره بالضم فسرا أو فسره: أبانه والتفسير مثله، ابن الأعرابي: التفسير والتأويل المعنى واحد، والفسر كشف المغطى، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المُشكل، والتأويل: رد أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر. واستفسرته كذا أي: سألته أن يفسره لي»⁽¹⁾.

ب- التفسير اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تعريف التفسير فتباينت الألفاظ و لكن المعاني كانت متقاربة ومن أهمها أن: « التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه و لقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ»⁽²⁾. و« هو علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن الكريم و مدلولاتها وأحكامها الإفرادية والتركيبية ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب»⁽³⁾.

2- 1- اتجاهات تفسير القرآن الكريم: (أنواعه)

يقسم التفسير حسب الاصطلاح العلمي الدقيق إلى ثلاثة أنواع:

أولاً: التفسير بالرواية:

« وهو الذي يسمى التفسير بالنقل أو التفسير بالمأثور، وجاء هذا التفسير بطرق متعددة فإما أن يكون تفسير القرآن بالقرآن أو تفسير القرآن بالسنة النبوية أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة»⁽⁴⁾.

1- ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف القاهرة (د- ت) (د- ط)، مادة(فسر).

2- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، لبنان، (د- ط)، 1408هـ-1988م، ج1 ص13.

3- السيوطي(جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422-2001، ج2، ص174.

4- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار الجيل، ط 2001، ص54.

وكان أكثر « الصحابة قولاً في التفسير: عبد الله بن عباس وعبد الله ابن مسعود و أبي بن كعب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وعلى الرغم من الاشتغال المتميز لابن عباس بهذا الفن فإن ما صح نقله عنه ليس كبيراً»⁽¹⁾، ومع هذا فقد عرف ابن عباس بترجمان القرآن.

ثانياً: التفسير بالرأية:

« وهذا الذي يسمى التفسير بالرأي، المراد بالرأي هنا (الاجتهاد) المبني على أصول صحيحة وينقسم إلى قسمين:

1- تفسير محمود.

2- تفسير مذموم»⁽²⁾.

« أما التفسير بالرأي أو الاجتهاد فمعناه الأخذ بمطلق اللغة في بيان المراد منه، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين»⁽³⁾.

ثالثاً: التفسير بالإشارة:

« الذي يسميه العلماء التفسير الإشاري، هو تأويل القرآن على خلاف ظاهرة الإشارات

خفية تظهر لبعض أولي العلم»⁽⁴⁾.

إنّ علاقة التفسير بالتأويل تدفعنا إلى تحديد معنى هذا الأخير:

أ- التأويل لغة:

فالتأويل مصدره أول يؤول تأويلاً، وذكر "ابن منظور" أن: « أول، الأول: الرجوع، آل الشيء يؤول أولاً ومآلاً: رجع. وأول إليه الشيء، رجعه. وأول الكلام وتأوله: دبره وقدره، وأوله وتأوله: فسره»⁽⁵⁾.

1- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام، الأردن، ط 1، 1426-2005، ص 336.

2- الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص 58-59.

3- المرجع السابق، ص 340.

4- الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص 71.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أول).

ب- التأويل اصطلاحاً:

ذكر "السيوطي" في كتابه أن «التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحمل عليه الآية غير مخالف للكتاب والسنة عن طريق الاستنباط»⁽¹⁾.

فالتأويل إذن هو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتل عدة معان ومن هنا يمكن استنباط الفرق بين التفسير والتأويل، حيث «أن التفسير هو المعاني الظاهرة من القرآن الكريم التي هي واضحة الدلالة على المعنى المراد، أما التأويل فهو المعاني الخفية التي تستنبطها من الآيات الكريمة والتي تحتاج إلى تأمل وتفكير واستنباط واستدلال، وليس هذا الترجيح بقطعي بل هو ترجيح الأظهر والأقوى والله تعالى يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾

وَأَلْرَّاسُخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّا بِهِ ءَكُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢﴾»⁽²⁾⁽³⁾.

فالبرغم من هذا الاختلاف الظاهر بين التفسير والتأويل إلا أن هنالك هدفاً واحداً يجمعهما هو إظهار وتبيين الدلالات والمعاني الواضحة والخفية لآيات القرآن الكريم، «فإن كان التفسير هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة، فإن التأويل هو ترجيح بعض المعاني المحتملة من الآية الكريمة التي تحتل عدة معاني»⁽⁴⁾.

2-2- التفسير العلمي و علاقته بالإعجاز العلمي للقرآن الكريم:

وبعد أن بينا معنى التفسير لغة واصطلاحاً، وحددنا اتجاهات وأنواع التفسير للقرآن الكريم وجب علينا تسليط الضوء على جزئية مهمة ينبني عليها بحثنا، ألا وهي تعريف التفسير العلمي للقرآن الكريم وتبيين علاقته بالإعجاز العلمي، هل هما شيء واحد أم مختلف؟ ولماذا كان علينا تعريف الإعجاز العلمي كذلك، فماذا يقصد بالمعجزة؟ وما هي أنواعها؟ وهل هناك علاقة بين التفسير العلمي والإعجاز العلمي؟

1- السيوطي، الإتيان في علوم القرآن، ج2، ص173.

2- آل عمران، الآية 7.

3- الصابوني، التبيان في علوم القرآن، ص52.

4- المرجع نفسه، ص52.

2-2-1- معنى التفسير العلمي:

يعد التفسير العلمي أحد فروع أو ألوان التفسير المعاصر ويراد به: « الاستناد إلى حقائق العالم التجريبي، ونظرياته في شرح آيات الطبيعة وخلق الإنسان والتي وردت في القرآن الكريم في سياقات شتى ومواضع متعددة»⁽¹⁾.

والهدف من ظهور التفسير العلمي هو أن يكون هناك توافق وتناسق بين ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من آيات وأحاديث علمية وكونية مُعجزة، وبين ما تم اكتشافه في هذا الكون الفسيح من حقائق كونية أبهرت العلماء والعالم بأسره، ونلاحظ هنا أنه مهما تطورت العلوم وتغيرت العوالم من حولنا، فإن القرآن الكريم لا يتطور ولا يتغير بل هو دستور حياة صالح لكل زمان ومكان.

2-2-2- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

لقد شاع في الآونة الأخيرة مصطلح " الإعجاز العلمي في القرآن الكريم " إلى درجة إنشاء مؤسسات خاصة تهتم بالقرآن والسنة النبوية الشريفة، وذلك نظرا لظهور بعض الإشارات العلمية التي وردت في القرآن منذ قرون خلت في مقابل ما وصل إليه العلم الحديث من اكتشافات واختراعات علمية متطورة. ولهذا من الضروري تحديد معنى لفظ "عجز" ليتبين لنا معنى الإعجاز العلمي.

أ- الإعجاز لغة:

لفظ الإعجاز مشتق من عجز يعجز عجزا وهذا أغلب ما ورد في المعاجم اللغوية مثلا: لسان العرب "لابن منظور" حيث ذكر فيه أن: « عجز، العجز نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجز عجزا فيهما. ويقال: عجز يعجز عن الأمر إذا قصر عنه، والمعجزة: واحدة معجزات الأنبياء عليهم السلام»⁽²⁾.

إذن الإعجاز من العجز والقصور وعدم القدرة عن الإتيان بشيء مماثل للقرآن الكريم وإن بلغ البشر من الفصاحة والبلاغة وقوة البيان الحد الأقصى، وهنا تكمن معجزة الوحي الذي نزل على سيدنا ونبينا محمد(صلى الله عليه وسلم)، فهي الخارقة التي تعجز عنها القدرة البشرية مهما أوتيت من وسائل التطور والرقي الحضاري.

1- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، ص389.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(عجز).

ومن هنا يتضح لنا معنى الإعجاز والعجز وكذلك المعجزة، فما هو المقصود إذن بالإعجاز العلمي؟ وهل يجسد جانباً حقيقياً من جوانب الإعجاز الموجود في القرآن الكريم؟

ب- الإعجاز اصطلاحاً:

إن معظم العلماء والباحثين يتفقون على وجود جانبين من الإعجاز في كتاب الله مع بعض الاختلاف في التفاصيل، فهذان الجانبان هما:

1- الإعجاز اللغوي.

2- الإعجاز العلمي.

في حين أن "الباقلائي" في كتابه "إعجاز القرآن" ذكر ثلاثة أوجه من الإعجاز:

« **أحدها:** يتضمن الأخبار عن الغيوب، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ولا سبيل لهم إليه فمن ذلك ما وعد الله تعالى نبيه عليه السلام أنه سيظهر دينه على الأديان لقوله عز وجل:

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ ﴾ (1) ففعل ذلك» (2).

أما « **الوجه الثاني:** فكان معلوماً من حال النبي (صلى الله عليه وسلم)، لأنه كان أمياً لا يكتب ولا يمكن أن يقرأ، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ

إِذَا لَأَزْتَابَ الْمُبْطُلُونَ ﴾ (3). في حين أن « **الوجه الثالث:** يتمثل في كون القرآن الكريم بديع

النظم، عجيب التأليف، متناه في البلاغة إلى التفصيل» (4).

1- التوبة، الآية 33.

2- الباقلائي (أبو بكر محمد بن الطيب)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، (د-ت)، ص33.

3- العنكبوت، الآية 33.

4- المرجع السابق، ص34 (بتصرف).

إن تقسيم " الباقلائي " لأوجه وأنواع الإعجاز بهذه الطريقة يتمحور في مضمونه حول نوعين من مظاهر الإعجاز في القرآن هما:

1- « الإعجاز اللغوي: إن معناه هنا بشكله المبسط أن القرآن جاء بلغة وأسلوب خاص لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله مهما حاولوا ومهما بلغوا من الفصاحة والبلاغة وقوة البيان»⁽¹⁾.

2- « الإعجاز العلمي: ويعني البحث في الإعجاز كعلم قرآني لم يبدأ إلا بعد أن استقرت أركان دولة الإسلام وبدأت الدراسات اللغوية والقرآنية»⁽²⁾.

إن القرآن الكريم مُعجَز من الناحية العلمية ليس للعرب فقط وإنما للناس جميعا لأن ما فيه لا يتناقض مع ما جاء به العلم الحديث، وهو كتاب أنزل قبل خمسة عشر قرنا من الزمن ولعل دعوة القرآن الكريم إلى العلم والبحث والتأمل من أهدافها اكتشاف الإعجاز القرآني في مجال العلم، والدليل على ذلك وجود العديد من الإشارات العلمية التي أصبحت نظريات علمية حديثة تطبق في مجالات مختلفة، نذكر من بينها قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا^ط وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا^ط أَفَلَا

يُؤْمِنُونَ^ط﴾⁽³⁾، والتي تشير بمعناها إلى "الانفجار الكبير" أو (BIG BAN) وهي نظرية علمية

تفسر سبب تكوين المجرة الكونية بما فيها من كواكب ونجوم، ومن أهمها: السماء والأرض.

1- أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، سلسلة المعرفة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د- ط)، 1995، ص19.

2- المرجع نفسه، ص20.

3- الأنبياء، الآية30.

في حين أن " زغلول النجار " قدم تفصيلات واضحة في « جوانب الإعجاز القرآني مع التركيز على الإعجاز اللغوي والعلمي بالإضافة إلى جوانب أخرى من الإعجاز كالتشريعي، الاعتقادي، التعبدية، الأخلاقي، التاريخي، التربوي، النفسي الاقتصادي الإداري، الإنبائي والصوتي، حيث ضمّن الإعجاز اللغوي مظاهر أخرى: كالأدبي البياني، النظمي، اللفظي والدلالي، أما الإعجاز العلمي فقد فسره بمعنى السابق بالدقة العلمية المطلقة لكل إشارة جاءت فيه عن الإنسان والأحياء، وعن الكون ومكوناته وظواهره»⁽¹⁾.

فالإعجاز أمر خارق للعادة يعجز الناس عن الإتيان بمثله في كل العصور، وخلود المعجزة يعني: استمرارية العجز عن الإتيان بمثله، فلو جاء في عصر من العصور من استطاع أن يأتي ولو جدلاً أو فرضاً بمثل القرآن الكريم أو بمثل آيات منه لبطل خلود الإعجاز.

وإنما الإعجاز شينان:

1- ضعف القدرة الإنسانية في محاولة المعجزة.

2- استمرار هذا الضعف بمرور الزمن وتقدمه.

« وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه، وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتشفه العلماء من كل جهة وتعاوروه من كل ناحية، واخترقوا جوانبه بحثاً وتقنيشاً»⁽²⁾.

1- زغلول راغب محمد النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية، القاهرة، ط1، 2008، ص21-22(بتصرف).

2- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مراجعة: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، (د- ط)، 1429هـ-2008م، ص117.

كما « أن الإعجاز القرآني في عمومه هو أقصى ما يهدف إلى إظهاره وتجليته جميع الجهود التفسيرية على اختلاف أنواعها ومذاهبها أثناء شرحها وتصميمها على مكان الروعة والخروج على المعتاد في نصوص الوحي، ومع أن هذه الجهود التفسيرية ليست كلها صائبة إلا أنها تعد تفسيراً على كل حال، كذلك الأمر مع التفسير العلمي هو اجتهادات مختلفة تسعى إلى التوفيق بين الآيات الكونية في القرآن والحقائق العلمية»⁽¹⁾.

فالهدف المرجو من توضيح المفاهيم المختلفة لكل من علم الدلالة وكذا التفسير العلمي واستظهار علاقته بالإعجاز العلمي، هو بالطبع لتحديد دور علم الدلالة كعلم قائم بذاته في الكشف عن المضامين الإعجازية القرآنية الظاهرة والخفية، وذلك في مختلف التخصصات والمجالات، لنتوصل أخيراً إلى استنباط مجموعة من النتائج والاقتراحات التي تعكس الإشكاليات المطروحة في المقدمة.

1- بوكعباش عبد الحميد، الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم في العصور الحديثة، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف: أ.د مصطفى محمد الشكعة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة، 1409هـ - 1989م، ص28.

الفصل الأول:

المدونة

الفصل الأول: المدونة

**المبحث الأول: الحقل الدلالي العام
للفظ الأرض**

المبحث الثاني: الحقل الدلالي الفرعي

أ- لفظ الجبال

ب- لفظ البحار

المبحث الأول:

الحقل الدلالي العام للفظ

الأرض

المبحث الثاني:

**الحقل الدلالي الفرعي
للفظي الجبال والبحار**

المدونة:

تعد مادة المدونة التي اعتمدها في دراستنا الدلالية جزءاً من " القرآن الكريم " واقتصرنا على نماذج مختارة منه لتمثل الألفاظ التي سيتم دراستها دلالياً، وقد اعتمدنا في ذلك "رواية حفص عن نافع"، ولا يخفى على أحد منا ثراء وزخم الألفاظ التي يزخر بها قرآننا العظيم، فهو كلام الله المُعجّز المنزل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) وحياً، فليس هو بكلام بشر ولا ينبغي له أن يكون إن هو إلا وحي يوحى، وقد دفعتنا كثرة تأملنا في خلق الله عز وجل للتوجه نحو مطالعة وتتبع أبحاث وملتقيات الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتأثرنا بهذه الأبحاث تأثراً بالغاً حتى قادنا هذا لاختيار موضوع مهم حيث لازالت الأبحاث متواصلة فيه لحد الآن ألا وهو " الأرض وما عليها من جبال وأنهار وبحار وتراب... الخ " أو بما يسمى في علم الجغرافيا " بعلم الجيولوجيا"، وهو علم يختص بدراسة طبقات الأرض وتكوينها وكيفية ظهور الجبال على سطحها بالإضافة إلى علم آخر يختص بدراسة البحار والمحيطات والكائنات المختلفة التي تعيش فيهما والذي يعرف " بعلم البحار والمحيطات"، وبهذا يكون بحثنا قد جمع بين علوم مختلفة من بينها علوم اللغة وخاصة علم المعاجم بالإضافة إلى علم التفسير وعلم الجغرافيا.

وقد تنوعت النماذج التي ركزنا عليها في دراستنا الدلالية، حيث حددنا من خلال بعض الألفاظ صفة خلق الأرض والجبال وكذلك البحار، بهدف إظهار معانيها المختلفة وإجلاء العلاقات التي تربطها.

ولهذا قسمنا المدونة إلى مبحثين مختلفين هما:

1- المبحث الأول:

تناولنا فيه الحقل الدلالي العام للفظ الأرض، وذلك بتحديد السياقات التي ورد فيها ذكر لوصف الأرض، ثم قسمناه إلى جزأين آخرين هما:

أ- وصف الأرض أثناء خلقها(وهذا ما ركزنا عليه في الدراسة الدلالية لمختلف الألفاظ الواردة في هذا المقام).

ب- وصف الأرض أثناء قرب الساعة(القيامة)، أما هذا الجزء فلم نركز عليه أثناء الدراسة الدلالية لأسباب عدة من أهمها:

- ضخامة المدونة المتعلقة بوصف خلق الأرض والتي لا يتسع المجال لدراستها نظرا لضيق الوقت المحدد لإنهاء البحث.

- أهمية الجزء الأول المتمثل في "وصف خرق الأرض" والذي من خلاله تتضح المشاهد الكاملة لهيئة الأرض أثناء وبعد خلقها.

أما المبحث الثاني:

فخصصناه لدراسة الحقل الدلالي الفرعي اللفظي "الجبال" و "البحار"، وقد أحصينا كل السياقات التي ورد فيها ذكر ألفاظ مختلفة تصف لنا مثلا: هيئة الجبال من خلال ثلاث نقاط هي:

أ- وصف شكل الجبال.

ب- وصف لحركتها.

ج- وصف لألوانها.

واقصرنا في دراستنا الدلالية على نماذج من هذه الألفاظ، وذلك لاعتبارات كثيرة من أهمها:

- كثرة تواترها في القرآن الكريم وهذا ما يدل على أهميتها الكبيرة.

- عدم تكرارها أحيانا يدل على دقة اختيار الألفاظ المناسبة للدلالة على المعنى المراد ولهذا يتم الإقتصار على لفظ واحد لإبراز خاصية معينة لا تتضح مع غيره.

- توافق اللفظ والأدلة العلمية الحديثة التي كشفت لنا إشارات إعجازية أخبرنا عنها القرآن الكريم منذ قرون خلت.

فالمدونة التي اعتمدها زخرة بأسمى الألفاظ وأرقى المعاني الدالة على صعوبة تعويض أو استبدال لفظ بآخر، فكل سياق يستلزم لفظا دون غيره، وهذا ما يعرف بالمصاحبة اللغوية فلا يمكن لأي لفظ أن يؤدي دور لفظ آخر في السياق نفسه.

1- الحقل الدلالي العام:

أ- الأرض:

تكرر لفظ الأرض في القرآن الكريم واحد وستين وأربعمائة (461 مرة)، وهذا بصيغ مختلفة ومتباينة، حيث جاءت بصيغة المفرد في سبع وأربعين وأربعمائة (447) آية (الأرض أرض، أرضي، أرضاً)، أما بصيغة الجمع فقد وردت في سبع آيات (أرضهم أرضنا، أرضكم) ولم ترد مجموعة في القرآن الكريم بصيغة (أراضي، أراضون، أراضين) كما ورد في القرآن وصف بديع لكيفية خلق الأرض وما عليها من موجودات، فقد كانت السماء والأرض كتلة واحدة وعندما أراد الله عز وجل إنزال المطر من السماء وإنبات النبات من الأرض فصل بينهما فكانت بداية الحياة، وورد ذكر هذا في الآية الثلاثين من سورة الأنبياء، فبعد انفصال السماء عن الأرض بسط الله عز وجل هذه الأخيرة ومهداها بفراش يسهل حياة الإنسان عليها، وخص المولى العلي القدير الأرض بصفات ليس لها مثيل إلا في القرآن الكريم، حيث دل عليها بألفاظ بديعة المبنى دقيقة المعنى في آيات كثيرة منها: (الدحو، الطحو تكررنا مرة واحدة) أما (المد، مددناها، مدت فتكررت في أربع آيات) في حين أن (الفراش ورد ذكره في آيتين) و (المهاد تكرر ذكره في أربع آيات) بالإضافة إلى آيات أخرى ورد فيها ألفاظ مختلفة تدل على صفة خلق الأرض وبهذا يصل عددها إلى تسع وثلاثين "39" آية، والتي سنذكرها بالتفصيل في الجدول التالي:

| اللفظ | الآية | السورة | الآية | تكرارها |
|-------------------|--------------------------------------|----------|-------|-----------|
| الدحو: "دحاها" | ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ | النازعات | 30 | مرة واحدة |

| | | | | |
|-----------|----|----------|---|---------------------|
| مرة واحدة | 6 | الشمس | ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا﴾ | الطحو: " طحاها " |
| مرة واحدة | 3 | الرعد | ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا﴾ | المد: " مد " |
| أربع مرات | 19 | الحجر | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ | " مددناها " |
| | 7 | ق | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ | |
| مرة واحدة | 3 | الانشقاق | ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ | " مدت " |

| | | | | |
|-----------|----|----------|--|----------------------|
| مرة واحدة | 22 | البقرة | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۗ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ | الفراش: " فراشا " |
| مرة واحدة | 48 | الذاريات | ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ | " فرشناها " |
| مرتان | 53 | طه | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى﴾ | المهد: |
| | 10 | الزخرف | ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ | "مهدا" |
| مرة واحدة | 6 | النبأ | ﴿الْمَ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ | "مهادا" |
| مرة واحدة | 48 | الذاريات | ﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ لِّمَاهِدُونَ﴾ | "الماهدون" |

| | | | | |
|-----------|----|---------|--|----------------------|
| مرة واحدة | 19 | نوح | ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ | البساط: " بساطا " |
| مرة واحدة | 20 | الغاشية | ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ | التسطيح: " سطحت " |
| مرتان | 61 | النمل | ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ هَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | القرار: " قرار " |
| | 64 | غافر | ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ۚ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ | " قرارا " |

| | | | | |
|-----------|----|----------|---|-----------------------|
| مرتان | 36 | البقرة | ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ | المستقر: |
| | 24 | الأعراف | ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ | "مستقر" |
| مرة واحدة | 15 | الملك | ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ | التذليل: " ذلولا " |
| مرة واحدة | 25 | المرسلات | ﴿الْمَ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ | الكفت: " كفاتا " |

| | | | | |
|--------------|----|--------|--|--------------------|
| مرة واحدة | 39 | فصلت | ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ | الخشع: "خاشعة" |
| مرة واحدة | 5 | الحج | ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ | الهامد: " هامة" |
| مرة واحدة | 27 | السجدة | ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ | الجرز: " جرز" |

| | | | | |
|-----------|----|----------|---|----------------------------------|
| مرة واحدة | 3 | الروم | ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ | أدنى الأرض: |
| مرتان | 41 | الرعد | ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ | نقص الأرض من أطرافها: |
| | 44 | الأنبياء | ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ | " الأرض تنقصها من أطرافها" |

| | | | | |
|--------------|----|--------|--|-------------------------------|
| | | | | انشقاق الأرض: |
| | 90 | مريم | ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ | " تنشق الأرض " |
| ثلاث مرات | 44 | ق | ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكِ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ | " تشقق الأرض " |
| | 26 | عبس | ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ | " شققنا الأرض " |
| مرة واحدة | 12 | الطارق | ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ﴾ | صدع الأرض: " الصع " |

| | | | | |
|-----------|----|---------|---|--|
| مرة واحدة | 47 | الكهف | ﴿وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ | ب- وصف الأرض أثناء قرب الساعة (القيامة): بروز الأرض: " الأرض بارزة " |
| مرة واحدة | 4 | الواقعة | ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ | رج الأرض: " رجت الأرض " |
| مرة واحدة | 14 | المزمل | ﴿يَوْمَ تَرُجُّفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ | رجف الأرض: " ترجف الأرض " |
| مرة واحدة | 14 | الحاقة | ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ | حمل الأرض: " حملت الأرض " |

| | | | | |
|-----------|---------|----------|---|--|
| مرة واحدة | 14 | النازعات | ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ | وجه الأرض: " الساهرة " |
| مرة واحدة | 21 | الفجر | ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ | دك الأرض: " دكت الأرض " |
| مرة واحدة | -1 2 | الزلزلة | ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ | زلزلة الأرض وإخراج أثقالها: " زلزلت الأرض " " أخرجت الأرض " |

2- الحقل الدلالي الفرعي:

أ- الجبال:

تكرر لفظ "جبل" بصيغة المفرد و الجمع في القرآن الكريم تسع وثلاثين (39) مرة منها: (سبع(7)مرات في صيغة المفرد واثنان وثلاثين(32) مرة بصيغة الجمع) ولكننا سنقتصر على ذكر الآيات التي وصفت فيها الجبال بأوصاف مختلفة حيث جاءت الإشارة إليها بالتعبير "رواسي" في ثماني(8) آيات، بالإضافة إلى آية أخرى جاء فيها اللفظ فعلا وليس اسما "أرساها" ليصبح مجموعها تسع (9) آيات، كما وصفت بالشموخ "شامخات" وبالنصب "نصبت" في آيتين مختلفتين، وذكر وصف آخر لألوان الجبال بصورة مُعجزة في آية واحدة "حمر، بيض، غرابيب سود"، وفي آيتين مختلفتين وصفت حركة الجبال "تسير" "تمر"، وبهذا يكون مجموع الآيات التي ذكر فيها وصف لأشكال وألوان وحركة الجبال "تسع عشرة(19) آية"، حيث سنذكرها بالتفصيل في الجدول التالي:

أ- أشكال الجبال:

| اللفظ | الآية | السورة | رقمها | التكرار |
|------------------|---------------------------|--------|-------|-----------|
| وتد: " أوتاد" | ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ | النبا | 7 | مرة واحدة |

| | | | | |
|---------------|----|----------|--|-------------------|
| مرّة واحدة | 32 | النازعات | ﴿وَأَجْبَالَ أَرْضَهَا﴾ | أرسي: "أرساها" |
| | 15 | النحل | ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ | "رسو" |
| | 3 | الرعد | ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْهَرًا ^ط وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى ^ط اللَّيْلَ النَّهَارَ ^ج إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ | رواسي |
| | 7 | ق | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ | |
| | 19 | الحجر | ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَّ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ | |

| | | | | |
|--------------------------------|----|----------|---|---------|
| | | | ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ | رواسي |
| | 61 | النمل | | |
| تسع 9 مرات بلفظ رواسي | 31 | الأنبياء | ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ | " رسو " |
| | 10 | لقمان | ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۗ وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ۗ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ | |
| | 27 | المرسلات | ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا﴾ | |
| | 10 | فصلت | ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوْءًا لِّلْسَائِلِينَ﴾ | |

| | | | | |
|-----------|----|----------|--|---|
| مرة واحدة | 27 | المرسلات | ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَمِخْتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ | شمخ: " شامخات " |
| مرة واحدة | 19 | الغاشية | ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ | نصب: " نصبت " |
| مرة واحدة | 27 | فاطر | ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ | ب- ألوان صخور الجبال: جدد بيض حمر مختلف ألوانها غرابيب سود |

| | | | | |
|-----------|---------|---|---|------------------------|
| مرة واحدة | 47 | الكهف | ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ | ج- حركة الجبال: سير |
| مرة واحدة | 10 | الطور | ﴿وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ | نسير تسير |
| مرتان | 20 | النبا | ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ | سيرت |
| 3 | التكوير | ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ | جامدة تمر | |
| مرة واحدة | 88 | النمل | | |

| | | | | |
|--|--|--|--|--|
| | | | | |
|--|--|--|--|--|

| | | | | |
|-----------|----|----------|---|---------------|
| مرة واحدة | 6 | الطور | ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ | ألفاظ البحار: |
| مرة واحدة | 6 | التكوير | ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ | تسجير البحار: |
| مرة واحدة | 6 | التكوير | | المسجور سجت |
| مرة واحدة | 3 | الانفطار | ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ | تفجير البحار: |
| مرة واحدة | 3 | الانفطار | | |
| مرتان | 53 | الفرقان | ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ | مرج البحرين: |

| | | | |
|--|---------------|--|---|
| <p>مرتان</p> <p>19 - 22</p> <p>مرة واحدة</p> | <p>الرحمن</p> | <p>﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آءَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾</p> | <p>البرزخ:</p> <p>الحجر المحجور:</p> <p>الحاجز:</p> |
| <p>مرة واحدة</p> | <p>61</p> | <p>النمل</p> | <p>﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءَلَّهُ مَعَ اللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾</p> |

الفصل الثاني:

الدراسة الدلالية للحقل
الدلالي العام (لفظ الأرض)

الفصل الثاني:

المبحث الأول:

دلالة لفظ الأرض واشتقاقاته

المبحث الثاني:

الدراسة الدلالية لألفاظ الحقل الدلالي

العام (لفظ الأرض):

1- الدلالة اللغوية

2- الدلالة الاصطلاحية:

أ- آراء أهل التفسير

ب- آراء العلماء

المبحث الثاني:

**الدراسة الدلالية لألفاظ الحقل
الدلالي العام (لفظ الأرض)**

1- الأرض لغة :

ذكر " ابن فارس " أن: « الهمزة والراء والضاد ثلاثة أصول، فأما هذان الأصلان فالأرض الرُّكْمَة، رجل مأروض أي: مزكوم. والآخر الرُّعْدَة، يقال بفلان أرض أي: رعدة وأما الأصل الأول فكل شيء يسفل و يقابل السماء. والأرض: التي نحن عليها وتجمع أراضين ولم تجئ في كتاب الله مجموعة»⁽¹⁾، كما أن « الأرض التي عليها الناس أنثى وهي اسم جنس، وكان حق الواحدة منها أن يقال أرضة ولكنهم لم يقولوا، والجمع أراض وأروض أَرْضُون»⁽²⁾. ويضيف " الفيروزآبادي " أن صيغة الجمع "أراضي" المتداولة على الألسنة ليست قياسية لأن « الأرض مؤنثة اسم جنس أو جمع واحد ولم يسمع أرضة: أرضات وأروض وأرضون وأراض، والأراضي غير قياسي»⁽³⁾. اتفق علماء اللغة على أن الأرض اسم جنس مؤنث، وهي الجرم المقابل للسماء، كما أن للأرض معان أخرى مشتركة في اللفظ ولكنها تختلف في معانيها، وهذا ما يندرج في إطار المشترك اللفظي حيث أن المعنى الأصلي والأول هو الأكثر استعمالاً وشيوعاً عند كل فئات المجتمع ألا وهو كوكب الأرض الذي نعيش عليه ونقتات من خيراته أما المعاني الأخرى: كالرُّكْمَة فعندما يصاب شخص بالزكام يقال أنه مأروض أي: مزكوم، وكذلك يقصد بها الرُّعْدَة أو الدَّفْضَة التي تعني دواراً يصيب الرأس عندما يكون صاحبه مزكوماً، كما تدل على معنى الأرضة وهي حشرة صغيرة وبيضاء تأكل الخشب. وهذا ما سنذكره بالتفصيل عند تحديد اشتقاقات لفظ الأرض.

2- الأرض اصطلاحاً:

أجمع أكثر علماء الكون على أن السماوات والأرض كانتا في البدء أي: منذ ستة عشر مليار سنة تقريباً، كتلة بدائية واحدة هائلة الحرارة والضغط، ولكنها انفجرت انفجاراً هائلاً فذُت أجزاءها وشتتها ولا يزال يباعد بينها حتى اليوم، وهذا ما أشار له القرآن العظيم إشارة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ۗ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا

يُؤْمِنُونَ ﴿ (4) .

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجليل بيروت، ط 1، 1991، المجلد 1، ص79-80.

2- ابن منظور، لسان العرب، أمين محمد عبد الوهاب، محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط 3، مادة(أرض).

3- الفيروزآبادي، معجم القاموس المحيط، تحقيق: خليل مأمون شبحا، دار المعرفة، بيروت، (د- ط)، 2011، مادة(أرض).

4- الأنبياء، الآية30.

وقد سميت هذه الظاهرة "بنظرية الانفجار الكبير" التي أشار لها العالم "جورج غاموف" في النصف الأول من القرن العشرين، فالأرض كوكب نشأ « منذ أربع مليارات سنة ونصف تقريبا في غيمة كونية جزئية انفصلت عن الكتلة البدائية ثم تحولت لاحقا إلى مجرة سميت بالمجرة اللبانية أو درب اللبانة التي يتبع لها نظامنا الشمسي، والتي تحتوي على مئة مليار نجم وكوكب، منها الشمس والأرض وبقية الكواكب»⁽¹⁾.

فمن خلال الآية القرآنية العظيمة ونظرية انفجار الكون تم اكتشاف وشرح نشأة الكون وتوسعه، وبهذه الطريقة تكونت السماء والأرض وباقي الكواكب والنجوم، ويمتاز كوكب الأرض عن بقية الكواكب الأخرى بمميزات خاصة وفريدة تجعله المكان الوحيد الذي يعيش ويستقر عليه البشر، « للأرض سمات طبيعية لا نظير لها وحتى الآن في الجزء الذي رصده الإنسان مباشرة والمعروف باسم "Meta galaxie" ويضم أكثر من "10"12 نجمة»⁽²⁾.

بالرغم من اختلاف ألسن البشر في نطق لفظ الأرض إلا أنها تعد الكوكب الوحيد الذي نعرفه جيدا لأننا نعيش عليه، « فالأرض بالفرنسية تر (terre) وبالإنكليزية إرث (Earth) قيل سميت أرضا لأن الأقدام تدقها وترضها وقيل لانخفاضها بالنظر إلى السماء. وهي بالعبرانية أرص وبالكلدانية أرعا على إبدال العين من الصاد»⁽³⁾.

عرفت الأرض تسميات كثيرة من بينها **كوكب الحياة** وذلك لانعدام معالم الحياة في الكواكب الأخرى، وسميت أيضا بالكوكب الأزرق حيث أن المسطحات المائية تغطي معظم المساحة الإجمالية للأرض وذلك بنسبة تقدر بإحدى وسبعين "71" %، في حين أن مساحة البر لا تتعدى تسع وعشرين "29" %.

1- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، الثوابت العلمية في القرآن الكريم، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة 2، 1994، ص17.

2- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، الأردن، (د- ط)، 2005، ص18.

3- المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د- ط)، 1878، المجلد 3، ص108.

الأرض تلك الذرة السابحة في رحاب الكون ضمن مسارات وأفلاك لا تتجاوزها كواكب المجموعة الشمسية الأخرى، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ

يُنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽¹⁾. وقوله أيضا:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾⁽²⁾. لم يقتصر اهتمام

العلماء في مجال الأبحاث العلمية حول كوكب الأرض على إيجاد تعريف مناسب لها أو تحديد عمرها الكوني بدقة، ولكن البحوث أصبحت الآن تعتمد على تقنيات و تكنولوجيا عالية الجودة وهذا ما جعل المعطيات العلمية أكثر دقة ووضوحا، حيث ساد في أذهان الناس ولمدة طويلة أن شكل الأرض كروي تماما ولهذا السبب سميت بالكرة الأرضية ولكن العلم الحديث أثبت العكس فهي شبه كروية « فالأرض ليست كروية تماما، فهي مسطحة قليلا في القطبين، وذات انتفاخ بسيط في محيط الاستواء "يزيد قطرها في الاستواء 24 كيلو مترا على قطرها القطبي" فشكل الأرض إذا إلى البيضوي "الإهليلجي" منه إلى الكروي»⁽³⁾، فكتلة الأرض وقطرها وسرعة دورانها حول نفسها وحول الشمس تعد من بين الأسباب المهمة التي تؤثر مباشرة على شكل الأرض، حيث أن « كتلة الأرض تبلغ قرابة ستة ملايين مليار كيلو غرام ويبلغ قطرها في خط الاستواء 12756 كيلوا مترا، وكثافتها الوسطية 5,25 غراما للسنتيمتر المكعب، وتدور الأرض حول نفسها "التدوير" مرة كل 23,9345 ساعة وتبلغ مدة دورانها حول الشمس 365,3 يوما، وتبعد وسطيا عن الشمس 149,6 مليون كيلو مترا»⁽⁴⁾. وهناك من حاول تحديد عمرها من خلال العمر القديم للحيوانات والنباتات والإنسان وذلك بالاعتماد على مادة الأورانيوم، « واعتمادا على مادة الأورانيوم Uranium في تحديد الأعمار فيعتقد أن عمر الأرض حوالي 4,6 مليار سنة، وعمر أولى آثار الحياة فيها منذ 3300 مليون سنة وقد اكتشفت بقايا زهرة متحجرة في كولورادو سنة 1953 يقدر عمرها بحوالي 65 مليون سنة، أما عمر الإنسان فيعود لأكثر من 7 ملايين سنة استنادا لجمجمة اكتشفت سنة 2002»⁽⁵⁾.

1- يس، الآية 40.

2- الأنبياء، الآية 33.

3- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة 2008، ص 41.

4- المرجع نفسه، ص 41.

5- شايب أحمد، أسرار الكون، دار شريفي، الجزائر، (د-ط)، 2008، ص 73.

وهذه الأعمار تعتبر نسبية، فالحق سبحانه وتعالى يقول: ﴿ مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾⁽¹⁾.

فكل العوامل السابقة تؤثر وبشكل كبير على كيفية تشكيل سطح الأرض، فهي « شبه كروية مسطحة " Sphéroïde Aplatie " وليست بالكروية تماما كما تبدو لنا بعد أن صورتها الأقمار الاصطناعية منذ عام 1958»⁽²⁾، هذا وبالإضافة إلى عامل جد مهم ألا وهو قوة النبذ أو الطرد الناتجة عن دوران الأرض حول نفسها، « ويعزى هذا التسطيح القطبي والانتفاخ الاستوائي إلى قوة النبذ الناجمة عن دوران الأرض حول نفسها وبخاصة بعد تشكلها مباشرة من 4 إلى 5 مليار سنة، إذ يفترض أن مدة تدويرها حول نفسها كانت آنذ سريعة جدا»⁽³⁾.

إذا كان العلم الحديث قد اكتشف مؤخرا الكروية المسطحة للأرض فإن القرآن العظيم قد أخبرنا بوضوح عن الشكل الحقيقي لسطحها وذلك من خلال آيات قرآنية كثيرة، سنفصل في شرحها عند دراسة دلالة لفظ الأرض في القرآن الكريم و الدراسات العلمية الحديثة، حيث « أن القرآن الكريم قد أشار بصورة قاطعة إلى شكل الأرض الحقيقي أي: البيضاوي المسطح من خلال قوله عنها "دحاها" و "طحاها" و "سطحت" و "يكور"، وهنا تكمن المعجزة العلمية القرآنية»⁽⁴⁾.

والفضل الكبير يعود لعلماء الفلك العرب في اكتشاف أسرار الأرض وذلك باختراع أهم آلة قياس تستعمل لتحديد أوقات الصلاة وتحديد قبلة المساجد والتي سميت "الإسطرلاب"، ولولا ترجماتهم المضنية والجادة لمؤلفات علماء اليونان القدامى لما وصل إلينا شيء من أبحاثهم العلمية والفلكية، « ويعتبر ما قام به علماء العرب والمسلمين في مجال علم الفلك أساس ما توصلنا إليه اليوم من تطور سريع في صناعة المناظير الفلكية الضخمة التي تشرح قوانين الفلك وأبعاد الكواكب والأجرام السماوية»⁽⁵⁾.

1- الكهف، الآية 51.

2- شايب أحمد، أسرار الكون، ص41.

3- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص20.

4- المرجع نفسه، ص21.

5- علي عبد الله التفاع، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985، ص42.

للإسطرلاب استعمالات أخرى مهمة وهي: قياس ورصد الأبعاد المختلفة ولهذا يعد أهم اختراع في ذلك الزمن، فقد اعتمد علماء العرب والمسلمين على الإسطرلاب وهو عبارة عن جهاز يستطيع الفلكي أن يُعيّن به زوايا ارتفاع الأجرام السماوية عن الأفق في أي مكان. ويعد الإسطرلاب: «كلمة يونانية وتتكون من "اسطر" بمعنى النجم و"الآبون" بمعنى المرآة ومن ذلك قيل لعلم النجوم أسترونوميا "astronomie"»⁽¹⁾.

وقد اختلف في مخترعه الأصلي فهناك من يدعي أنهم الإغريق ورواية أخرى تقول أنهم العرب والراجح أنه فلكي عربي عاش في حكم المنصور، وأول من اخترع الإسطرلاب هيباخوس وأبو لونيوس الإغريقيان، ولكن هناك رواية أخرى أن أول من صنع إسطرلابا وألف كتابا فيه أبو إسحاق الفزاري أحد فلكيي المنصور، وهو على أي حال أول من صنع إسطرلابا في الإسلام.

وقد أورد "الدفاع" قولاً "عبد الرزاق نوفل" مدعماً به رأيه القائل أن "الفزاري" هو أول عربي مسلم اخترع وألف كتاباً عن الإسطرلاب، أما "عبد الرزاق نوفل" فقد أكد في كتابه "المسلمون والعلم الحديث" أن "الفزاري" هو أول من كتب عن العمل بالإسطرلاب فقال: «في القرن الأول الهجري وضع أبو إسحاق إبراهيم بن حبيب بن سليمان الفزاري كتاب يوضح فيه العمل بالإسطرلاب المسطح الذي كان أول من قام به، وهي آلة فلكية تمثل قبة السماء، وقسمت بها النجوم إلى أقسام في مجموعات مختلفة، ويوضح عليها حركة الشمس والكواكب»⁽²⁾.

كما أن هناك اعترافات كثيرة من علماء فلك غربيين تؤكد أن العرب هم السباقون في مجال الأبحاث الفلكية وذلك من خلال ترجماتهم المختلفة لكتب ورسائل فلكيين عرب مسلمين، وإن كان بعضهم لا يعترف بهذا إلا ضمناً من خلال إشارة بسيطة لاسمه أو عمله وخاصة إذا تعلق الأمر بالإسطرلاب.

1- علي عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين (في تطوير علم الفلك)، ص33.

2- المرجع نفسه، ص34.

3- اشتقاق لفظ الأرض:

عندما يُذكر لفظ الأرض فأول ما يتبادر إلى الذهن من معانيها مايلي:

- كوكب الأرض الذي نعيش عليه ونموت فيه.

- هي الأرض التي نمشي عليها ونسافر في أقطارها.

- الأرض التي نكسب رزقنا من خلال زرعها وإنشاء المباني عليها، واستخراج ما في برها وبحرها من كنوز ومعادن ثمينة.

ولكن لفظ الأرض له معان واشتقاقات أخرى ذكرها علماء اللغة والمفسرين مصدرها وأصلها واحد لكنها تدل على معان مختلفة:

1- « المعنى المتفق عليه هو الأرض التي عليها الناس أي: الموضع والمكان.

2- فهو سَفَلَة البعير والدابة وما ولى الأرض منه، يقال: بعير شديد الأرض إذا كان شديد القوائم، والأرض: أسفل قوائم الدابة.

3- وأرض الإنسان ركبتاه فما بعدهما، وأرض النعل: ما أصاب الأرض منها.

وللأرض معان أخرى:

- الرُّكَّام: مذكر، وقال كراع: هو مؤنث، وأنشد لابن أحمَر:

أَنْتَ أَرْضٌ بِهِ وَتَحَيَّلْتَ فَأَمْسَى لِمَا فِي الرَّأْسِ وَالصَّدْرِ شَاكِيَا

أَنْتَ: أَدْرَكْتَ، وَرَوَاهُ أَبُو عُبَيْدٍ: أَنْتَ.

- دوار: يأخذ في الرأس عن اللبن فيصرف له الأنف والعينان.

- الرَّعْدَةُ وَالنَّقْضَةُ: ومنه قول ابن عباس ورُزِلَتْ الأَرْضُ: أُرْزِلَتْ الأَرْضُ أَمْ بِي أَرْضٌ؟ يعني الرَّعْدَةُ، وقيل: يعني الدوار.

الأَرْضَةُ: بالتحريك، دودة بيضاء شبه النملة تظهر في أيام الربيع، التي تأكل الخشب»⁽¹⁾.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة(أرض)، (بتصرف).

- « ومصدر أَرْضَت الخشبة تُؤرض أرضا فهي مأروضة إذا وقعت فيها الأَرْضة وأكلتها وهذا مصداقا لقوله عز وجل: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَهَمَ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ ^ط ﴾ (1)، وفي تفسير دابة الأرض: الأَرْضة التي تأكل الخشب وتأكل منسأته تأكل عساه. وَأَرْضَت الخشبة أرضا وَأَرْضَت أرضا، كلاهما: أكلتها الأَرْضة، وأرض أرضة وأريضة بينة الأراضة: زكية كريمة مُحَيِّلة للنبت والخير. يقال: أرض أريضة أي: عريضة وخليقة للنبت، ومُعجبة للعين» (2).

1- سبأ، الآية 14.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (أرض).

1-1- الدَّحُو: "دحاها"

قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَلَهَا﴾⁽¹⁾.

- الدَّحُو لغة:

أجمعت معاجم اللغة على معنى واحد للدَّحُو ألا وهو البسط، التمهيد والتوسيع ولكن الاختلاف كان عند أهل التفسير حول خلق السماء والأرض، فهل خلق الله عز وجل السماء قبل الأرض مدحوة أم خلقها قبل السماء ثم دحاها أي (كورها) بعدها؟ هذا التساؤل وتساؤلات أخرى سيتم الإجابة عنها لاحقاً.

وقد ذكر "ابن فارس" في هذا المقام أن «الدال والحاء والواو أصل واحد يدل على بسط وتمهيد، يقال دحا الله الأرض يدحوها دحوا إذا بسطها»⁽²⁾. وكذلك «الدَّحُو: البسط يقال دحا يدحو ويدحي أي بسط ووسَّع، وفي حديث علي وصلاته (رضي الله عنه): اللهم دحي المدحوات، يعني باسط الأرضين وموسعها، والدَّاحي الذي يدحو الحجر بيده، وقد دحا به يدحو دحوا ودحى يدحى دحياً. ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا: نزع»⁽³⁾ وقد وردت معظم أوصاف خلق الأرض في القرآن الكريم بهذا المعنى، حيث جاءت مترادفة في معناها العام أي: مبسوطه، ولكننا لاحظنا أن كل لفظ يتميز بمعنى خاص جعله يرد في سياق معين محدد دون غيره، فرغم اختلاف الألفاظ المعبرة عن المعنى الواحد مثلاً: (الدَّحُو، الطَّحُو، المَّد، البَسَط، المَهْد، الفَرَّاش...) فكلها تدل على البسط والمد والتوسيع فحيثما مددت بصرك وجدت أرض الله واسعة مبسوطه في كل جوانبها.

- الدَّحُو اصطلاحاً:

أ- آراء المفسرين:

لقد انصب اهتمام أغلب المفسرين⁽⁴⁾ حول الآية السابق ذكرها على تحديد قبلية أو بعدية خلق الأرض عن السماء، واتجه المفسرون اتجاهين مختلفين هما:

1- النازعات، الآية 30.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، (د ت)، (د ط)، ج3، ص333.

3- ابن منظور: لسان العرب، مادة(دحو).

4- من بينهم: ابن كثير (تفسير ابن كثير)، الزمخشري(الكشاف)، ابن عاشور(التحرير والتنوير)...الخ.

- **الاتجاه الأول:** قال بقبليّة خلق الأرض عن السماء وإنما كان دحوها أي بسطها وإخراج ما فيها من خيرات بعد خلق السماء.

- **أما الاتجاه الثاني:** فقد أقرّ بقبليّة خلق السماوات عن الأرض مستشهدين على ذلك بقول الله تعالى: ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ أي: بعد خلقه للسماء خلق الأرض مدحوة، فالأرض خلقت ودُحيت مرة واحدة بعد خلق السماء.

مثلما قلنا سابقا أن دلالة "الدحو" متفق عليها عند علماء اللغة والتفسير ولكن الاختلاف عند أهل التفسير فيما خلقه الله أولا السماء أم الأرض؟ "فابن كثير" فسّر قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بقوله تعالى: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾⁽¹⁾.

حيث فصل "ابن كثير" في تفسير معنى هذه الآية في سورة السجدة معتبرا أن الأرض خلقت قبل السماء ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل وقد استشهد بحديث ابن عباس الذي قال فيه: «(دحاها) ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام*»، ثم فسر قوله تعالى: ﴿مَتَعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَمِكُمْ﴾⁽²⁾ بقوله: «أي دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها وأجرى أنهارها وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبتت جبالها لتستقر بأهلها ويقر قرارها»⁽³⁾.

أما تفسير "البيضاوي" فقد جاء مختصرا معتمدا فيه على قواعد النحو، حيث قال فيما يخص الآية «أي: "بسطها ومهدا للسكن" أخرج منها ماءها "بتفجير العيون" ومرعاها "ورعيها وهو في الأصل لموضع الرعي وتجريد الجملة عن العاطف لأنها حال إضمار "قد" أو بيان للدحو»⁽⁴⁾.

1- النازعات، الآية 31.

*- الآكام: الأكمة، محرّكة: التل من الثف من حجارة واحدة أو هي دون الجبل أو الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله، وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجرا، ج: أكّم، محرّكة وبضمّتين وكأ جبل وجبال وأجبال وهضبة من هضاب أجأ (ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(أكّم)).

2- النازعات، الآية 33.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار الفبياء، دمشق، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1994، ج4، ص603.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، دار الفكر، بيروت، مكتبة صيد الفوائد، ج5، ص448(عن موقع:

<http://www.saaid.net/book/index.php>

في حين أن تفسير "ابن عاشور" المسمى "بالتحريير والتنوير" تميز عن التفاسير الأخرى بدقة معلوماته و تنوعها بين اللغوي والتفسييري والعلمي معتمداً في ذلك على أحدث اكتشافات علم الهيئة والفلك، ففيه « يوظف التفسير، فضلا عن مقاصده المختلفة والمتنوعة توظيفا معجميا بأن يهدف إلى التعريف بمعنى اللفظ الأصلي، وبوضوح معناه الدلالي المتطور بحسب السياق والمقام، ولهذا اعتبره "محمد رشاد الحمزاوي" مصدرا من مصادر المعجم العربي الذي لا تنقضي فوائده، فالتحريير والتنوير - حسب رأيه - يقوم مقام المعجم الموسوعي الذي يتجاوز المعجم اللغوي التربوي، ويختلف عن المعجم التاريخي لما اشتمل عليه من لغة وتاريخ وأدب وجغرافيا وعلوم وعناصر اجتماعية مختلفة»⁽¹⁾.

كما اعتمد "ابن عاشور" على آية خلق السماوات في تفسيره لآية خلق الأرض وهو بهذا يصرح قائلا: « أن الأرض خُلقت مَدحوة بعد السماء، حيث انتقل الكلام من الاستدلال بخلق السماء إلى الاستدلال بخلق الأرض لأن الأرض أقرب إلى مشاهدتهم وما يوجد على الأرض أقرب إلى علمهم بالتفصيل أو الإجمال القريب من التفصيل، والدَّحْو والدَّحْي يقال: دَحوت ودَحيت، واقتصر "الجوهري" على الواوي وهو الجاري في كلام المفسرين هو: البَسْط والمَدَّ بتسوية، والمعنى: خلقها مَدحوه، أي مَبسوطَة مُسواة»⁽²⁾.

و يعد "ابن عاشور" من مؤيدي الرأي القائل بقبلية خلق السماوات عن الأرض، حيث

قال أن: « الإشارة من قوله تعالى: ﴿ بَعْدَ ذَلِكَ ﴾ إلى ما يفهم من قوله أيضا: ﴿ رَفَعَ

سَمَكَهَا فَسَوَّيْنَهَا ﴾⁽³⁾ أي: بعد أن خلق السماء خلق الأرض مَدحُوَه، والبعدية ظاهرها تأخر

زمان حصول الفعل، وهذه الآية أظهر في الدلالة على أن الأرض خلقت بعد السماوات وهو قول قتادة ومقاتل والسُّدي، وهو الذي تؤيده أدلة علم الهيئة»⁽⁴⁾.

1- محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما و حديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1986، ص67.

2- ابن عاشور، تفسير التحريير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس، ط 1984، ج30، ص86.

3- النازعات، الآية28.

4- المرجع السابق، ج 30، ص87.

أما معاجم الألفاظ القرآنية فقد جمعت بين معاني معاجم اللغة وكتب التفسير ولكنها لا تختلف معها في شيء بل تؤكد كل ما ذكرناه سابقاً، حيث يقول صاحب "التحفة القليبية" أن: « الدَّحِي: المَدَّ والبسط ومنه قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ أي بعد ذلك مَدَّ الأرض وبسطها»⁽¹⁾. بينما يرى "سميح عاطف" للدَّحُو معاني مختلفة من بينها: إزالتها عن مقرها وجرها لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾⁽²⁾ « وهو من قولهم دحا المطر الحصى من وجه الأرض، أي جرفها. ومَرَّ الفرس يدحو دحوا إذا جَرَّ يده على وجه الأرض فيدحو ترابها»⁽³⁾.

إن اختلاف المعاني لا يعني بالضرورة اختلافها حقيقة من حيث المضمون، بل إن نظرنا المختلفة لها ومن زوايا متباينة جعلها تختلف اختلافاً شكلياً، فربما بعد قراءات كثيرة تتغير أفكارنا تبعاً لذلك وبهذا نبنينا على أساس صحيح وثابت، فكلما اختلفت أفكارنا توسعت حدود ومجالات اختيارنا لها والعكس صحيح.

ب- آراء العلماء:

لم يكن التوصل إلى كروية الأرض أمراً سهلاً ميسوراً، وخاصة أن الاعتماد على الحواس وحدها دون التدقيق في الظواهر كان دائماً يعطي الإنسان انطباعاً بأن الأرض مستوية السطح، ولقد توصل العلم الحديث بالدليل التجريبي بأن الأرض كروية تقريباً. « فتأمل قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾⁽⁴⁾. فلماذا استخدم الله سبحانه وتعالى لفظ "يكور" ولم يقل "يبسط" الليل والنهار مادامت الأرض منبسطة ظاهرياً أو يغير الليل والنهار أو أي لفظ آخر، فإننا لو جننا بشيء ولفناه حول كرة فنقول أننا كورنا هذا الشيء»⁽⁵⁾.

1- موسى القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها (التحفة القليبية في حل الألفاظ القرآنية)، تحقيق: محمد محمد داود، مكتبة الآداب القاهرة، ط1، 2002، ص105.

2- المزمّل، الآية14.

3- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم (مجمع البيان الحديث)، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1984، ص313-314.

4- الزمر، الآية5.

5- منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1991، ص150.

1-2- الطحو: "طحاها"

قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا﴾⁽¹⁾.

- الطحو لغة:

الطحو مثل الدحو وهذا ما اتفق عليه كثير من علماء اللغة⁽²⁾ وأهل التفسير⁽³⁾، ويشير إلى ذلك "ابن فارس" قائلا: «(طحو) الطاء والحاء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على البسط والمدّ، من ذلك الطّحو وهو كالدّحو وهو البسط. قال الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحْنَهَا﴾ أي بسطها، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَالْأَرْضِ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنَهَا﴾⁽⁴⁾.

والمعنى نفسه عبر به "ابن منظور" عن هذا اللفظ قائلا: « طحاه طحوا وطُحوا: بسطه وطحى الشيء يطحيه طحيا: بسطه أيضا. الأزهرى: الطّحو كالدّحو، وهو البسط، وفيه لغتان طحا يطحو، وطحى يطحى. قال الفراء: طحاها ودحاها واحد، قال شمر: معناه ومن دحاها فأبدل الطاء من الدال، قال: ودحاها وسّعها. وطحوته مثل دحوته أي بسطته»⁽⁵⁾. وللطحو معاني أخرى خارج هذا السياق تكرت في لسان العرب وسنذكر بعضها في هذا المقام:

- يقال للبيت العظيم والضخم مظلة مطحوة ومطحية وطاحية.

- وضربه ضربا طحا منه أي امتدّ.

- طحا به قلبه وهمه يطحى طحوا: ذهب به في مذهب بعيد.

- والقوم يطحى بعضهم بعضا أي يدفع.

1- الشمس، الآية 6.

2- اللغويون من بينهم: ابن منظور، لسان العرب.

3- علماء التفسير من بينهم: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.

4- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج3، ص445.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة(طحو).

- الطَّحُو اصطلاحاً:

أ- آراء المفسرين:

إن لفظ "طحاها" مثل "دحاها" من حيث المعنى "بسطها" والمبنى "طحو" "دحو" مع اختلاف في الحرف الأول فقط، وذكر "ابن كثير" آراء مختلفة ولكنه ختم بأشهرها حيث « قال مجاهد: طحاها دحاها، وقال العوفي عن ابن عباس (وما طحاها) أي خلق فيها وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس: طحاها قسمها، وقال مجاهد وقتادة والضحاك والسُّدي والثوري وأبو صالح وابن زيد (طحاها) بسطها، وهذا أشهر الأقوال واتفق عليه أكثر المفسرين، وهو المعروف عند أهل اللغة، قال الجوهرى: طَحَوْتُهُ مثل دحوته أي: بسطته»⁽¹⁾.

أما "البيضاوي" فلم يذكر تفسيراً لهذه الآية بل علّق تفسيره للآية ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا﴾⁽²⁾

بالآية ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا﴾ قائلاً: « وَمَنْ بَنَاهَا وَإِنَّمَا أُوتِرَتْ عَلَى "مَنْ" لِإِرَادَةِ مَعْنَى

الْوَصْفِيَّةِ كَأَنَّهُ قِيلَ وَالشَّيْءُ الْقَادِرُ الَّذِي بَنَاهَا وَدَلَّ عَلَى وُجُودِهِ وَكَمَالِ قُدْرَتِهِ بِنَاؤُهَا وَلِذَلِكَ

أَفْرَدَ ذِكْرَهُ وَكَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا﴾⁽³⁾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا⁽³⁾ وَجَعَلَ

الْمِيمَاتُ مَصْدَرِيَّةً يُجْرَدُ الْفِعْلُ عَنِ الْفَاعِلِ⁽⁴⁾، وَنَلَاظُ أَنْ "الطَّبْرِي" قَدْ قَدَّمَ تَفْسِيرًا شَامِلًا

حَيْثُ أُورِدَ أَقْوَالًا مُتَبَايِنَةً فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ وَهِيَ نَفْسُهَا الَّتِي ذَكَرَهَا "ابن كثير"

فِي تَفْسِيرِهِ، وَلَكِنْ "الطَّبْرِي" افْتَتَحَهَا بِرَأْيِهِ الْخَاصِّ قَائِلًا: « وَقَوْلُهُ: ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَنَهَا﴾

وَهَذِهِ أَيْضًا نَظِيرُ الَّتِي قَبْلَهَا⁽⁵⁾ وَمَعْنَى الْكَلَامِ: وَالْأَرْضُ وَمَنْ طَحَاهَا. وَمَعْنَى قَوْلِهِ: (طَحَاهَا):

بَسَطَهَا يَمِينًا وَشِمَالًا وَمَنْ كُلِّ جَانِبٍ⁽⁶⁾.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص665.

2- الشمس، الآية5.

3- الشمس، الآية6-7.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص496.

5- نظير التي قبلها أي: قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْهَا﴾ الشمس، الآية5.

6- الطبري (محمد بن جرير)، تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر القاهرة، ط1، 2001، ج24، ص438.

أما "ابن عاشور" فيتميز دائما بتفسيره الخاص الذي يمزج فيه بين أقوال علماء اللغة وعلماء الفلك فيقول: «وَطَحَّوْا الْأَرْضَ بِسَطِّهَا وَتَوَطَّنْتَهَا لِلسَّيْرِ وَالْجُلُوسِ وَالْإِضْطِجَاعِ، يُقَالُ: طَحَّ يَطْحُو وَيَطْحِي طَحًا وَطَحِيًا وَهُوَ مُرَادِفٌ لِدَحَا فِي سُورَةِ النَّازِعَاتِ»⁽¹⁾. ثم يُعَقَّبُ فِي تَفْسِيرِهِ عَلَى مَوْقِعِ "مَا" الْوَارِدِ فِي الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الْمُتتَالِيَةِ، «(وَمَا) فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ مِنْ قَوْلِهِ: (وَمَا بَنَاهَا) أَوْ (مَا طَحَاهَا) أَوْ (وَمَا سَوَاهَا)، إِمَّا مُصَدَّرِيَّةٌ يُوَوَّلُ الْفِعْلُ بَعْدَهَا بِمُصَدَّرٍ فَالْقِسْمُ بِأُمُورٍ مِنْ آثَارِ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَهِيَ صِفَاتُ الْفِعْلِ الْإِلَهِيَّةِ وَهِيَ رَفْعَةُ السَّمَاءِ وَطَحَّوْهُ الْأَرْضَ وَتَسْوِيَّتَهَا لِلْإِنْسَانِ»⁽²⁾. أما صاحب معجم التحفة القليبية فقد بيّن أن «الطَّحَّوْ بِفَتْحِ الطَّاءِ وَسُكُونِ الْحَاءِ الْمَهْمَلَةِ مَعْنَاهُ الْبَسْطُ وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ (طَحَاهَا) مَعْنَاهُ بِسْطُهَا وَمَدَّهَا»⁽³⁾.

ونلاحظ من خلال هذه الآية أن هناك شبه إجماع بين علماء اللغة والتفسير حول معنى لفظي "طَحَاهَا وَدَحَاهَا" اللذان يبدوان مترادفان ليدلان على معنى "البَسْطُ وَالْمُدُّ"، ولكن أورد أهل المعاجم معاني واستعمالات أخرى ذكروها في (طحا) ولم يذكروها في معنى (دحا) ومن المعلوم أن المشبه لا يلزم أن يطابق المشبه به في كل الصفات، ومن هنا يمكن أن نلاحظ بعض الاختلافات في استعمالات كلا الفعلين (دحا) و(طحا)، فهذا الأخير ينفرد بمعاني حيث جاء اللفظ بمعنى المرتفع، حيث «قال بعض العرب في يمين لهم: لا والقمر الطَّاحِي أَي: المرتفع»⁽⁴⁾ ومعلوم عند أهل العلم أن الأرض مرفوعة من غير عمد كما رفع الله السماوات كما يشير اللفظ إلى كروية الأرض، فضلا عن المعاني المشتركة بين اللفظين كالبسْط والمد. ومن هنا يتبين أنه برغم وجود ترادف بين الفعلين السابقين، لكن هذا الترادف ليس تاما فكل منهما يحتوي على معان قد لا تكون في الآخر وإن كلا من الفعلين قد استعمل مرة واحدة في القرآن الكريم، ومن دقة استعمالاته أن جعل كلا منهما في موضع يدل عليه ما يتناسب مع سياق الآية وما قيل في تفسير معنى اللفظين (طحاها) (دحاها) حيث أُبْدِلَ الطَّاءُ مِنَ الدَّالِ لِأَنَّ «الطَّاءَ وَالِدَالَ وَالتَّاءَ مِنْ حَيْزٍ وَاحِدٍ وَهُوَ مَا بَيْنَ طَرَفِ اللِّسَانِ وَأَصُولِ الثَّنَائِيَا وَهِيَ نِطْعِيَّةٌ لِأَنَّ مَبْدَأَهَا مِنْ نِطْعِ الْغَارِ الْأَعْلَى وَهُوَ وَسْطُهُ يَظْهَرُ كَالْتَحْرِيزِ»⁽⁵⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص368.

2- المرجع نفسه، ج30، ص369.

3- موسى بن يوسف القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، ص154.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(دحو).

5- ابن يعيش(موفق الدين)، شرح المفصل، عالم الكتب بيروت، مكتبة المنتبى القاهرة، (د ت)، (د-ت)، 2م، ج10، ص125.

فإبدال الحروف ينشأ لسببين هاميين:

1- ما ينشأ عن تفاعل الأصوات وتأثير بعضها في بعض أثناء التركيب وهو أمر واقع في جميع اللغات (وهذا ما ذكرناه في لفظي طحا ودحا).

2- ما ينشأ بنتيجة تطور زمني يؤدي إلى إبدال حرف بآخر.

فالنوع الأول نجده بارزا في كتب التجويد وعند أهل القراءات حيث أن « إبدال حرف بآخر كانقلاب النون الساكنة ميمًا إذا وليها باء وإبدال تاء الافتعال إلى حرف من جنس فاء الكلمة إذا كان هذا الحرف دالا أو طاء (ادعى، اطرِد) أو قلبها إلى طاء مع الضاد والصاد (الاضطراب، الاضطراع)»⁽¹⁾.

(ب)- آراء العلماء:

إن التفكير في أرجاء هذا الكون الواسع جعل الإنسان يحاول اختراع شتى الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة لاكتشاف خبايا وأسرار ظلت أمداً بعيداً حبيسة الأفكار والاعتقادات الخرافية والوهمية، وهذا ما سنكتشفه من خلال المراحل التي مرت بها الاكتشافات العلمية عبر الزمن لحد الآن. فأول شيء أثار التفكير البشري وحرك عجلة الاكتشافات والاختراعات العلمية المتطورة، هو اكتشاف سر الكوكب الذي نعيش عليه من حيث:

- شكله الحقيقي مع رفض كل الأفكار الخرافية.

- تحديد عمره بالتقريب من خلال اكتشاف كيفية تكوينه في مجرة درب التبانة.

- التعرف على كوكب الأرض وذلك باكتشاف باطنه وتحديد عدد طبقاته المكونة له.

- إضافة إلى أفكار وتساولات أخرى تجعلنا ن فكر مليا في محاولة اكتشاف أنفسنا من خلال اكتشاف كوكبنا الأم "الأرض".

كما أن للفظي دحو وطحو علاقة مباشرة بكروية الأرض فلا نكاد نتصفح كتابا إلا وجدنا صاحبه يربط لفظي (دحاها وطحاها) بمعنى التكوير والانبساط « فهما كلمتان مشتقتان من نَحَى وَطَحَى أي: بَسَطَ وَوَسَّعَ، وَالدُّحْيَةُ هِيَ الْبَيْضَةُ»⁽²⁾.

1- محمد مبارك، أسرار اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ط7، 1981، ص65.

2- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص19.

وهنا يربط العديد من العلماء بين الشكل البيضاوي للبيضة والأرض، وكثير من العلماء⁽¹⁾ يفسر " دحاها " في الآية الكريمة بمعنى: « جعلها بيضاوية الشكل، استنادا إلى حقيقة أن نصف قطر الأرض المُقاس عند خط الاستواء يبلغ نحو 6378,38 كيلو متر وعند القطبين نحو 6356,91 كيلو متر، أما طول قطرها عند خط الاستواء 12756 كيلومترا وقطرها بين القطبين يساوي 12713 كيلومترا»⁽²⁾.

فمثلما قلنا سابقا عند تحديدنا للمعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ الأرض بأنها شبه كروية مُسَطَّحة، فإن هناك دراسات علمية أخرى تقول بأنها تشبه حبة البطاطا أو الكمثري ولكن الأرض لم يكن شكلها الأولي بهذا الوصف - من الناحية العلمية- « فبفعل دورانها حول نفسها تنتفخ الأرض بصورة بطيئة جدا عند خط الاستواء وتتسطح في منطقة القطبين والفارق الضئيل بين قطري الأرض (43 كيلومترا) جعلها تبدو كروية الشكل إلا أنها في الحقيقة شبه كروية مسطحة»⁽³⁾. بل إن الأرض ليست كاملة التكوير، إذ تمتاز ببعض التفلطح (انبعاجها عند القطبين وتفلطحها عند الاستواء)، « وهذا التفلطح ناتج عن دوران الأرض حول محورها إضافة إلى تأثير الجاذبية المتفاوتة الناتجة من الشمس والقمر وبعض الكواكب السيارة الأخرى على الأرض، فالشكل الوحيد الذي تراه مبسوطا أمامك ولا يمكن أن تصل فيه إلى حافة هو أن تكون الأرض فيه كروية، أي أن تقوس الأرض لا يظهر للرأي على الإطلاق بالعين المجردة وفي هذه حكمة الله سبحانه بإخفاء (كروية الأرض) لتعذر إدراكها بالعين وذكر التسطيح لسهولة تمييزها حتى يستطيع الإنسان التحليق عاليا في الفضاء لرؤية كروية الأرض بأعينه»⁽⁴⁾.

ومن الدلائل العلمية المساعدة على إظهار كروية الأرض ظاهرة تسابق الليل والنهار التي وردت في قوله تعالى: ﴿ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾⁽⁵⁾ فهذه الآية تبين أن الليل والنهار موجودان في نفس الوقت، وهذا يعني أن الأرض لا بد وأن تكون كروية أو شبه كروية الشكل.

1- العلماء من بينهم: زغلول النجار(من أسرار القرآن)، ماهر أحمد الصوفي(آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية).

2- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص20.

3- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم، لبنان، ط1، 2000، ص 38-39.

4- زكريا هميمي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2002، ص131.

5- يس، الآية 40.

كما أنه يوجد دلائل أخرى تؤكد على كروية الأرض، وذلك في قوله تعالى: ﴿ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ (1) فاستخدام لفظ

" يُكْوِرُ " يدل على أن الأرض كروية، ولو كانت مُبسطة لقال يبسط الليل لأنه عندما نلف شيئاً حول كرة نقول كَوَّرْت هذا الشيء، والذي معناه اللَّافُ والدوران حول شيء كروي الشكل فتكوير الليل على النهار والنهار على الليل هو تتابعهما حول كرة الأرض باستمرار. أما في

قوله أيضاً: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ

عَمِيقٍ ﴾ (2). فكلمة "عميق" تدل على امتداد الأرض في جوانبها باعتبارها كروية الشكل، فلو

كانت مسطحة لقال: (من كل فج بعيد) لأن كلمة بعيد تفيد المسافة بين شيئين على مستوى واحد.

1-3- المَدُّ: "مَدَّ" "مَدَدْنَاهَا" "مُدَّتْ".

قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا

زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ ﴾ (3).

وقال:

﴿ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴾ (4).

1- الزمر، الآية 5.

2- الحج، الآية 27.

3- الرعد، آية 3.

4- الحجر، آية 19.

وقال أيضا:

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوْسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾⁽¹⁾.

وقوله أيضا: ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾⁽²⁾.

- المدُّ لغة:

مد الأرض في عموم اللغة يُقصد به البسط، الجذب، كثرة الماء وأصله مدد، وقد أشار إلى هذا المعنى "ابن منظور" قائلا: «المدُّ الجذب والمطل*، مده يمهده مدا ومد به فامتد ومدده فتمدد. وقال اللحياني: مدَّ الله الأرض يمهدها مدا بسطها وسواها. ويقال: مددت الأرض مدا إذا زدت فيها ترابا أو سمادا من غيرها، ليكون أعمر وأكثر ريعا لزرعها. والمد كثرة الماء أيام المذود وجمعه مذود، وقد مد الماء يمد مدا وامتد ومده غيره وأمهه»⁽³⁾. نلاحظ أن معنى مد يدل على معنى أولي أصلي هو "البسط" بالإضافة إلى معاني فرعية كالجذب التي تعني أيضا المد وكثرة الماء وغيرها من الألفاظ التي تندرج في المجال نفسه.

- المدُّ اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

أما استعمال القرآن الكريم للفظ "المدُّ" في الآيات السابقة الذكر فلا يختلف المفسرون⁽⁴⁾ في تفسيرهم لها عما جاء به المعجميين⁽⁵⁾ من معاني هذا اللفظ، وإن كان أكثر المفسرين يفسرون لفظ المد بالبسط والسعة "فابن كثير" يفسر هذه الآية بأن «جعلها متسعة ممتدة في الطول والعرض، وأرساها بجبال راسيات شامخات وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح»⁽⁶⁾.

1- ق، آية 7.

2- الانشقاق، آية 3.

*- المطل: المده مطل الحبل وغيره يمتلحه مطلا فأمطل. الطول والمطول المضروب طولاً، قال الليث: وكل ممدود ممتول (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(مطل)).

3- المرجع نفسه، مادة(مدد).

4- المفسرون: ابن كثير، الزمخشري، ابن عاشور... الخ.

5- المعجميون: ابن فارس، ابن منظور، ابن سيده... الخ.

6- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص657.

أما تفسير "البيضاوي" فيقول أن الله تعالى « بسطها طولاً و عرضاً ليثبت عليها الأقدام وينقلب عليها الحيوان»⁽¹⁾. ويتفق معهم "ابن عاشور" على المعنى نفسه حيث يشير أيضاً إلى تحمل اللفظة إضافة إلى المعنى الأول صلاحها للزراعة فيقول « المد: البسط والسعة ومنه ظلّ مديد ومنه مدّ البحر وجزره ومدّ يده إذا بسطها، والمعنى: خلق الأرض ممدودة متسعة للسير والزرع لأنه لو خلقها أسنمة من حجر أو جبلاً شاهقة متلاصقة لما يُسرّ للأحياء التي عليها الانتفاع بها والسير من مكان إلى آخر في طلب الرزق وغيره»⁽²⁾.

والغرض الرئيس من هذه الآيات هو الاستدلال بخلق الأرض وأحوالها وهذه من الدلائل المحسوسة التي تدل على عظمة الخالق، « لما قرّر الدلائل السماوية أردفها بتقرير الدلائل الأرضية، ومد الأرض بسطها طولاً و عرضاً ليتمكن التصرف فيها والاستقرار عليها، قيل: مدها ودحاها من مكة من تحت البيت»⁽³⁾. وقد استدل "أبو حيان التوحيدي" على كروية الأرض بدلالة اللزوم، فمدّ الأرض يُلزم أن يكون الشكل كروياً ولا يخفى أن استخدام هذا اللفظ يشير أيضاً إلى دقة التعبير في القرآن الكريم فقال: « ثبت بالدليل أن الأرض كرة ولا ينافي ذلك قوله (مد الأرض) وذلك أن الأرض جسم عظيم والكرة إذا كانت في غاية الكبر كان كل قطعة منها تشاهد كالسطح فتحصل في قوله (مد الأرض) ثلاث تأويلات بسطها بعد أن كانت مجتمعة، واختصاصها بمقدار معين، وجعل حجمها كبيراً لا يرى منتهاه»⁽⁴⁾.

ب)- آراء العلماء:

تكررت الإشارة القرآنية إلى تمدد الأرض في ست آيات كريمة تنبئها للباحث على أهمية هذه الحقيقة العلمية الجيولوجية التي لم يعرفها الإنسان إلا منذ ربع قرن، حيث تدل في معناها إلى البسط والتوسع، وتضاف للآيات السابقة الذكر آية أخرى تشير إلى تسطيح الأرض وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾⁽⁵⁾.

1- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج3، ص316-317.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص82.

3- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1993، ج5، ص354 (بتصرف).

4- المرجع نفسه، ص355.

5- الغاشية، الآية 20.

وقد ربط "عدنان الشريف" بين تمدد وتصدع الأرض المذكور في القرآن الكريم وبين النظريات العلمية التي تقول بزحف القارات، حيث أن تصدع الأرض وتمددتها يعدّ اليوم من الثوابت العلمية الأساسية المعتمدة في شرح نشأة القارات والبحار والجبال والبراكين والزلازل وتكونها وانتشار الأحياء، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الثوابت العلمية في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ﴾⁽¹⁾.

فنظرية تصدع الأرض وانزياح القارات التي اكتشفها العلماء مؤخراً سببها الرئيس هو تمدد الأرض وتوسعها، وهي الآيات التي أشار إليها القرآن الكريم إشارة واضحة فلا تحتاج لدليل أو برهان لأن العلم الحديث في تطور مستمر وكما وصل إلى حقيقة علمية ثابتة كان بذلك يؤكد ما جاء به القرآن الكريم منذ آلاف السنين، فمن « نظرية تصدع الأرض التي قال بها العلماء "بلاسيه" و" تايلور" وخاصة "فغنر" في النصف الثاني من القرن العشرين كحقيقة علمية ثابتة، انبثقت فكرة انزياح القارات والألواح الأرضية المتحركة أو انسياعها أو زحفها (Tectonique des plaques) التي تقول بأن قارات الأرض من اليابسة والمحيطات تمتطي متن ألواح كبيرة من القشرة الأرضية دائبة الحركة إما متباعدة أو متصادمة، بحيث تتوسع الأرض في بعض أجزائها أو تتداخل في الأجزاء الأخرى حيث يغوص بعضها تحت بعضها الآخر»⁽²⁾. وقد قدم الباحث أمثلة كثيرة عن نتائج تصدع الأرض وتمددتها وأثبت أن هذه العملية تحصل منذ مئات الملايين من السنين وإلى اليوم وبصورة بطيئة جداً فمن بين هذه التصدعات والانزياحات الأرضية نذكر ما يلي:

1- انفصال القطعة الإفريقية عن القطعة الأمريكية الجنوبية ونشأ بينهما المحيط الأطلسي الذي لا يزال يتوسع من سنتيمتر واحد إلى خمسة سنتيمترات تقريباً كل سنة.

2- ومن تباعد القطعة الإفريقية عن القطعة العربية نشأ البحر الأحمر الذي ما يزال يتمدد ويتوسع حتى اليوم.

3- فالسعودية تتباعد عن أفريقيا وتتقارب من إيران من سنتيمتر واحد إلى خمسة سنتيمترات تقريباً كل سنة⁽³⁾.

1- الطارق، الآية 12.

2- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص 28.

3- المرجع نفسه، ص 27.

بالإضافة إلى أبحاث أخرى يتنبأ فيها علماء الجيولوجيا بحدوث تصدعات جديدة في قارة إفريقيا، حيث يتوقعون فيها بولادة محيط جديد خلال مائتي مليون سنة تقريبا وسنفضل شرحها في أثناء دراسة لفظ "تصدع الأرض" دراسة دلالية. ولكن ما أثار انتباهنا أكثر أصوات الحروف المكونة للألفاظ السابقة، "فالدال و الطاء" من الحروف الشديدة الانفجارية التي تحتاج إلى جهد إضافي للنطق بها مقارنة بالحروف الرخوة المهموسة وأيضا مقابلة الدال المرققة الطاء المفخمة، وهذا يصور لنا بالتقريب مشهد خلق الأرض من خلال دحوها(تكويرها) طحوها ومدّها(تبسيطها وتوسيعها)، فانفصال الأرض عن السماء حدث بعد الانفجار الكبير، والتي أشار إليها القرآن العظيم بحادثتي(الرتق والفتق) وذلك عند انفصال السماء عن الأرض بعد أن كانتا كتلة واحدة، إذن كل المشاهد السابقة تحتاج كذلك إلى جهد شديد وانفجار كبير ولا يتجلى هذا إلا في قدرة الخالق البارئ. أما فيما يخص صوت الميم المجهور فلا هو بالشديد ولا بالرخو ولكن اتصاله بصوت الدال الشديد والمجهور فقد أكسبه بعض من صفاته.

1-4- الفِراش: "فِراشا" " فِرشناها"

قال عزّ وجلّ: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (1).

وقال أيضا: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ (2).

- الفِراش لغة:

عند سماع هذا اللفظ "فراش" للوهلة الأولى يوحي لنا بالراحة والانبساط فالأرض كالفراش المريح الذي ينبسط وينام عليه جسم الإنسان فيرتاح من تعبته، أما معاجم اللغة فتبين لنا معناه اللغوي الدقيق حيث « أن الفاء والراء والشين أصل صحيح يدل على تمهيد الشيء وبسطه. يقال: فرشت الفراش أفرشه. والفرش مصدر. والفرش: المفروش أيضا» (3).

1- البقرة، الآية 22.

2- الذاريات، الآية 48.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج4، ص486.

كما أضاف "ابن منظور" قائلاً: « فرش الشيء يفرشه ويفرشه فرشا وفرشه فانفرش وافترشه، بسطه. وقوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ أي: وطء لم يجعلها حَزنة غليظة لا يمكن الاستقرار عليها. والأرض فراش الأنام. والفَرش الفضاء الواسع من الأرض، وقيل: هي أرض تستوي وتلين وتنفسح عنها الجبال، وفرشه فراشا وأفرشه، فرشه له. ابن الأعرابي: فرش زيدا بساطا وأفرشه وفرشه إذا بسط به بساطا في ضيافته»⁽¹⁾. أما معاجم الألفاظ القرآنية فلا تختلف عن معاجم اللغة في شرح معنى لفظ "الفراش" الذي جاء بمعنى « البساط أي: بساطا، والمهاد والقرار والوطء* ألفاظ مترادفة، أي: جعل لكم الأرض مذلة، ولم يجعلها غاية في الصلابة أو الليونة»⁽²⁾.

إن معاني الألفاظ السابقة (الفراش، البساط، المهاد، القرار) توحى إلى تلك العلاقة التكوينية التركيبية والتصويرية لمشاهد خلق الكون عامة والأرض خاصة، بغض النظر عن صفات مخارج الحروف الأولى والتي تتميز أغلبها بالجهر والشدة وهذا بهدف تقديم صورة واضحة عن كيفية خلق الأرض عبر مراحل عديدة ليجعلها الله عزّ وجلّ قارة ثابتة تحمل سكانها عليها برفق كما تحمل الدابة الذلول ركابها.

- الفراش اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

لا يكاد يختلف المفسرون مع اللغويين في تفسيرهم لمعنى لفظ الفراش، حيث فسرها "ابن كثير" بأن « جعل لهم الأرض فراشا أي مهذا كالفراش مُقرّرة موطأة مُثبتة بالرواسي الشامخات أي: (الجبال) جعلناها فراشا للمخلوقات وجعلناها مهذا لأهلها»⁽³⁾.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة(فرش).

*- الوطاء والوطء: الأرض المنبسطة بين أسراب غليظة(ينظر: ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية، لبنان، المجلد13 السفر10، ص120).

2- موسى بن يوسف القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، ص177.

3- ينظر: تفسير ابن كثير، ج1، ص88، وج4، ص303.

في حين نرى أن "البيضاوي" قد قدم تفسيراً كافياً شافياً لهذه الآية وحدد موقعها من الناحية الإعرابية، كما شرح معنى الفراش بأن الله جعل الأرض مبسوطة فلا هي صلبة جداً ولا شديدة الليونة واللفظ فأخذت بذلك موقعاً وسطاً، وذكر أن « قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ صفة ثانية أو مدح منصوب أو مرفوع أو مبتدأ خبرها فلا تجعلوا⁽¹⁾ وجعل من الأفعال العامة ما يجيء على ثلاثة أوجه:

1- بمعنى صار وطفق فلا يتعدى كقوله: "فقد جعلت قُلوص* بني سهيل من الأكوار* مرتعها قريب".

2- وبمعنى أوجد فيتعدى إلى مفعول واحد.

3- وبمعنى صير ويتعدى إلى مفعولين كقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا ﴾ والتصيير يكون بالفعل تارة وبالقول أو العقد* تارة أخرى⁽²⁾.

فالفعل "جعل" تعدى إلى مفعولين هما "الأرض فراشا" و"السماء بناء"، فالله عز وجل جعل وصير بالقول والفعل- الذي يليق بمقامه العظيم والعالي - الأرض مبسوطة كالفراش المهيأ للنوم والراحة، كما رفع السماء عالياً فجعلها كالبناء الحصين الذي يحمي الأرض من النيازك والشهب وأشعة الشمس الحارقة. ويواصل "البيضاوي" تفسيره للفظ الفراش قائلاً: « ومعنى جعلها فراشا أن جعل بعض جوانبها بارزا ظاهرا عن الماء مع ما في طبعه من الإحاطة بها وصيرها متوسطة بين الصلابة واللطافة حتى صارت مهيأة لأن يقعدوا ويناموا عليها كالفراش المبسوط وذلك لا يستدعي كونها مسطحة لأن كروية شكلها مع عظم حجمها واتساع جرمها لا تأبى الافتراض عليها⁽³⁾. كما أنه شبه « الأرض المفروشة بالمهد الذي ينام فيه الطفل الرضيع فيستقر ويرتاح فيه⁽⁴⁾».

1- أي: ﴿ فلا تجعلوا الله أندادا وأنتم تعلمون ﴾، البقرة، الآية 22.

*- القلوص: من الإبل الشابة أو الباقية على السير، أو أول ما يركب من إناثها، والناقاة الطويلة القوائم ج: قلانص وقُلص.
* الكور: بالضم الرَّحْل، وبالفتح: الجماعة الكثيرة من الإبل ج: أكوار (ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(قلص) ومادة(كور)).

*- العقد: عرفه الجاحظ في البيان والتبيين، السفر الأول، ص114، بقوله: (العقد: ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له حساب اليد، وقد ورد في الحديث أنه عَقَدَ عقد تسعين).

2- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج1، ص222.

3- المرجع نفسه، ج1، ص223.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص241.

أما "ابن عاشور" فقد بيّن دلائل عظمة الله عزّ وجلّ وقدرته في استمرار نعمه على عباده وأولها أن جعل المكان الصالح للاستقرار كالفراش الممهد والموطأ وللعيش عليه دون شقاء وعناء، « ومعنى جعل الأرض فراشا أنها كالفراش في التمكن من الاستقرار والاضطجاع عليها وهو أخص أحوال الاستقرار، والمعنى أنه جعلها متوسطة بين شدة الصخور بحيث تؤلم جلد الإنسان وبين رخاوة الحمأة بحيث يتزحزح الكائن فوقها ويسوخ فيها وتلك مئة عظيمة»⁽¹⁾.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ استعارة تصريحية، حيث صرّح

بالمشبه (الأرض) وحذف المشبه به (الفراش) ودلّ عليه بقريضة من قرائنه (فرشناها) حيث شبه الله تعالى - والله المثل الأعلى - خلق الأرض وتكوينها أثناء بسطها كالفراش أو الثوب الذي يُبْسَطُ لأهل البيت أو لاستقبال الضيوف فيجدوا في ذلك راحة جسمية ونفسية وقد قدم ابن عاشور شرحا مفصلا لهذه الآية مفاده أن: « الفَرَشُ: بسط الثوب ونحوه للجلوس والاضطجاع، وفي "فرشناها" استعارة تبعية، شبه تكوين الله الأرض على حالة البسط بفرش البساط ونحوه، وفي هذا الفرش دلالة على قدرة الله وحكمته إذ جعل الأرض مبسوطه. ولما كان في فرشها إرادة جعلها مهذا لمن عليها من الإنسان أتبع "فرشناها" ببناء الله على نفسه على إجابة تمهيدها تذكيرا بعظمته ونعمته، أي فنع الماهدون نحن»⁽²⁾. نلاحظ أن هناك تتابع في معاني بعض الألفاظ القرآنية فكل لفظ يشير إلى معنى لفظ آخر فمثلا: لفظ "دحاها" يشير بمعناه إلى لفظ "طحاها" والذي بدوره يقودنا لمعاني ألفاظ أخرى هي: "المدّ" "الفراش" و"المهد" و"البساط" و"التسطيح".

(ب)- آراء العلماء:

فسّر علماء الجيولوجيا الآية: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴾ بأن الله تعالى أشار

إلى طبقات الأرض خاصة الطبقة الأولى "الفراش" أو "التراب"، ولهذا يُدرجونها ضمن علم طبقات الأرض حيث تعد الصخور المكون الرئيس لقشرة الأرض وهي في الأصل عبارة عن مجموعة من المعادن التي تراكمت في منطقة ما وتعرضت لظروف تكوين معينة وقد قسم علماء الجيولوجيا صخور قشرة الأرض لأنواع مختلفة من بينها تقسيم العالم Rosenbus "روسنبيس" الذي قسمها « إلى ثلاثة أنواع:

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص331.

2- المرجع نفسه، ج27، ص17.

1- الصخور النارية.

2- الصخور الرسوبية.

3- الصخور المتحولة.

تتركب قشرة الأرض في معظمها من صخور نارية نتجت عن تصلب الصهارة المندفعة من داخل الأرض إلى أعلى باتجاه السطح، ويعتمد التركيب المعدني والكيماوي للصخور النارية على التركيب الأصلي للصهارة والذي يعد أكسيد السليكون (السليكا) SiO_2 المكون الرئيس لها⁽¹⁾. أما "ماهر أحمد الصوفي" فقد فرق بين معنى "قرارا" و"فرشناها" فالأولى معناها أن الله جعل الأرض مكانا ثابتا لا يحميد ولا يميد، أما معنى قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ

فَرَشْنَهَا﴾⁽²⁾ «أي: مهّدها وسوّيناها ووضعنا فوقها التربة الناعمة الطرية الصالحة للحياة

فكانت كالفراش الذي تمدونه لتستريحوا عليه وتناموا مطمئنين لأن الطبقة الصخرية الأولى لا تكون تماما كالفراش بل لا بد من بعض التثواءات والفرجات فتأتي طبقة التربة فتكسوها وتفرشها فيكون النفع مرتين، مرة لتوفير الحياة الهنية الرغيدة فوق تربة ناعمة، ومرة لتكون سببا أوليا في تأمين معاشكم على سطحها بواسطة النبات وتوفير الكلا لكل المخلوقات ولتستمر الحياة⁽³⁾. لم يكن سطح الأرض صالحا من قبل للعيش وللزراعة، ولكن مع مرور الزمن وتأثير الظواهر الجيومرفولوجية التي تسببت في تغيير شكلها من زمن جيولوجي لآخر، وهذه الأخيرة بينها " زغلول النجار" في أبحاثه العلمية الصادرة في مجلة " قضايا وآراء" معتبرا تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض سبب ظهور السلاسل الجبلية الوعرة والقاسية، فكل هذه العوامل تساعد على بسط الأرض وتسطيحها وفرشها بتربة صالحة للانتفاع بها في أعمال الخير ويتم « تحويلها إلى تلال متوسطة الارتفاع يتم بريها إلى سهول منبسطة مع الزمن، وهنا تنتهي دورة تعرية سطح الأرض وتبدأ دورة الصخور وغيرها من الدورات التي لعبت ولا تزال تلعب أدوارا هامة في تسوية سطح الأرض وتمهيدها، وشقّ السبل فيها وتكوين التربة اللازمة للزراعة وللإنبات»⁽⁴⁾.

1- محمد صبري محسوب، جيومرفولوجية الأشكال الأرضية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1997، ص20.

2- الذاريات، الآية48.

3- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص197.

4- زغلول النجار، من أسرار القرآن: الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، مجلة قضايا وآراء، العدد42063-126، ط 1422-2002، رقم 33.

فالتربة عنصر أساس لنمو شتى أنواع النباتات والزرورع، فلا يمكن لأي نبتة برية أو بحرية أن تنمو وتثمر وتتغلغل جذورها الباحثة عن الغذاء في إلا تربة غنية بالأملاح المعدنية و بأنواع أخرى من الأملاح، فسبحان الذي هيأها وفرشها بالتربة وجعلها قرارا ثابتا وسلك لنا فيها سبلا، وأمن عليها معاشنا وحياتنا آمنين، وخلق التربة أمر عظيم ومعجز وفيه آية إلهية كبرى⁽¹⁾.

5-1- المهد: مهذا، مهادا، الماهدون.

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْ نَّبَاتٍ شَتَّى ﴾⁽²⁾.

وقال تعالى:

﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾⁽³⁾.

وقال أيضا: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا ﴾⁽⁴⁾.

وقال: ﴿ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَهْدُونَ ﴾⁽⁵⁾.

1- وقد بيّن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أهمية خلق التربة في الحديث الشريف الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهم:

(عن أبي هريرة قال: أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بيدي فقال: ((خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبيتّ فيها التّواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة، في آخر الخلق وفي آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل)).

- ينظر: مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق وخلق آدم عليه السلام، الحديث رقم 2789، ص 1285. (تاريخ التسجيل 2008\01\22 PDF).

2- طه، الآية 53.

3- الزخرف، الآية 10.

4- النبأ، الآية 6.

5- الذاريات، الآية 48.

- المَهْد لغة:

يستهل "ابن فارس" تعريفه بالمصدر الثلاثي للفظ "مهد" بقوله أن: « الميم والهاء والذال كلمة تدل على توطئة وتسهيل للشيء، ومنه المهد، ومهدت الأمر: ووطأته. وتمهد: توطأ والمهاد: الوطاء من كل شيء. وامتهد سنام البعير وغيره: ارتفع. قال أبو النجم: { وامتهد الغارب فعل الدَّمْل } أي: ارتفع وتسوى وصار كالمهاد. وجمع المهاد مُهد⁽¹⁾».

أما المهاد عند "ابن منظور" هو الفراش والبساط وذلك لاعتبارات كثيرة، من بينها قولنا: مهّدت لنفسي مهادا أي فرشت لنفسي فراشا وبسطته ووطأته أو « مهّد لنفسه يمهد مهدا: بسطته ووطأته. يقال للفراش: مهاد لوثارته. والجمع أمهدة ومُهد. الأزهرى: المهاد جمع من المهد كالأرض جعلها الله مهادا للعباد، وأصل المهد التوثير، يقال: مهّدت لنفسي ومهّدت أي جعلت لها مكانا وطيئا سهلا. ومهّد لنفسه خيرا وامتهده: هياها وتوطأه. والمهد: مهّد الصبي موضعه الذي يهيا له ويوطأ لينام فيه»⁽²⁾.

إذن فالمهاد والمهد الأرض التي فرشت ووطأت بفراش وثير كهيئة المهد المجهز بأفرشة ناعمة تساعد على النوم المريح والهادئ، فلو لم تُفرش الأرض بهذه الطبقة من التراب لكانت خشنة مُحَدودية غير صالحة حتى للمشي عليها، ولو لم تُثبت بالجبال الراسيات لكانت أرضاً كثيرة الاهتزاز والحركة.

- المهد اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

لا نرى اختلافاً في آراء اللغويين والمفسرين حول معنى لفظ "المهاد"، فهي الأرض المفروشة ببساط وثير ومريح حيث تبقى قارة ساكنة رغم حركتها الدائبة في فلك الكون الفسيح، فقوله تعالى: ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا ﴾ « أي: فراشا قرارا ثابتة تسيرون عليها وتقومون وتنامون وتنصرفون، مع أنها مخلوقة على تيار الماء، لكنه أرساها بالجبال لنلا تميد هكذا ولا هكذا ﴿ وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا ﴾ أي: طرقا بين الجبال والأودية»⁽³⁾.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، باب الميم والهاء وما يتلثهما، ص213.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(مهد).

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص157.

وقد ركز أغلب المفسرين على اختلاف القراءات لهذا اللفظ فمنهم من قرأه "مهّادا" في سورتي "طه" و"الزخرف"، وغيرهم قرأه "مهّادا" ولكنهم اتفقوا في معناه:

- فالأول: يُقصد به الفراش واللباس على العموم.

- أما الثاني: فمعناه المهّد أي: السرير الذي يُمهّد للصبي عند نومه.

وهذا ما أشار إليه "البيضاوي" في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ

مَهْدًا﴾⁽¹⁾ «أي: مرفوع صفة لربي أو خبر لمحذوف أو منصوب على المدح وقرأ الكوفيون

هنا وفي الزخرف مهّادا أي: كالمهّد تتمهّدونها، وهو مصدر رسمي به والباقون مهّادا وهو اسم ما يُمهّد كالفراش أو جمع مهّد ولم يختلفوا في الذي في النبا»⁽²⁾.

أما "ابن عاشور" فقد بيّن موقع الآية من الإعراب كما حدّد الاختلاف القائم بين المقرئين

في قراءتهم للفظ "مهّادا"، ولكنهم يتفقون في تحديد معناها ولهذا اعتبر قوله تعالى: ﴿الَّذِي

جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ «خبر مبتدأ محذوف أي: هو الذي جعل لكم الأرض مهّادا

والضمير عائد إلى الرب المفهوم من "ربي" أي هو رب موسى. وقرأ الجمهور "مهّادا" بكسر

الميم وألف بعد الهاء وهو بمعنى الممهّد مثل الفراش واللباس ويجوز أن يكون جمع مهّد

وهو اسم لما يُمهّد للصبي، أي يوضع عليه ويحمل فيه فيكون بوزن كعاب جمعا لكعب

ومعنى الجمع على اعتبار كثرة البقاع، وقرأ "عاصم وحمزة والكسائي وخلف" (مهّادا) بفتح

الميم وسكون الهاء، كالمهّد الذي يُمهّد للصبي، وهو اسم بمصدر مهّده على أن المصدر

بمعنى المفعول كالخَلَق بمعنى المخلوق، ثم شاع ذلك فصار اسما لما يُمهّد. ومعنى القراءتين

واحد أي: جعل الأرض ممهّودة سهلة للسير والجلوس والاضطجاع بحيث لا نتوء فيها

إلا نادرا يمكن تجنبه، كقوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾⁽³⁾ «⁽⁴⁾.

1- طه، الآية 53.

2- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص55.

3- نوح، الآية 19.

4- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص236.

كما أن "ابن عاشور" يؤكد عدم تنافي كروية الأرض وتمهيدها وانبساطها فلولا هذا لما استطاع الناس الانتفاع بخيراتها الكثيرة « والمهاد: اسم لشيء يُمهد أي يُوطأ ويسهل لما يحلّ فيه. ووجه الامتنان أنه جعل ظاهر الأرض منبسطة وذلك الانبساط لنفع البشر الساكنين عليها. وهذا لا ينافي أن جسم الأرض كروي كما هو ظاهر»⁽¹⁾.

اهتم علماء التفسير كثيرا بتبيين معنى الألفاظ الدالة على تكوين وخلق الأرض، لأن الله عز وجل قد بيّن في آياته أدق التفاصيل في أثناء خلقه للأرض وما عليها من جبال وبحار ونبات وغيرها من المخلوقات، فالأرض هي الكوكب الوحيد الأقرب مشاهدة للإنسان حيث لا يقع في تناقض بين ما نُكر في القرآن العظيم من دلائل علمية وفلكية أثبتتها العلم المعاصر مؤخرا وبين ما يشاهده بأَم عينه من آيات عظيمة تُبهر العقول وتسحر القلوب.

(ب) - آراء العلماء:

لقد كشفت الملاحظات العلمية أن هناك موافقات علمية دقيقة، وتناسق ملحوظ بدقة في هذا الكون الفسيح، وذلك من خلال الأرض بهيأتها التي حيرت عقول العلماء وبعد الشمس عنها بمعدل مثالي، فلا هي شديدة القرب منها فتحترق بأشعتها الحارقة ولا هي شديدة البعد فتتجمد لعدم وصول أشعة الشمس إليها بشكل كاف، ويمثل بعد القمر عنها بمقدار موزون عامل مهم لوصول نوره بطريقة مميزة، بالإضافة إلى مميزات أخرى لا تقل أهمية عن الأولى كحجم الشمس والقمر بالنسبة لحجمها، وسرعة حركتها المثيرة للجدل بين علماء الفلك وكذلك ميل محورها عند دورانها، أما تكوين سطحها فهو الأمر الأكثر جدلا ونقاشا بين كل العلماء وذلك من خلال الخصائص التي تميزها عن غيرها من الكواكب كالماء، الهواء الجاذبية، الطاقة وآلاف المقومات المترابطة التي تجعل من الأرض سكنا مثاليا لكل المخلوقات، كما « جعل الله تعالى الأرض مهذا "ممهّدة" كي يستطيع البشر أن يتعايشوا عليها، فلا يمكن للبشرية أن تعيش ضمن انكسارات أرضية ولا فجوات ولا نُتوءات ولا فُرجات شديدة وصخور ووديان سحيقة كتلك الموجودة على سطح الكواكب الأخرى»⁽²⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج25، ص169.

2- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص202.

لقد أثرت عوامل كثيرة على تغيير شكل القشرة الأرضية، والتي من خلالها تم تسوية الأرض وتمهيدها وجعلها كالفراش والبساط، « وتتلخص عمليات الهدم هذه بالعوامل الخارجية التالية:

1- التجوية: وهي عملية تحضيرية للهدم، تشترك في تحضيرها عوامل فيزيائية وكيميائية وحيوية التي ينتج عنها تغيير درجة حرارة الصخور، مما يؤدي إلى تفتتها.

2- التعرية: وتسببها المياه الجارية والرياح والجليد المتحرك، فتنتقل المواد المتحللة بسبب التجوية لتعرض طبقة جديدة من الصخر إلى التجوية.

وكل هذه العوامل تشترك عبر مئات بل آلاف بل ملايين السنين في تسوية الأرض وتمهيدها لتكون في النهاية صالحة للحياة»⁽¹⁾.

1-6- البساط: بساطا

قال الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾⁽²⁾.

- البساط لغة:

جاء في "مقاييس اللغة" أن لفظ بساط مشتق من « بَسَطَ: الباء والسين والطاء أصل واحد وهو امتداد الشيء في عَرْضٍ وغير عَرْضٍ. فالْبَسَاط ما يُبْسَط. والبَسَاط الأرض، وهي البسيطة يقال مكان بَسِيْطٍ وبَسَاطٍ»⁽³⁾.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص207.

2- نوح، الآية19.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص247.

كما ورد تعريف آخر "لابن منظور" يشير فيه إلى أن « البَسَطُ: نقيض القَبْضِ، بَسَطَهُ يَبْسِطُهُ بَسَطًا فانبسط وبَسَطَهُ فَبَسَطَ، وبَسَطَ الشَّيْءَ: نشره وبالصاد أيضا. وانبسط الشيء على الأرض، والبسيط من الأرض، كالبساط من الثياب والجمع البساط والبساط: ما بسط. وأرض بساط وبسيطة: مُبسطة مُستوية. وقيل: البسيطة الأرض اسم لها. أبو عبيدة وغيره: البساط والبسيطة الأرض العريضة الواسعة. وتبسط في البلاد أي سار فيها طولا وعرضا. ويقال: مكان بساط وبسيط، وقال الفراء: أرض بساط وبساط مُستوية لا تَبَلُّ فيها. وهذا فراش يبسطك إذا كان واسعا وهذا بساط يبسطك أي يسعك. البساط بالفتح والكسر والضم فأما بالفتح فهو الأرض الواسعة»⁽¹⁾.

ونرى هنا أن "ابن منظور" قد جمع في معجمه أغلب ما قاله اللغويون العرب في شرحهم للفظ "بسط" وذلك من خلال سياقات متباينة، فالبسط إذن هو المدُّ والتمهيد في توسع وامتداد عبر مختلف الجوانب والاتجاهات، والبساط اسم من أسماء الله الحسنى على وزن "فاعل" وهي صفة تدل على قدرته العظيمة في توزيع وبسط أرزاقه بقدر معلوم.

- البساط اصطلاحاً:

أ- آراء المفسرين:

بين لنا "ابن كثير" العلاقة التركيبية بين بسط الأرض وتثبيتها بالجبال الراسيات، حيث « يقول الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴾ أي: بسطها ومهدّها وقرّرها وثبّتها بالجبال الراسيات الشّم والشامخات»⁽²⁾. ويؤكد ذلك "الطبري" في قوله أن: « الله جعل لكم الأرض بساطًا تستقرون عليها وتمتهدونها»⁽³⁾.

*- التَّبِيلُ: عظام الحجارة والمدر ونحوهما وصغارها ضد، واحدها تَبْلَةٌ، وقيل: التَّبِيلُ العظام والصغار من الحجارة والإبل والناس وغيرهم (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (تبيل)).

1- المرجع نفسه، مادة (بسط).

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص546.

3- الطبري، تفسير الطبري، ج23، ص300-301.

لم يتوسع المفسرون كثيرا في تفسير هذه الآية، لأن معنى لفظ "البساط" - حسب رأيهم- يترادف مع معاني الألفاظ السابقة (دحاها، طحاها، الفراش، المد، المهاد)، ولكن "ابن عاشور" يذكر تفسيراً مفصلاً لهذه الآية يقول فيه « والبساط: ما يفرش للنوم عليه والجلوس من ثوب أو زربية فالإخبار عن الأرض ببساط تشبيه بليغ، أي كالبساط، ووجه الشبه تناسب سطح الأرض في تعادل أجزائه بحيث لا يوجع أرجل المشاة ولا يُقضى جنوب المضطجعين وليس المراد أن جعل حجم الأرض كالبساط لأن حجم الأرض كروي، وقد نبّه على ذلك بالعلة الباعثة في قوله: (لكم) والعلة الغائبة في قوله: ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾⁽¹⁾

وحصل من مجموع العلتين الإشارة إلى جميع النعم التي تحصل للناس من تسوية سطح الأرض مثل الحرث والزرع، وإلى نعمة خاصة وهي السير في الأرض، وخصت بالذكر لأنها الأهم ولاشتراك كل الناس في الاستفادة منها»⁽²⁾.

أما المعاجم المتخصصة في تفسير مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فقد بيّنت معنى البسط وبسيط الأرض، حيث نُكِرَ فيها أن « بسط الشيء: نشره وتوسّعه، فتارة يُتصور منه الأمران وتارة يُتصور منه أحدهما، ويقال بسط الثوب نشره وهه البساط، وذلك اسم لكل مبسوط والبساط الأرض المُتسعة. وبسيط الأرض: مبسوطة، واستعار قوم البسط لكل شيء لا يُتصور فيه تركيب وتأليف ونظم»⁽³⁾، أي أن كل بسيط أو بساط يقابل في معناه السهولة والليونة.

1- نوح، الآية 20.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 29، ص 205.

3- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات أَلْفَاظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، ص 124.

لقد لفت انتباهنا في تعريف "ابن منظور" أن البسط نقيض القبض، وبسط الشيء نشره وبالصاد أيضا، وهذا يدل على أن "بسط" بالسين و"بسط" بالصاد يشتركان في المعنى نفسه ويرجع إلى أن «السين، الزاي والصاد من الأصوات الأسلية (أصوات الصغير) وذلك لأن مجرى هذه الأصوات يضيق جدا عند مخرجها فتحدث عند النطق بها صفيرا عاليا. فالسين صوت رخو مهموس مخرجه من طرف اللسان فوق الثنايا السفلى. أما الصاد فيشبه السين في كل شيء سوى أن الصاد أحد أصوات الإطباق، إذ يكون مقعرا منطبقا على الحنك الأعلى مع تصعد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان إلى الورا قليلا ككل الأصوات المطبقة»⁽¹⁾. ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن لماذا جاء صوت السين مشابها لصوت الصاد من حيث الإطباق؟ ولماذا كُتب اللفظ بالسين ولم يُكتب بالصاد مباشرة؟

الجواب: على هذه الأسئلة يتعلق بحرف "طاء" الذي يعد صوتا شديدا ومهموسا وهو أحد أصوات الإطباق مثل الصاد، فلماذا من الصعب أن يتجاوزا وقد ينقل على اللسان النطق بهما متتابعين في سياق واحد، ولأن السين صوت رخو مهموس فقد أكسبه الطاء صفة الإطباق من مجاورته له.

(ب) - آراء العلماء:

ذكرنا سابقا في دراستنا الدلالية لآية تمهيد الأرض أهم الظواهر والعوامل الخارجية المؤثرة في تكوين القشرة الأرضية، أما من خلال آية بسط الأرض وميل الكثير من اللغويين والمفسرين لتفسير لفظ "بساطا" بمعنى مدّ الفراش في توسع وانبساط عبر امتداد لا تكاد العين البشرية أن تطاله إلا من خلال الأقمار الصناعية المتطورة، ولهذا وقع العديد من العلماء الفلكيين والجيولوجيين الغربيين في تناقض بين ما يشير إليه القرآن الكريم من حقائق علمية ثابتة وما أشارت إليه الأبحاث العلمية والفلكية الحديثة، وهذا ما جعلهم يهاجمون القرآن الكريم معتقدين أنه وقع في نفس الخطأ الذي وقعت فيه البشرية عبر تاريخها الطويل، حيث كان الناس يعتقدون أن الأرض مسطحة، ولكنهم فهموا ظاهر القول وبطريقة خاطئة، فالقرآن العظيم أشار وبصورة واضحة إلى كل ما أثبتته العلم الحديث وما سيثبته لاحقا لأن القرآن العظيم «ليس كتابا فلكيا أو كيميائيا أو فيزيائيا، إنه كتاب دعوة وهداية، حمل في طياته إشارات علمية صحيحة لأنها من الخالق ولذلك التلفظ بكروية الأرض أو الإشارة إلى كرويتها في القرآن الكريم ربما يكون حجة لبعضهم في خطأ القرآن الكريم، لأن الأرض ليست كروية تماما، فهي ناقصة عند أطرافها منتفخة في وسطها»⁽²⁾.

1- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط4، 1992، ص74-75-76 (بتصرف).

2- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص217-218.

هذا القول يشير إلى آية (نقص الأرض من أطرافها) التي سنفصل في توضيح دلالاتها المتباينة لاحقاً، لنوضح العلاقة الكامنة بين تكوير الأرض ونقص أطرافها من الجنوب والشمال.

ولكننا نخلص إلى قول مفاده أن العلماء لم يوفوا هذا اللفظ حقه من الدراسة والتحليل لأنه يثير في أنفسهم شكوكاً حول ما إذا كان القرآن العظيم يقصد ببسط الأرض أنها مسطحة وبالتالي انتفاء كرويتها، أم أنها كالبساط الذي يُفرش ليسهل الاضطجاع والاستلقاء عليها أم أنها بسيطة أي: سهلة الحرث والزرع ولا يصعب الانتفاع من خيراتها. ولكننا لو أمعنا النظر في الألفاظ السابقة خاصة (دحاها، طحاها، مدها وبسطها) لوجدنا خيطاً رقيقاً يربط بينها فامتداد الأرض وتوسّعها لا يعني بالضرورة الحتمية أن تكون الأرض مُسَطَّحة الشكل ولكن الأمر الذي لا جدال فيه هو أن كل شكل كروي يتميز بصفتي الامتداد وتوسع أطرافه وبالتالي فالأرض كروية مسطحة تمتد لتتوسع عبر جهاتها المترامية الأطراف، ولأن العين المجردة ترى الامتداد والتوسع، أما التكوير فلا تراه إلا من خلال التلّافز أو المركبات الفضائية، وشكل الأرض الذي نراه بأم أعيننا الآن لم يكن وليد الصدفة بل أثرت في تشكيله عوامل عديدة، وهناك عاملان مهمان لهما تأثير واضح في تكوين تضاريس الأرض ومناظرها الطبيعية لكن تأثيرهما يحدث ببطء وعلى مدى ملايين السنين، وهما ظاهرتا الحث والتعرية « فالحث يحدث التآكل الناتج عن العوامل الطبيعية كالرياح والمطر والجليد والصقيع والأنهار والبحار، أما التعرية فهي عبارة عن تفتت الصخور الصلبة إلى قطع صغيرة فتنتقل من مكان إلى آخر وبتزايد تفتتها فنحل إلى جسيمات صغيرة جداً تتسبب بشكل تراب»⁽¹⁾.

فهذه العمليات الجيولوجية لا تحدث على سطح الأرض فقط ونجدها بكثرة في المناطق الصحراوية والجليدية، ولكنها تحدث كذلك تحت سطح الأرض أي: في قاع البحار والمحيطات، وقد تمت هذه العمليات خلال ملايين السنين من عمر الأرض، فتآكل الجبال من عوامل الجو ورمّ الوديان السحيقة والمتوسطة لتكون أرضاً مبسوطة ممهدة صالحة للحياة تمت في زمن قانوني علمي دقيق أوجده الله سبحانه وتعالى.

1-7- التسطيح: سُطحت

قال الله تعالى: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾⁽²⁾.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص162.

2- الغاشية، الآية20.

- التسطيح لغة:

السَّطْحُ والبَسَطُ لفظان لهما المعنى نفسه وهو الاستواء والمدُّ، حيث « أن السنين والطاء والحاء أصل يدل على بسط الشيء ومدّه من ذلك السَّطْحُ المعروف. وسطح كل شيء: أعلاه الممتدُّ معه»⁽¹⁾. ويضيف "ابن منظور" قائلاً: « والسَّطْحُ: ظهر البيت إذا كان مستويا لانبساطه، وهو من كل شيء أعلاه، والجمع سُطُوح وفعْلُك التَّسْطِيحُ وِسْطَحَ البيت يَسْطِحه سَطَطَ وَسَطَّحه سَوَّى سَطَّحه. وَسَطَّحَ اللهُ الأرضَ سَطَّحاً: بَسَطَهَا. والسَّطْحُ: سَطَّحَ الشيءَ على وجه الأرض. وتَسَطَّحَ الشيءَ وانسَطَحَ: انبسط»⁽²⁾.

بيّن اللغويون هنا أنّ لفظي "السَّطْحُ" و"التَّسْطِيحُ" يعنيان أعلى كل شيء، وشبّهت عملية تسطّيح الأرض بسطح وظهر البيت إذا كان مستويا ومنبسطا أثناء بناءه، فلو كان سطح أو سقف البيت محدودبا غير مُسَطَّحٍ لأصبح العيش فيه خطيرا، لأن سطحه غير مستقر وبالتالي يمكنه السقوط على أصحابه والشيء نفسه ينطبق على الأرض، فأى خلل في عملية تهيئة الأرض وتسويتها قد يهدد حياة البشر، ولكن الله عزّ وجلّ جعلها مُمهّدة مُسطَّحة ومُستوية كالبساط الوثير والناعم الذي يُشعر بالراحة والاطمئنان.

- التسطيح اصطلاحا:

(أ)- آراء المفسرين:

ذهب أكثر المفسرين من أن "سَطَّحت" في هذه الآية بمعنى بُسَّطت ومُدَّت حتى صارت مهادا لكل المخلوقات، حيث « يقول الله تعالى أمرا عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِّحَتْ ﴾ أي: كيف بُسَّطت ومُدَّت ومُهَّدت»⁽³⁾. كما أن الأرض « بُسَّطت حتى صارت مهادا وقرئت الأفعال الأربعة على بناء الفاعل للمتكلم وحذف الراجع المنصوب والمعنى (أفلا ينظرون) إلى أنواع المخلوقات من البسائط والمركبات ليتحقوا كمال قدرة الخالق سبحانه وتعالى فلا ينكروا اقتداره على البعث»⁽⁴⁾.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص72.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(سطح).

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص650.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص484.

لقد وجه الله تعالى نظر الإنسان إلى مخلوقات عظيمة تبيّن دلائل وحدانيته وتدفع إلى ضرورة التفكير الدقيق في عظيم الموجودات التي ذكرها « فقد عرّج أولاً إلى السماء وهي السقف المرفوع الذي يحمينا من شتى المخاطر، ثم نزل بأنظارهم إلى الأرض وهي تحت أقدامهم وهي مرعاهم ومُفترشهم، وقد سطّحها الله، أي خلقها ممهدة للمشى والجلوس والاضطجاع. ومعنى سَطَّحْتُ: سَوَّيْتُ يقال: سَطَّحَ الشيء إذا سَوَّاه ومنه سَطَّحَ الدار. والمراد بالأرض أرض كل قوم لا مجموع الكرة الأرضية، وبنيت الأفعال الأربعة إلى المجهول للعلم بفاعل ذلك»⁽¹⁾.

(ب)- آراء العلماء:

لا يختلف التفسير العلمي عما جاء به أهل المعاجم والتفسير حول أن الأرض تبدو للواقف عليها مسطحة واسعة الأطراف، وهذا ينطبق على شكلها الشبيه بالكرة فتسطيح الأرض لا ينفى كرويتها، حيث « أن تماسك الأرض كتلة وشكلا له علاقة قوية بقوة الثقالة* التي تزيد في قوة التماسك الجزئي لمكونات الأرض. لقد حدّدت قوة الثقالة النماذج الأساسية لأشكال التضاريس على سطح الأرض، وبالواقع فإن صعود المصهورات الصخرية (المهل أو الماغما) نحو سطح الأرض يعرضها لتأثير قوة الثقالة»⁽²⁾.

ويرى "جمال آغا" أن لقوة الثقالة تأثير كبير على تكوين الشكل الكروي للأرض، وذلك أكبر من تأثير القوة النابذة التي لا تتغير إلا إذا تغيرت سرعة دوران الأرض حول نفسها فقد اعتبر أن « الشكل القريب من الكروي للأرض ثووجه بخاصته قوة الثقالة وهي أكبر بمئات المرات من قوة تماسك معدن الفولاذ وبالطبع أكبر من قوة تأثير القوة النابذة، ولو كان الأمر غير ذلك لتحولت الأرض إلى شظايا متطايرة في رحاب الفضاء»⁽³⁾. كما أن « من مزايا وجود قوة الثقالة أنها تساعد على سيطرة حركة الجريان المهلي الأفقية وبالواقع يُقسم سطح الأرض إلى العديد من السطوح (المسطحات والصفائح) المتجاورة مثل: الأفريقية الأطلسية... الخ»⁽⁴⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص306.

2- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص52.

*- قوة الثقالة نتاج محصلة قوتين متعاكستين الاتجاه هما:

- الأولى: تتمثل بقوة جاذبية كتلة الأرض وشعاعها يتجه نحو مركز الأرض.

- الثانية: شعاعها يتجه خارج نطاق الأرض وتمثلها القوة الأرضية النابذة الناتجة عن حركة الأرض الدورانية حول محورها القطبي.

3- المرجع نفسه، ص54.

4- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص56.

لقد ربط العلماء بين وصف الله تعالى للأرض بالسُّطْحَة وبين ما اكتُشف حديثاً عن المسطحات والصفائح المُكونة لقشرة الأرض الخارجية، فلو كانت هذه الأخيرة كتلة واحدة ومتماسكة لما تَفَجَّرت الأنهار والينابيع وما خرجت النباتات والزرع، فالتصدعات والتشققات الناتجة عن الزلازل والبراكين أدت إلى ظهور مسطحات أرضية متجاورة لكنها تختلف في خصائصها الجيولوجية لتُكون قارات بأكملها.

كما أن "النعمي" عدّ الآية السابقة الذكر مهمة من خلال مضمونها الفيزيائي والفلكي حيث وضَّح الفرق بين رؤية بعض الفلكيين والمفسرين قديماً لموضوع كروية الأرض أو تسطيحها كما بيّن الخطأ الذي وقعوا فيه قائلًا: « ونتمعن في شبه جملة (كيف سطحت) المرتبطة بالأرض ونحاول تدارك موضوع التسطيح والتسطح في الأرض مقابل كرويتها ما دام بعض المفسرين أخذ على علماء الهيئة (خطأ) كروية الأرض إذ قال تعالى: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾ أي: بُسِطت فيستدلوا بها على قدرة الله تعالى ووحدانيته وصُدِّرت بالإبل لأنهم أشد ملامسة لها من غيرها»⁽¹⁾.

ولهذا خاطب الله عزَّ وجلَّ عباده بما تراه أعينهم وتدركه أبصارهم فوصف الأرض بأنها مسطحة ولم يصرح بكرويتها، فالشكل الوحيد الذي تراه مبسوطاً أمامك ولا يمكن أن تصل فيه إلى حافة هو أن تكون الأرض كروية، « فاستنادنا إلى هذه "النظرة" في تفسير رؤية الأرض بالمسطحة لهو صحيح تماماً، لأن "مدى" رؤية العين "محدودة" جداً مقارنة بسعة سطح الأرض، أي أن تقوِّس الأرض لا يظهر للرائي على الإطلاق بالعين المجردة وفي هذه حكمة لله سبحانه بإخفاء "كروية الأرض" لتعذر إدراكها بالعين، وذكر التسطيح لسهولة تمييزه بها حتى استطاع الإنسان التحليق عالياً في الفضاء ورأى بأبصاره كروية الأرض»⁽²⁾.

1- حميد مجول النعمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص37.

2- المرجع نفسه، ص38.

1- (8) - القَرَار: قَرَارَا

قال عزّ وجلّ: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (1).

وقال أيضا: ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ۗ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۗ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (2).

- القَرَار لغة:

يوحي لفظ "القرار" بالاستقرار والسكينة في المكان الذي يعيش فيه الإنسان، فلو لم تكن الأرض قارة ثابتة لما استطاع البشر أن ينتقلوا ويضطجعوا عليها ويسترزقوا من خيراتها بكل راحة واطمئنان، حيث « يقال قرَّ واستقر. وقال قوم في الدعاء: أقر الله عينه، أي أعطاه حتى تفر عينه فلا تطمح إلى من هو فوقه. ويوم القَر: يوم يستقر الناس بمنى» (3). ومما نقله لنا "ابن منظور" قول الليث: « أقررت الشيء في مقره ليقرَّ. وفلان قار: ساكن وما يتقار في مكانه أما في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (4) أي: قرار وثبوت. القَرَار

والقرارة من الأرض: المُطمئن المُستقر» (5). فالقرار هنا بمعنى الاستقرار والثبات، وما آثار اهتمامنا تلك المقارنة العجيبة بين ثبات البشر على سطح الأرض فكانت مستقرا لهم وسكنا وبين ثبات الجنين إذا كان صالحا في رحم المرأة وبالتالي يكون مستقره وسكنه إلى أن يحين وقت ولادته، مع أن الأرض تتحرك أثناء دورانها حول نفسها وحول الشمس إلا أن سرعتها محددة بقدر معلوم فلو زادت سرعتها أو نقصت قليلا لاختل توازنها وصعب العيش عليها.

1- النمل، الآية 61.

2- غافر، الآية 64.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص7-8.

4- البقرة، الآية 35.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة(قرر).

- القرار اصطلاحاً:

(أ) - آراء المفسرين:

اختلف المفسرون⁽¹⁾ في لفظ "قرار" إلى آراء متباينة فمنهم من قال: أن الله جعل لكم الأرض المكان الذي تستقرون عليه وتعيشون فيه، ومنهم من رأى أن الله عز وجل جعلها مستقرة لا تميد بأهلها، وغيرهم قال: أنه دحاها وسواها للاستقرار عليها، وهذا ما سيبين لنا من خلال آراء المفسرين القدماء والمحدثين. ففي « قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ أي: قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فإنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهادا بساطا ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً ﴾ أي: جعلها لكم مستقرا بساطا مهادا تعيشون عليها وتتصرفون فيها وتمشون في مناكبها وأرساها بالجبال لئلا تميد بكم»⁽²⁾.

أما "البيضاوي" فقد فسر لفظ "قرار" في « قوله تعالى: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾ بدل من (أمن خلق السماوات) وجعلها قرارا بإبداء بعضها من الماء وتسويتها بحيث ينأى استقرار الإنسان والدواب عليها»⁽³⁾. غير أن "الزمخشري" فسر معناها بأن الله كورها وجعلها مُتَّسَعَةً الأطراف وذلك في قوله: « (أمن جعل) وما بعده بدل من (أمن خلق) فكان حكمهما حكم (قرارا) دحاها وسواها بالاستقرار عليها»⁽⁴⁾.

نستخلص مما سبق ذكره أن المفسرين اختلفوا في مدلول لفظ "قرار" في آراء ثلاث:

- ابن كثير: يرى أنها بمعنى الثبوت والسكون.
- البيضاوي: يرى بأن الله سَوَّاهَا للاستقرار عليها.
- أما الزمخشري: ففسرها بأن الله تعالى دحاها وسواها للاستقرار على سطحها.

1- المفسرون: الطبري، الزمخشري، ابن عاشور... الخ

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص492، ج4، ص111.

3- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص273.

4- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص465.

أما "ابن عاشور" فقد فسّر هذه الآية تفسيراً موافقاً لما وصل إليه العلم الحديث من معطيات علمية وفلكية متطورة، حيث ذكر أن «القرار: مصدر قرَّ، إذا ثبت وسكن ووصف الأرض به للمبالغة، أي ذات قرار. والمعنى جعل الأرض ثابتة قارة غير مضطربة. وهذا تدبير عجيب ولا يُدرك تمام هذا الصنع العجيب إلا عند العلم بأن هذه الأرض سابحة في الهواء متحركة في كل لحظة وهي مع ذلك قارة فيما يبدو لسكانها فهذا تدبير أعجب»⁽¹⁾.

وهو بذلك يوافق ما جاء به "ابن كثير" في تفسيره، معتبراً معنى القرار المذكور في الآية هو الثبات والسكون، فلن تتحرك الأرض ولن تמיד عن مقرها إلا بإذن الله تعالى. وأثناء تفسيره لسورة غافر قال أن المعنى يحتمل «أنه جعلها قارة غير مائدة ولا مضطربة فلم تكن مثل كرة الهواء مضطربة متحركة، ولو لم تكن قارة لكان الناس في عناء من اضطرابها وتزلزلها. ويحتمل أن المعنى جعل الأرض ذات قرار، أي قرار لكم أي جعلها مستقراً لكم أي خلقها على كيفية تلاءم الاستقرار عليها بأن جعلها يابسة غير سائلة كالزئبق أو كالعجل فلا يزال الإنسان سائخاً فيها يطفو تارة ويسبخ أخرى فلا يكاد يبقى على تلك الحالة، وذلك كوسط سبخة (التَاكْمَرَت) * المسماة (شط الجريد) *»⁽²⁾. نلاحظ أن "ابن عاشور" يريد تأكيد رأيه بالأدلة العلمية الحديثة، حيث شبه الإنسان الذي يعيش فوق أرض غير ثابتة ودائمة الاضطراب بالإنسان التائه في صحراء قاحلة فلا يستقر على حالة واحدة.

(ب)- آراء العلماء:

وذهب بعض ممن فسّر الآيتين السابقتين تفسيراً علمياً أن قوله تعالى في جعل الأرض قراراً إشارة إلى الجاذبية الأرضية التي بها تستقر الأشياء على سطحها «فالقرار والاستقرار توطين فنمو وتطور وعلم ومعرفة وخشوع لله وعبادة وتفكر وتأمل وعمل ومجاهدة ورزق وارتزاق وكل شيء أمر به الله والذي أراد به هذا القرار والاستقرار»⁽³⁾. في معنى هذا القول نلاحظ أن "النعيمي" قد ربط بين قرار الأرض واستقرارها وبين عمل الإنسان في طلبه للرزق والتطور العلمي الذي يؤدي بالضرورة إلى الخشوع لله تعالى.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج20، ص13.

*- التاكمرت: كلمة بلغة البربر بمعنى السبخة.

*- أما شط الجريد فمعناه: الفاصل بين نفطة ونفزاوة من الجنوب التونسي فإن فيها مسافات إذا مشت فيها القوافل ساخت في الأرض فلا يعثر عليها ولذلك لا تسير فيها القوافل إلا بهداة عارفين بمسالك السير في علامات منصوبة.

2- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص190.

3- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص306.

في حين نرى أن عالما آخر قد فسّر معنى لفظ "قرارا" بالمغناطيسية الأرضية وعنونها « بالساحة الثقالية الأرضية ومغزاها الجغرافي، كما أنه تساءل هل هناك إشارة واضحة في القرآن الكريم إلى قوة الثقالة الأرضية، وهذه الأخيرة أشرنا إليها سابقا أثناء دراستنا الدلالية للفظ "سُطحت"»⁽¹⁾.

- فلفظ القرار من خلال آراء العلماء وانطلاقا كذلك من آراء اللغويين والمفسرين نجد له معاني عديدة أهمها:

1- المكان المنخفض الذي يجتمع فيه الماء.

2- مكان الثبات والاستقرار.

3- المُستقر من الأرض.

4- قرّر الشيء في المكان تثبته.

وبناء على ما سبق ذكره تبين لنا أن معاني الآيات يشير إشارة واضحة إلى قوة الثقالة الأرضية « فهذه القوة هي الماسكة والمُثبّتة للماء بل ولسطح الأرض كاملا، فلو ضعفت هذه القوة لتبخّر وتطاير الغلاف المائي في الفضاء بكل يسر وسهولة ولفاق مفعول القوة النابذة للأرض مفعول قوة الثقالة»⁽²⁾.

أما "أحمد الصوفي" فقد ربط بين معنى " جعل الأرض قرارا" بالدراسة الجيولوجية لطبقات الأرض، حيث أن هذه الأخيرة تُبين كيف أن الله تعالى جعل الأرض قارة ثابتة لا تتحرك ولا تميد بأهلها، أي: « أنه لا بد أن تكون الطبقة السطحية "العليا" للأرض ثابتة وقوية البنيان، وهذا لا يكون إلا بتواجد الصخور، أو أن تكون الطبقة الأولى كلها صخرية ليتم ثبات الأرض وثبات الإنسان عليها. فمعنى "قرارا" مكانا ثابتا لا يحيد ولا يميد، وهذا ما يفسره علم طبقات الأرض، التي أولها الطبقة الصخرية والتي تتجاوز عدة كيلومترات إلى الأسفل كي تكون الأرض قرارا ثابتا»⁽³⁾.

1- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص51.

2- المرجع نفسه، ص52.

3- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص196-197.

كما أن "أحمد الصوفي" قدم دراستان مختلفتان تبيينان طبقات الأرض:

- فالدراسة الأولى: مختصرة حيث قُسمت فيها الأرض إلى ثلاث طبقات⁽¹⁾.

- أما الدراسة الثانية: فقد جعلت الأرض في سبع طبقات⁽²⁾، وهذه الأخيرة تتوافق مع قوله تعالى: ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾⁽³⁾.

وقد بين العلم اليوم « أن قرار الأرض وثباتنا عليها أيضا يكون بفعل الجاذبية الأرضية التي تثبت ما على الأرض على الأرض، ولولا الجاذبية لطار كل شيء من فوق سطح الكرة الأرضية إلى الأعلى، واستحالت الحياة على الأرض»⁽⁴⁾.

ولهذا استثنى الله عزّ وجلّ الأرض من بين الكواكب وجعل كثافتها عالية لتجذب أجسادنا وأجساد كل المخلوقات الحية لنعيش فيها وعلى ظهرها نبات وقوة، ووضع كذلك قانون كثافة الأرض وجاذبيتها حيث تسمح للخلائق أن تتحرك على ظهرها بحرية مطلقة، فكلما ابتعدنا عن الأرض كلما قلّت جاذبيتها وبالتالي لا نستطيع التحكم في استقرار وثبات أجسامنا وهذا ما يجعلنا نظير في الهواء ونفقد القدرة على التنفس.

1-9- المُستقر: مُستقر.

قال الله تعالى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ

لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾⁽⁵⁾.

1- فالطبقات الثلاث هي:

- القشرة الأرضية أو الليثوسفير: وهي تتألف من مختلف أنواع المعادن والصخور.

اللأب: ويقع تحت القشرة الأرضية.

- النواة: يبلغ طول نصف قطر النواة 3471 كيلومتراً.

2- أما الطبقات السبع فهي:

الطبقة الغازية، الطبقة المائية، القشرة الأرضية "طبقة السيال Sial"، طبقة الرواء أو الغلاف أو اللب وتسمى "السيما Sima"، طبقة السيا الحديدية، طبقة "النيفال nife"، النواة المركزية. (ينظر: أحمد ماهر الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ص 198-199).

3- الطلاق، الآية 12.

4- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ص 200.

5- البقرة، الآية 36.

وقال أيضا:

﴿ قَالَ أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ (1).

- الدلالة اللغوية للفظ المُستقر:

المُستقر من القرار أي إذا قرَّ الشخص في مكانه استقر وثبت « واستقرَّ وتَقارَ واقتره فيه وعليه. وقرَّره وأقرَّه في مكانه فاستقر. وقوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي: قرار

وثبوت. وقوله تعالى: ﴿ لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ ﴾ (2)، أي لكل ما أنبأكم عن الله عزَّ وجلَّ، غاية

ونهاية ترونه في الدنيا والآخرة. وقوله أيضا: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ (3) أي: لمكان لا تُجاوزه وقتا ومحلا وقيل لأجل قدر لها» (4). نلاحظ هنا أن معنى لفظ " المُستقر " في الآيات الثلاث واحد، حيث تدل كلها على ثبوت الشيء في مكانه الذي قُدر له، وهذا رغم اختلاف السياقات المتضمنة هذا اللفظ فالأرض والنبأ والشمس كلها أشياء جعلها الله لتثبت وتستقر في الموضوع الذي اختاره الخالق عزَّ وجلَّ لها.

ويضيف "ابن منظور" لمعنى الثبات والاستقرار معنى آخر يتمثل في الاطمئنان، أي أن الأرض هي المكان الوحيد الذي يعيش فيه الإنسان مطمئنا ومرتاح البال « والقرار والقرارة من الأرض: المُطمئن المُستقر. وصار الأمر إلى قراره ومُستقره: تناهى وثبت. وقيل: مُستقر في الدنيا موجود، وقال الليث: المُستقر ما من الخلق وظهر على الأرض» (5).

1- الأعراف، الآية 24.

2- الأنعام، الآية 67.

3- يس، الآية 38.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(قرر).

5- المرجع نفسه، مادة(قرر).

أما "الزمخشري" فيؤكد أن الشيء إذا قرّ في مكانه فقد استقرّ وثبت « وقرّ بالمكان واستقر وهو قارٌّ: مستقرّ، وقرّ به القرار، وهو في مقرّه ومستقرّه»⁽¹⁾. كما أن لفظ المستقر يشير إلى معنى السكن والمحل « المُستقر: كوضع السكن والقرار في الدنيا، ومنه: ﴿ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ ﴾ أي: مسكن ومحل قرار. وأما المستودع فهو المستقر في الرحم أو بعد الموت»⁽²⁾.

- المُستقر اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

ربط "ابن كثير" بين معنى المُستقر في قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى

حِينٍ ﴾ وبين العمر والآجال المُحددة له للفناء في قوله: « أي قرار وأرزاق وآجال - إلى حين-

أي إلى وقت ومقدار معين ثم تقوم القيامة». أما في سورة الأعراف فقد قدم معاني مختلفة للفظ المُستقر حيث فسرها بقوله: « أي قرار وأعمار مضروبة إلى آجال معلومة، قد جرى بها القلم وأحصاها القدر وسُطرت في الكتاب الأول، وقال ابن عباس "مستقر" القبور فوق الأرض وتحتها»⁽³⁾.

في حين نرى بعض المفسرين يتفق في تفسير الآية السابقة، وخصّوا بالذكر لفظ "مُستقر"، فقد فسروها بثبات الخلائق على وجه الأرض، أو إشارة صريحة إلى أن الموضع الوحيد الذي يستقر فيه الإنسان هو كوكب الأرض، فالمُستقر عند "الزمخشري" معناه: « استقرار أو موضع استقرار»⁽⁴⁾.

1- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص67.

2- القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها، ص215.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج1، ص118، ج2، ص277.

4- ينظر: الزمخشري، الكشاف، ج1، ص225، ج2، ص434، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج1، ص229، ج3، ص13.

بالإضافة إلى الدلالة المكانية للفظ نجد أن "أبو حيان الأندلسي" يضيف إليه دلالة زمنية ومصدرية، حيث يعتبر «(المُستقر) مُستفعل من القرار وهو اللبث والإقامة ويكون مصدرا وزمانا، ومكانا، لأنه من فعل زائد على ثلاثة أحرف فيكون لما ذكر بصورة المفعول ولذلك سميت الأرض القرارة، واستفعل فيه بمعنى فعل استقر وقر»⁽¹⁾.

ويمكن أن نلخص قوله في النقاط التالية:

- المصدر: استقرارا.

- ظرف المكان: المُستقر للدلالة على لفظ الأرض.

- ظرف الزمان: المُستقر للدلالة على لفظي النبا والشمس.

أما "ابن عاشور" فيتفرّد بتفسيره الذي يزاوجه بالمعطيات العلمية والفلكية الحديثة حيث فسر «قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ ضميره راجع إلى ما رجع إليه

ضمير "اهبطوا" على التقادير كلها. والحين الوقت والمراد به وقت انقراض النوع الإنساني والشيطاني بانقراض العالم، ويحتمل أن يكون المراد من ضمير (لكم) التوزيع أي ولكل واحد منكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين»⁽²⁾. غير أن تفسيره للآية في سورة الأعراف جاء مختصرا ودقيقا، ففي قوله سبحانه وتعالى «عُطِفَتْ جَمَلَةٌ (ولكم في الأرض مستقر) على جملة (بعضكم لبعض عدو)، والمستقر مصدر ميمي والاستقرار هو المَكْث»⁽³⁾.

أما الأمر الذي لفت انتباهنا هو توظيف حرف الجر (في) ضمن الآية السابقة، ولماذا لم يقتصر الله سبحانه وتعالى على قول (ولكم الأرض مستقر)؟ وربما القصد من هذا هو تحديد مناطق معينة يمكن للإنسان الاستقرار عليها، حيث يتواجد على الأرض أماكن لا يمكن للبشر السكن فيها إما لكونها عبارة عن مسطحات مائية "كالبحار والمحيطات" أو جزر غير أهلة بالسكان بسبب كثرة البراكين والزلازل، أو إشارة إلى الأرض ككوكب فريد يتميز بخصائص طبيعية لا نجدها في كواكب أخرى.

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج1، ص311.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتوير، ج1، ص437.

3- المرجع نفسه، ج8، ص69.

ب)- الدلالة العلمية للفظ المُستقر:

ما لاحظناه من خلال تصفحنا لبعض الكتب العلمية التي تتناول مواضيع واكتشافات علمية حديثة تكرر موضوع جد مهم ألا وهو: كيف جعل الله تعالى الأرض قراراً ومستقراً ثابتاً للمخلوقات جميعاً؟ ولماذا اختارها من بين عشرات الكواكب لتكون الكوكب الوحيد الذي يتميز بخصوصيات فريدة من نوعها وأساسية لاستمرار الحياة عليها. حيث « أن خصوصية كوكب الأرض وتميزها المجموعة الشمسية ينبثق من حقيقتين:

1- موقعها المتميز بالنسبة للشمس ضمن مواقع كوكب المجموعة الشمسية.

2- خصوصية الأرض بوصفها كتلة فريدة تكويناً وتطوراً وموقعا فلكياً، فقد حباها الله بما يعرف بالغلّاف الأرضي الجغرافي (Geo sphere) الذي يتكون من أربع طبقات هي:

أ- الغلاف الجوي (Atmo sphere).

ب- المائي (Hydro sphere).

ج- الصخري (Litho sphere).

د- الحيوي (Bio sphere).

فخصوصية هذا الغلاف نابعة من التفاعل والتأثير المتبادل طاقة ومادة بين هذه الأغلفة وبينها وبين كتلة الأرض والفضاء»⁽¹⁾.

ولكننا لم نجد آراء تتكلم بصريح العبارة عن موضوع جعل الأرض مستقراً للبشر خاصة وللنبات والحيوان عامة، بل لاحظنا إشارات بسيطة وضمنية أثناء شرح لفظ (قراراً) باعتبار أن لفظ مستقر اسم مشتق منها لتدل على السكن والسكينة. « فلقد تبوأ الإنسان أرض الله فصارت له مستقراً ومقراً. إذن فإن الله ذرأنا في الأرض (خلقنا) لغاية أسمى في الواقع مما وجدت عليه المخلوقات الأدنى»⁽²⁾.

1- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص18-19 (بتصرف).

2- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص306-307.

1- (10)- التذليل: ثلولا.

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ^ط وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽¹⁾.

- الدلالة اللغوية للفظ ثلولا:

أشار "ابن فارس" إلى أن «الذال واللام والتضعيف والمطابقة أصل واحد يدل على الخضوع والاستكانة، واللين فالذل ضد العز. وهذه مقابلة في التضاد صحيحة، تدل على الحكمة التي حُصت بها العرب دون سائر الأمم، لأن العز من العزاز، وهي الأرض الصلبة الشديدة والذل خلاف الصعوبة»⁽²⁾.

فائل في لغتنا العربية الانكسار والخضوع لأي شخص أو شيء أقوى منا، ولكن القرآن العظيم يعطي دلالة هذا اللفظ بعدا آخر، وذلك بأن جعل الله تعالى الأرض ذلولة مطيعة للبشر غير صعبة أو شديدة عند حرثها وزرعها، وكذلك بالنسبة للمشي والاضطجاع فيتعذر لهم العيش فيها براحة واطمئنان. «فقوله تعالى (ذلولا) بوزن فعول للمبالغة في الذل»⁽³⁾.

فذلولا مصدره الثلاثي مضاعف اللام لأن «ذل، التل: نقيض العز، تل يدل ذلا وذلة ودلالة ومذلة، فهو تليل بين التل والمذلة من قوم أذلاء وأذلة وذلال. والذل، بالكسر: اللين وهو ضد الصعوبة. والتل والذل: ضد الصعوبة. دل ذل ذلا وذلا، فهو تلول، يكون في الإنسان والدابة»⁽⁴⁾.

والملاحظ في تحليل الآية للوصول إلى مقاصدها الدلالية لآبد علينا من شرح لفظ "مناكبها" لأنها تعود بمعناها الصريح على الأرض، فهل لهذه الأخيرة التي نعيش عليها مناكب كالتي عند البشر والحيوانات حتى يسير عليها الإنسان ليستنفع من رزق الله؟ أم أن لعلماء اللغة والتفسير نظرة مغايرة لمعنى مناكب الأرض؟

1- الملك، الآية 15.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص345.

3- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج10، ص225.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(ذل).

وفي هذا المقام ذكر "ابن فارس" معنى مَنَكِبٌ حيث قال: « أن النون والكاف والياء أصل صحيح يدل على مِيل أو مِيل في الشيء وَنَكَب عن الشيء يَنكَب. والآنكَب: الذي كأنه يمشي في شِقِّ. والمَنَكِب: مجتمع ما بين العَضد والكتف، وهما مَنَكِبَان، لأنهما في الجانبين. والنَّكَب: داء يأخذ الإبل في مناكبها فتظلع منه»⁽¹⁾.

ويضيف "ابن منظور" دلالات أخرى للفظ المَنَكِب قائلا: «والتَّكَب، بالتحريك: المِيل في الشيء. وفي التهذيب: شبه مِيل في المشي، وأنشد: عن الحق لأَنكَبُ أي: مائل عنه. وَمَنَكِبَا كل شيء: مُجتمع عَظْم العَضد والكتف، وَمَنَاكِب الأَرْض: جبالها، وفي التنزيل العزيز: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ قال الفراء: يريد في جوانبها، وقال الزجاج: معناه في جبالها وقيل في طرقها. أما تفسير من قال في جبالها، لأن قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ معناه سهل لكم السلوك فيها فأمكنكم السلوك في جبالها، فهو أبلغ في التذليل، والمَنَكِب من الأرض: الموضع المرتفع»⁽²⁾.

- التذليل اصطلاحاً:

(أ)- آراء أهل التفسير:

فسر "ابن كثير" هذه الآية بأن ذكر الله تعالى « نعمته على خلقه في تسخير له لهم الأرض وتذليله إياها لهم بأن جعلها قارة ساكنة لا تميد ولا تضطرب بما جعل فيها من الجبال وأنبع فيها من العيون، قال ابن عباس ومجاهد والسُّدي وقتادة: مناكبها أطرافها وفجاجها ونواحيها مناكبها الجبال»⁽³⁾.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص474.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(نكب).

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص511.

إن فالأرض التي نعيش عليها لينة طيعة يسهل على المخلوقات التعايش مع تضاريسها المختلفة منها: السهلية والجبلية والصحراوية وكذلك الحارة أو الباردة أو المتوسطة، حيث أضاف "البيضاوي" في تفسيره أن الله تعالى جعل الأرض ذلولا أي: «لينة يسهل لكم السلوك فيها ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ في جوانبها أو جبالها وهو مثل لفرط التذليل فإن منكب البعير ينبو على أن يطأه الراكب ولا يتدلل له فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يمشي في مناكبها لم يبق شيء لم يتدلل»⁽¹⁾.

أما "ابن عاشور" فقد فسر لفظ "ذلولا" في سورتي البقرة والملك بمعنيين مختلفين حيث قال: «والكلول بفتح الذال فعول من دلّ ذلا بكسر الذال في المصدر بمعنى لان وسهل، وأما الذل بضم الذال فهو ضد العز وهما مصدران لفعل واحد خص الاستعمال أحد المصدرين بأحد المعنيين»⁽²⁾.

إن لفظ "الذلول" الذي جاء على وزن صيغة المبالغة "فَعول" يتلخص في معنيين مهمين يشيران إلى ربط علاقة مشابهة بين الأرض والدابة في:

1- الذل: بمعنى اللينة والسهولة (ضد الصعوبة والشدّة).

2- الثل: بمعنى الخضوع، الاستكانة والطواعية وهو (ضد العز).

فالخضوع والانقياد لا يكون إلا للأشياء السهلة واللينة، عكسها التي تتميز بالشدّة كالأحصنة البرية التي يصعب ترويضها بسبب عنادها وصلابتها.

وقد استعير معنى لفظ الذلول للدلالة على طواعية الأرض وسهولتها للانتفاع بخيراتها وثرواتها «والذلّول من الدواب المنقادة المطاوعة، مشتق من الثل وهو الهوان والانقياد فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث، فاستعير الكلّول للأرض في تذليل الانتفاع بها مع صلابة خلقتها تشبيها بالدابة المسوسة* المرتاضة* بعد الصعوبة على طريقة المصراحة»⁽³⁾.

1- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص364.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج1، ص555.

*- المسوسة: ميسست الشيء أمسه مسا إذا لمست بيدك، ثم استعير للأخذ والضرب لأنهما باليد (ينظر: ابن منظور، لسان العرب مادة(مس)).

*- المرتاضة: راض المهر رياضاً ورياضة: ذلل وارتاض المهر: صار مروضاً (ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط مادة(أرض)).

3- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص31-32.

كما أضاف "ابن عاشور" شرحاً آخر لمعنى المنكب فقال: «والمناكب: تخييل للاستعارة لزيادة بيان تسخير الأرض للناس فإن المنكب هو ملتقى الكتف مع العضد جعل المناكب استعارة لأطراف الأرض أو لسعتها. وفرع على هذه الاستعارة الأمر في: ﴿فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ فصيغة الأمر مستعملة في معنى الإدامة تذكيراً بما سخر الله لهم من المشي في الأرض امتناناً بذلك»⁽²⁾.

ب)- الدلالة العلمية للفظ ذلول:

لقد وصف القرآن الكريم الأرض وصفاً مُعْجِزاً، حيث صورها تصويراً يتوافق مع العلم الحديث فهي كالمركب الذلول الذي يحتوي على منافع وخيرات كثيرة، «فالأرض التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة هي دابة متحركة راحمة راکضة مُهْطَعَة وهي في الوقت ذاته ذلولة لا تلقي بركابها عن ظهرها، ولا تتعثر في خطاها ولا تخضعه وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول»⁽³⁾.

ووصفها بكونها ذلولاً يطلق على الدابة ليصور في الأذهان أن هذه الأرض التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة مائلة في دورانها حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ثم تدور حول الشمس بسرعة تقدر بستين ألف ميل في الساعة، ثم تركز مع الشمس والمجموعة الشمسية كلها حوالي عشرين ألف ميل في الساعة، ولكنها مع ذلك - وبسبب تسخيرها للإنسان - ذلول لا تلقي براكبها على ظهرها، ولا تخضعه كالدابة غير الذلول.

اتجه اللغويون والمفسرين اتجاهاً مختلفين في شرح معنى لفظ "المناكب" حيث اعتبر أهل اللغة بأن معناها الأول هو الميل أو شبه الميل بالإضافة إلى معنى معروف هو مجتمع ما بين العضد والكتف. أما المفسرون فقد فسروا معنى المناكب بأنها جبالها أو أطرافها وجوانبها، وكما هو معلوم من الناحية العلمية أنه يوجد ميل في محور الأرض في أثناء دورانها ولولا هذا الميل لما نشأت الفصول الأربعة التي تترتب عليها دورة النبات، وقد أشار الله تعالى لهذا في نهاية الآية بقوله: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ۗ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾⁽³⁾.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص32.

2- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط7، 1398هـ - 1978م، ج6، ص3637.

3- الملك، الآية15.

والملاحظ جليا من الدراسة اللغوية للفظ "الْمَنكَب" بمعنى "الميل أو شبه الميل" أن هناك توافق بينها وبين ما توصلت إليه الدراسات العلمية الحديثة، فلو «أن محور الأرض كان عموديا على مستوى امتداد مدارها "فلكها" لانقسم سطح الأرض وبجميع خطوط عرضه ونطاقاته إلى جزأين متماثلين مساحة: جزء مضاء يمثل النهار وآخر ممائل له مظلم يعبر عن الليل، وكان طول كل منهما يساوي طول الآخر (12 ساعة تقريبا) كما في النطاق الاستوائي حيث الشمس عمودية أو شبه عمودية على مدار السنة. أما وإن كان محور الأرض مائل على مدارها بمقدار (27°، 23°) فإن الليل والنهار لن يتساويا طولاً إلا عندما يتطابق محور الأرض القطبي مع خط الإضاءة الذي يقسم الأرض إلى ليل ونهار وهذا ما يحدث في الاعتدالين الربيعي والخريفي»⁽¹⁾.

فالأرض التلول كانت تعني في أذهان المخاطبين القدماء، أنها المكان المُذلل للسير فيه والعمل في أرضه زراعة وحصادا، للانتفاع بخيراته وثرواته، ولكن الدلالات التي فصلَّ فيها العلم الحديث بما اهتدى إليه من حقائق علمية متطورة مصدرها القرآن العظيم مثل: ميل الأرض أثناء دورانها حول نفسها والذي ينشأ منه تعاقب الليل والنهار بصفة غير متساوية فلولا هذا الميل لتساوت مدة تعاقبهما كما بيَّنا سابقا.

11-1- الكَفْت: كِفَاتًا.

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ جَعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ﴾⁽²⁾.

- الدلالة اللغوية للفظ الكفت:

ذكر "ابن فارس" «أن الكاف والفاء والتاء أصل صحيح، يدل على جَمع وضم. من ذلك قولهم: كفت الشيء، إذا ضَمَمته إليك. ويقال جراب كفيت: أي لا يُضِيع شيئاً يُجعل فيه. والكفت: السَّوق الشديد، لأنه يَضُم الإبل ضَمًا وَيَسوقها، كما يقال يَقْبِضها. وسير كفيت أي سريع»⁽³⁾.

1- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص67.

2- المرسلات، الآية25.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص190-191.

أما لسان العرب فقد جمع كلام أهل اللغة والبيان حيث بيّن المعاني المختلفة للفظ كفاتا فقال صاحبه فيه: « وكفت يكفت كفتا وكفتانا وكفاتا: أسرع في العدو والطيران وتقبّض فيه. والكفات: الموضع الذي يضم فيه الشيء ويُقبض. وكفات الأرض: ظهرها للأحياء، وبطنها للأموات، ومنه قولهم للمنازل: كفات الأحياء، وللمقابر: كفات الأموات. التهذيب: يُريد تكفتهم أحياء على ظهرها في دورهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتا في بطنها، أي تحفظهم وتحرزهم»⁽¹⁾.

ونستنتج من خلال تعريفي "ابن فارس" و "ابن منظور" أن الكفت أو كفت الشيء معناه: الضمّ والجمع والقبض وكذلك السير بسرعة، حيث يكون سطح الأرض وباطنه المكان الوحيد الذي يتجمع فيه البشر سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً، وعلى هذا « فالأرض تكفت أهلها أحياء وأمواتا، وهي كفاتهم»⁽²⁾.

- الكفت اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

لم يختلف المفسرون عن اللغويين في تفسيرهم لفظ " كفاتا"، بل اعتمدوا رأيهم السديد الذي لا يحيد عن معالم القرآن المجيد في تبيين مختلف الآراء اللغوية الشارحة لهذا اللفظ، حيث أن « الكفات: من كفت الشيء إذا ضمّه وجمعه: وهو اسم ما يكفت كقولهم: الضمام والجماع لما يضم ويجمع، وبه انتصب (أحياء وأمواتا) كأنه قيل: كافتة أحياء وأمواتا. وبفعل مضمر يدل عليه وهو تكفت. والمعنى: تكفت أحياء على ظهرها، وأمواتا في بطنها. الله تعالى جعل الأرض كفاتا للأموات، فكان بطنها حرزا لهم»⁽³⁾.

أما تفسير "البيضاوي" فيشبهه الأرض بالوعاء الذي يضم ويجمع الأحياء والأموات حيث يبيّن أن معنى « كافتة اسم لما يكفت أي: يضم ويجمع كالضمام والجماع اسم لما يضم ويجمع أو مصدر نعت به أو جمع كافت كصائم وصيام، أو كفت وهو الوعاء أُجري على الأرض باعتبار أقطارها. (أحياء وأمواتا) منتصبان على المفعولية وتكثيرهما للتفخيم أو لأن أحياء الإنس وأمواتهم بعض الأحياء والأموات، أو الحالية من مفعوله المحذوف للعلم به وهو الإنس أو نجعل على المفعولية، و(كفاتا) حال أو الحالية فيكون المعنى بالأحياء ما ينبت وبالأموات ما لا ينبت»⁽⁴⁾.

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة(كفت).

2- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، باب الكاف، ص139.

3- المرجع نفسه، ج6، ص288.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص434.

ولهذا ففي معنى لفظ (كفاتا) - حسب آراء المفسرين- أربعة أوجه هي:

- 1- أن الأرض تكفت الأحياء والأموات في بطنها والمعنى أن الأحياء يسكنون في بيوتهم والأموات يدفنون في قبورهم، ولهذا شبهوا الأرض بالأم التي تَضُم ولدها وتكفله.
 - 2- أنها كفات الأحياء أي تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأمور المُستقدرة.
 - 3- وأنها جامعة لما يحتاج إليه الإنسان في حياته من مأكّل ومشرب، وكذلك المساكن الجامعة لشملهم.
 - 4- أما في لفظي "أحياء وأمواتا" فراجع إلى الأرض أي: أن الحي ما أنبت والميت ما لم ينبت وهذا له علاقة مباشرة بالأرض الخصبة التي نباتها دائم والأرض المُجدبة التي لا نبات فيها.
- ويتفق "ابن عاشور" في تفسيره مع رأي "البيضاوي" في تشبيه الأرض بالوعاء العظيم الذي يضم الشيء في داخله ويجمعه قائلا: « وكفات: اسم للشيء الذي يُكفت فيه، أي يُجمع ويُضم فيه، فهو اسم جاء على صيغة الفِعال من كَفَت، إذا جَمَعَ، ومنه سمي الوعاء: كفاتا كما سمي ما يعي الشيء وعاء، وما يَضُم الشيء: الضِمَام. و"أحياء" مفعول "كفاتا" لأن "كفاتا" فيه معنى الفعل كأنه قيل كافتة أحياء. وقد يقولون منصوب بفعل مقدر دلّ عليه "كفاتا" وكل ذلك متقارب»⁽¹⁾.

ب)- الدلالة العلمية للفظ كفاتا:

يرى من فسر الآية تفسيراً علمياً في لفظ " كفاتا " إشارة لطيفة إلى جاذبية الأرض بلفظ مُعجّز يُفهم منه أننا مكفوتون في الأرض أي: مضمومين إليها ومجتمعون فيها، حيث لا نستطيع الإفلات منها، ويُفسر المختصون في علم الفلك بأن قوى الجاذبية هي التي تضم سائر المخلوقات إلى الأرض، وهذا الضمّ والجذب هو الذي سماه العلماء بالجاذبية الأرضية ولأن « الأرض لها قانون الجاذبية الذي يحفظ كل شيء على ظهرها فينجذب إليها، فالإنسان والحيوان والنبات والبحار والأنهار تُجذب إليها فتحتفظ بمواقعها وكذلك الغلاف الجوي يجذب إليها فيحتفظ بمكانه، وكذلك بقانون الجاذبية لا يستطيع أحد أو أي شيء أن يفلت من جاذبية الأرض إلا إذا كانت سرعته (23,1) كم في الدقيقة الواحدة، لذلك فالطائرة لحظة إقلاعها تتجاوز سرعة 23,1 كم في الدقيقة وكذلك الصاروخ أو السفينة الفضائية، ولو كانت أقلّ لطارت ثم انجذبت مرة أخرى إلى الأرض وتوقفت عن طيرانها وكذلك الطير عندما يطير من الأرض إلى السماء»⁽²⁾.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج29، ص432.

2- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ص310-311.

لاحظنا سابقا من الناحية اللغوية أن لفظ "كفاتا" بالإضافة إلى معنى الجَمْع والضَم يشير لدلالة أخرى لم يتوسع في تفسيرها العلماء القدامى ألا وهي: "السُرعة في الضَم"، وقد فسرها العلماء المحدثون "بسرعة الأرض في حركاتها المتعددة" كدورانها حول نفسها وحول الأرض، كما أنه لا يمكن حصر معنى سياق الآية بأحياء الإنس وأمواتهم فقط من خلال ذكر (لكم) في مخاطبته للإنسان، ولكنه يحتمل معاني أوسع ومن ذلك صحة إطلاق صفة الميت على الجمادات أيضا، من خلال آراء بعض المفسرين⁽¹⁾ لقوله تعالى: ﴿ وَتُخْرِجُ

الْحَيِّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾⁽²⁾.

وإذا حاولنا أن نربط بين ما فسره علماء الدين وما اكتشفه علماء الفلك نلاحظ أن العلم يتجه اتجاهها عكسيا، حيث أنه يكتشف معالم ومعطيات علمية حديثة باستعمال أحدث الاختراعات وبهذا نظن أنه يتطور ويتقدم ولكننا نراه يتجه إلى الوراء، حيث نجد أن الله تعالى قد أشار إلى هذه المعجزات العلمية قبل آلاف السنين وما العلم الحديث إلا وسيلة من الوسائل المختلفة التي يستعملها لبيّن للناس عامة أن القرآن كتاب هداية يهدي للتي هي أقوم، « فبعد اكتشاف قانون الجاذبية من قبل "نيوتن" عام 1665م وأصبح القانون معلوما تعمل به كل النظريات العلمية وجد علماء الفلك أن كل شيء في هذا الكون مبني على قانون الجاذبية ووجدوا أن الذي يحافظ على أي كوكب في مكانه يسبح في السماء ويرجع إلى موضعه هو قانون القوة الجاذبية وقانون القوة النابذة. فلو أن كوكب الأرض مثلا: يعمل بقانون القوة النابذة لانفلت من موقعه وسبح في السماء بغير عودة، ولو أن قانون الجاذبية هو فقط الذي يعمل به في السماء لانجذبت الأرض إلى الشمس وانتهت، ولكن الله سبحانه جعل من قانون الجاذبية وقانون القوة النابذة قوتان متكافئتان لتحفظ كل كوكب في مداره»⁽³⁾.

1- ينظر: الطبري، تفسير الطبري، ج5، ص309-312، وأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج2، ص439.

2- آل عمران، الآية27.

3- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ص310.

وهذا كله يعني أن الأرض تمسك الأحياء على ظهرها فلا يطيرون من سطحها إلا بقدره الله تعالى، بل تجذبهم إليها قدرة إلهية عظيمة لا يمكن أن يدركها البشر ولو حرصوا لذلك كل الحرص، كما أن الأرض تمسك الأموات في باطنها فلا تلفظهم منها وتخرجهم إلى ظاهر الأرض، وصدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا ﴾⁽¹⁾ أي: أن كل المخلوقات سواء كانت حية أو ميتة تبقى قارة ثابتة على سطح الأرض أو في باطنها.

2-12)- الخُشَع: خَاشِعَةٌ.

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾⁽²⁾.

- الدلالة اللغوية للفظ الخُشَع:

اللفظ الخشوع معان كثيرة وكل حسب السياق الوارد فيه "فابن فارس" مثلاً: بيّن معناه بأنه قريب من معنى الخضوع إلا أن هذا الأخير بدني جسمي أما الخشوع فنفسي حسي ويذكر قائلًا أن « الخاء والشين والعين أصل واحد، يدل على التّطامن. يقال خَشَع إذا تَطَامَن وَطَأَطَأَ رُأْسُهُ يَخْشَعُ خُشُوعًا، وهو قريب المعنى من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والإقرار بالاستخداء، والخشوع في الصوت والبصر. والخُشَعَة: قطعة من الأرض قُفٌ قد غَلَبَتْ عليه السُّهولة»⁽³⁾. أما "ابن منظور" فيبين قائلًا: « والخاشع من الأرض: الذي تُثِيرُهُ الرِّيح لسهولته فتمحو آثاره، وقال الزجاج: الخاشعة المُتَعَبَّرَةُ المُتَهَشِّمَةُ، وأراد المُتَهَشِّمَةُ بالنبات. وبلدة خاشعة أي مُعْبَرَةٌ لا منزل بها، وإذا يبست الأرض ولم تُمَطَّرْ قِيلَ: قد خَشَعَتْ قال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾. والعرب تقول: رأينا أرض بني فلان خاشعة هامة ما فيها خضراء. ويقال: مكان خاشع»⁽⁴⁾.

1- النمل، الآية 61.

2- فصلت، الآية 39.

*- الفُتْفُت بالضم: القصير، وظهر الشيء... والسُدُّ من الغيم كأنه جبل، وحجارة غاص بعضها ببعض لا تخالطها سهولة، وهو جبل غير أنه ليس بطويل في السماء (ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(قف)).

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص182.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(خشع).

ويتوسع "الزمخشري" أكثر في شرح المعنى المجازي للفظ "خَشَع" بالإضافة إلى المعنى الحقيقي حيث يقول: «خَشَع له وَخَشَع: ذَلَّ وتطامن. ومن المجاز: أرض خاشعة: متطامنة. وخشعت الجبال. وخشع ببصره: غَضَّهُ. وأرض خاشعة: غير مَمْطورة. وحشيشة خاشعة: يابسة ساقطة على الأرض، وخشع الورق: دَبَل»⁽¹⁾.

نلاحظ أن لفظ "خَشَع" يتسم بمعان كثيرة ومتنوعة خاصة المعنى المجازي منه، حيث يتوسع مجال استعماله في سياقات مختلفة من بينها:

- أرض خاشعة أي: مُطامنة أو مطمئنة، وكذلك هي التي لم ينزل عليها المطر لمدة طويلة وكأنها على يقين أن الله سبحانه وتعالى سَيَنْزِلُ عليها مطرا يروي تربتها العطشة ويحيي نباتها الميت، وهذا ما سنبينه عند استعراض آراء العلماء.

- خشوع البصر وذلك برغضه إلى الأرض وعدم رفعه إلى السماء.

- وكذلك يدل على معنى اليأس والتبؤل .

وكلها معاني ترتبط ارتباطا وثيقا بمعنى التُّل والتَّذَلل، فالأرض تتذلل لخالقها عزَّ وجلَّ وتتذلل للخلائق أجمعين كي يستنفعوا من الخيرات والأرزاق التي أوجدها العلي القدير على سطحها وفي أعماقها، كما أن الله تعالى تَلل للإنسان كل الصعوبات والمشقات الموجودة في الأرض بهدف الانتفاع بخيراتها وثرواتها.

- الخَشَع اصطلاحا:

(أ)- آراء المفسرين:

فسر "ابن كثير" لفظ (خَاشِعَة) بالهامة أو الميتة والتي لا نبات فيها حيث ذكر في تفسيره: «أن معنى قوله تعالى: ﴿أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي: هامة لا نبات فيها بل هي ميتة أما

في قوله أيضا: ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ أي: أخرجت من جميع ألوان الزروع

والثمار»⁽²⁾.

1- الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص248.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص130.

نلاحظ أن هناك علاقة مباشرة بين خشوع الأرض واهتزازها أثناء سقوط الأمطار عليها مما يجعل النباتات تنمو وتُزهر، وكان الأرض كانت ميتة يابسة وما إن نزل عليها الماء حتى اهتزت وربت وعادت إليها الحياة من جديد، فهي تشبه الإنسان في حياته وموته. فرؤية الأرض خاشعة توحى بأنها « يابسة مُتطامنة مُستعار من الخشوع بمعنى التذلل ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ﴾ تزخرفت وانتفخت بالنبات وقرئ ربأت أي زادت»⁽¹⁾.

أما "الزمخشري" فقد أضاف معنى آخر للفظ الخشوع وهو التصاغر والتذلل لله تعالى حيث قال أن: « الخشوع: التذلل والتصاغر، فاستعير لحال الأرض إذا كانت قحطة لا نبات فيها، كما وصفها بالهُمود في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾⁽²⁾ وهو خلاف وصفها بالاهتزاز والربو وهو الانتفاخ، إذا أخصبت وتزخرفت بالنبات كأنها بمنزلة المختال في زيه وهي قبل ذلك كالذليل الكاسف البال في الأثمار* الرثة. وقرئ "وربأت" أي ارتفعت، لأن النبات إذا هم أن يظهر ارتفعت له الأرض»⁽³⁾.

أما "ابن عاشور" فقد أفرد صفحة كاملة لتفسير هذه الآية تفسيراً واضحاً ودقيقاً، حيث أنه فسّر كل لفظ على حدا ثم ربط بين معانيهم بطريقة لطيفة، شبه فيها الأرض بالإنسان قائلاً أن معنى: « الخشوع: التذلل، وهو مستعار لحال الأرض إذا كانت مقحطة لا نبات عليها لأن حالها في تلك الخصاصة كحال المتذلل، وهذا من تشبيه المحسوس بالمعقول باعتبار ما يتخيله الناس من مشابهة اختلاف حالي القحولة والخصب بحالي التذلل والازدهاء، فشبه حال قحولة الأرض ثم إنزال الماء عليها وانقلابها من الجدوبة إلى الخصب والنبات البهيج بحال شخص كاسف البال رثّ اللباس فأصابه شيء من الغنى فلبس الزينة واختال في مشيته، وعطف "وربت" على "اهتزت" لأن المقصود من الاهتزاز هو ظهور النبات عليها وتحركه والمقصود بالربو: انتفاخها بالماء واعتلاؤها»⁽⁴⁾.

1- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص116.

2- الحج، الآية 5.

*- الطّمْر، بالكسر: الثوب الخلق أو الكساء البالي من غير الصوف، ج: أثمار (ينظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(طمر)).

3- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص384-385.

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج24، ص302.

إن معاني ألفاظ القرآن العظيم جليلة في مبنائها معجزة وعظيمة في معناها، ففي آيات كثيرة تبيّنت معالم علمية حديثة لا يمكن للعقل البشري أن يتصورها، حتى وإن استعمل أحدث الاختراعات التكنولوجية المتطورة والحديثة، ولكننا دائماً نلاحظ أن الله تعالى إذا أراد أن يصور لنا صفة من صفات الكون الشاسع شبهها بإحدى الصفات الإنسانية كالخشوع الذي عُبر عنه بأسلوب التشخيص الاستعاري، من حيث أن الخضوع والتواضع في الأصل من صفات الإنسان لا من صفات النبات. وقد ذكرنا سابقاً أن دلالتنا لفظ "الخشعة" و"الهامة" متمثلان في المعنى العام ألا وهو "السكون والخمود" وكلاهما يعبران عن صفة الأرض اليابسة الميتة التي لا نبات فيها، وإنما تهتز وتربو عند نزول المطر.

(ب)- الدلالة العلمية للفظ الخشع:

كثيرة هي الآيات الكريمة التي تتحدث عن هذا التشبيه المعجز بين الأرض والإنسان في معجزة الإحياء والموت « ومن معجزاته أن تمرّ على الأرض فتراها خاشعة (ميتة) متشققة تباعدت تربتها بعضها عن بعض قد انكشفت على ذاتها وكأنك أمام جثة هامة متعفنة فقدت الحياة ومضى عليها وقت في هذا الموت، وكلا الرؤيتين للأرض الميتة الخاشعة وللجثة الهامة الميتة، نشعر بانقباض وضيق»⁽¹⁾.

فهذا الخطاب الإلهي في كتابه الكريم لم يكن معروفاً من قبل، والمعجزة في هذه الآية على أمرين هما:

« الأمر الأول: أن الله سبحانه يُشبه دائماً إحياء الموتى من البشر بإحياء الأرض بعد موتها وقد ورد هذا في كثير من الآيات الكريمة»⁽²⁾.

الأمر الثاني: أن الله سبحانه إذا أراد أن يبعث الناس يوم القيامة وذلك بعد قيام الساعة وينشرهم، فإن ذلك يتم تماماً كإحياء الأرض بعد موتها، وذلك بتنزيل الماء عليها»⁽³⁾.

وهذا دليل آخر على أن الأرض تمتاز بالهدوء والخضوع « فالأرض ساكنة ولكنها هنا أي: [في سورة الحج] خاشعة والخشوع زيادة في الهدوء والخضوع والاستكانة، وما إن يصلها الماء حتى تهتز وتبعث فيها الحياة تماماً كالموتى يبعثهم الله يوم القيامة»⁽⁴⁾.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ج6، ص300.

2- الآيات الكريمة: الأعراف، الآية57\ الروم، الآية50\ الزخرف، الآية11\ فاطر، الآية9.

3- المرجع السابق، ص301-302-303.

4- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص143.

13-1- هَمْدٌ: هَامِدَةٌ

قال الله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ

كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿(1).

- الدلالة اللغوية للفظ هَمْدٌ:

يوحي لفظ " هَامِدَةٌ " بالهدوء والوقار والسكينة، و نرى أن هذا اللفظ له علاقة مباشرة من حيث الدلالة باللفظ الذي درسناه سابقا " حَاشِعَةٌ " الذي يعني - كما رأينا آنفا- الأرض الهامدة والميتة التي لا نبات فيها ولا زروع، فلا تعود لها حياتها إلا بنزول الماء عليها فتتهتز وتنبت من كل زوج بهيج. أما من الناحية اللغوية فينتبين لنا أن « الهاء والميم والدادل: أصل يدل على خمود شيء. وهَمَدَتِ النار، طَفَنَتِ البتة. وأرض هَامِدَةٌ: لا نبات بها. ونبات هَامِدٌ: يابس. والإهماد: الإقامة بالمكان»⁽²⁾. كما ذكر "ابن منظور" أن معنى هَمْدٌ يدل على كل شيء تَبَلٌ وَيَبَسٌ ثم مات، حيث قال: « هَمْدٌ يَهْمُدُ هُمُودًا، فهو هَامِدٌ وَهَمِدٌ وَهَمِيدٌ: مات. وترى الأرض هَامِدَةً أي جافة ذات تُراب. وأرض هَامِدَةٌ: مُقَشَعَرَةٌ لا نبات فيها إلا اليباس المُتَحَطَّم، وقد أهدمها القَحَطُ. وَهُمُودُهَا: ألا يكون فيها حياة ولا نَبَتٌ ولا عُودٌ ولم يُصَبِّها مطر»⁽³⁾.

نلاحظ مما سبق ذكره أن دلالة بعض الألفاظ التي درسناها سابقا وهي: ذلولا وخاشعة بالإضافة إلى لفظ هَامِدَةٌ، فكلها مترادفة في المعاني العامة:

- الأرض الميتة التي النبات فيها.

- الخامدة والمطمئنة.

- أو الأرض التي تَبَلٌ وَيَبَسٌ نباتها.

1- الحج، الآية 5.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج 6، ص 65.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (همد).

- الدلالة الاصطلاحية للفظ هامدة:

(أ) - آراء أهل التفسير:

اتفق اللغويون والمفسرون في شرح الآية السابقة الذكر، وفي هذا المقام نرى أن "ابن كثير" يفسر: « قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ هذا دليل آخر على قدرته تعالى في إحياء الموتى كما يحيي الأرض الميتة الهامدة، وهي المقحلة التي لا ينبت فيها شيء. وقال قتادة: غرباء مُتهشمة. وقال السدي: ميتة، فإذا أنزل الله عليها المطر، اهتزت أي تحركت بالنبات وحييت بعد موتها، وربت أي ارتفعت لما سكن فيها الثرى، ثم أنبتت ما فيها من الألوان والنفون من ثمار وزروع وأشجار النباتات في اختلاف ألوانها وطعومه وروائحها وأشكالها ومنافعها»⁽¹⁾.

وقد استمد "البيضاوي" معنى همدت الأرض من همدت النار، وذلك إذا انطفت وصارت رمادا وكأنها ميتة إلا إذا أحييناها مرة أخرى بإسعالها، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ﴾ أي: « يابسة من همدت النار إذا صارت رمادا، أما قوله: ﴿ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ﴾ تحركت بالنبات (وربت) وانتفخت وقرئ وربأت أي ارتفعت ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ من كل صنف (بهيج) حسن رائق وهذه دلالة ثالثة كررها الله تعالى في كتابه لظهورها وكونها مُشاهدة»⁽²⁾.

أما "الزمخشري" فإعد هذه الآية دليلاً قاطعاً على البعث، وذلك بأن الله عز وجل يبعث الروح في جسم الإنسان الميت فيصير حياً من جديد، كما يبعث الحياة في الأرض الميتة بعد إنزال المطر عليها، ولهذا قال: « الهامدة: الميتة اليابسة، وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها وكونها مُشاهدة مُعينة، كررها الله تعالى في كتابه (اهتزت وربت): تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ: "ربأت"، أي: ارتفعت، البهيج: الحسن السار للناظر إليه»⁽³⁾.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص280.

2- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص115.

3- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص178.

أما "ابن عاشور" فقد ربط بين صفة إحياء الأرض بعد موتها وبين صفة خلق الإنسان مع وجود فرق واضح بين الحالتين بينهما في قوله: «وَالْهَمُودُ: قَرِيبٌ مِنَ الْخَمُودِ. فَهَمُودُ الْأَرْضِ جَفَافُهَا وَزَوَالُ نَبْتِهَا، وَهَذَا ارْتِقَاءٌ فِي الِاسْتِدْلَالِ عَلَى الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ بِقِيَاسِ التَّمَثِيلِ لِأَنَّهُ اسْتِدْلَالٌ بِحَالَةٍ مُشَاهِدَةٍ فَلِذَلِكَ افْتَتَحَ بِفِعْلِ الرَّؤْيَةِ. بِخِلَافِ الِاسْتِدْلَالِ بِخَلْقِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ مَبْدَأَهُ غَيْرُ مُشَاهِدَةٍ فَقِيلَ فِي شَأْنِهِ ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾⁽¹⁾. ومحل الاستدلال من قوله تعالى:

﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ فهو مناسب قوله في الاستدلال الأول فهمود الأرض

بمنزلة موت الإنسان واهتزازها وإنباتها بعد ذلك يماثل الإحياء بعد الموت»⁽²⁾.

ب)- الدلالة العلمية للفظ هامدة:

وصف "النعيمي" القرآن العظيم بوصف جميل معتبرا إياه الشيء الذي يحيط بالعلم من كل الجهات، فهو كالهالة المشعة بأنوار العلم والمعرفة والهداية الربانية ولأن «القرآن حمّال أوجه فأصدق وصف قيل بصدد القرآن العظيم، يجاوز به الوجوه والنظائر بتعدد المعاني للكلمة الواحدة [وهذا ما سنحاول أن نبيّنه من خلال دراستنا للألفاظ القرآنية التي اخترناها دراسة وصفية دلالية] ويتسامى به على تعدد الكلمات للمعنى الواحد، يحيط بالفرع العلمي حيثما انتقى العلم وسائل إنجازية مستحدثة ويحيط بالمستوى المعرفي حيثما اصطلحت المعرفة توجهات غائية مشتركة»⁽³⁾.

وأكثر ما صادفنا في أثناء إنجازنا لهذا البحث هو الترادف غير التام، حيث تعددت الألفاظ والمعنى العام واحد مع إشارتها إلى معاني خاصة تميزها عن بعضها فمثلا:

- الألفاظ الدالة على امتداد الأرض وتوسع أقطارها هي: (الدّحو، الطّحو، البسط، المد التسطيح... الخ).

- أما الألفاظ التي نحن بصدد دراستها الآن فهي الدالة على الخضوع والانقياد، وتتمثل في: (الذلول، الخاشعة، الهامدة).

1- الحج، الآية 5.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج17، ص203.

3- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن العظيم، ص107.

يعطي القرآن الكريم بعداً تصويرياً وأوجه متباينة لألفاظ تتحصر معانيها أحياناً في نطاق ضيق وبأسلوب جاف يفتقد للحيوية والحركية الدائمة، وهذا ما اكتشفناه أثناء بحثنا المتواصل عن المعاني المختلفة للفظ "هامدة" وذلك من الناحية اللغوية والاصطلاحية ولكننا تيقنا أن أدق معنى وأبسطه يكون في القرآن نفسه وهذا لا يتسنى لنا إلا بالقراءة المتأنية المدعمة بالتفكير والتأمل المتكرر في خلق الله، وبالأخص الآية التي ذكرناها سابقاً لأنه « في سورة الحج صورة تجسيدية رائعة: الأرض كائن حي لا حراك فيه ولا حياة ولكن ما إن هطلت عليها الأمطار حتى ارتدت إليها الروح فاهتزت وكلُّ تياراً كهربائياً قد سرى فيها. بل إنها ترعرت ونمت وأثمرت، والغرض من هذه اللوحة إظهار أن الله الذي أعاد الحياة للأرض الهامدة لقادر وببساطة أن يعيد الحياة للأمموات يوم القيامة»⁽¹⁾.

لقد شبّه اهتزاز الأرض عند نزول الماء عليها واتخاذها سبلاً مختلفة بالتيار الكهربائي الذي يسري في جسد الإنسان فتهتز جميع أعضائه، كما أظهر صورة تجسيدية لإعادة بعث الأرواح من جديد بعد موتها وذلك ليوم الحساب وهي تشبه بذلك إعادة الحياة في الأرض الميتة بعد أن جفت وتشققت تربتها ودبل ثم يبس زرعها، وبهذا فقدت رونقها ورُخرفها الذي يسر الناظرين.

وفي ضوء ما تقدم من دراسة يكون لفظ "هامدة" قد جُمعت مع "خاشعة" بوحدة دلالية وذلك بتمائلهما في الدلالة على "السكون والخمود" لتعقبهما "الحركة والحياة"، فالتأمل في سياق هاتين الآيتين يتبين له أن المعنى في السياق الأول "من سورة الحج" معنى بعث وإحياء وإخراج، مما يتسق معه تصوير الأرض بأنها "هامدة" ثم تهتز وتربو وتثبت من كل زوج بهيج، كما أن المعنى في السياق الثاني "من سورة فصلت" هو معنى عبادة وخشوع يتناسق معه تصوير الأرض بأنها "خاشعة" ثم لا يزيد عن الاهتزاز والإنماء هنا، كما أضاف في الآية السابقة الإنبات والإخراج.

1-14- جَرَزَ: الجُرْز.

قال تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴾⁽²⁾.

1- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص 141.

2- السجدة، الآية 27.

- الدلالة اللغوية لفظ الجرز:

نستهل دائماً برأي "ابن فارس" لأنه يُبين أصل اللفظ ودلالته العامة قائلاً أن: « الجيم والراء والزاء أصل واحد، وهو القطع. يقال: جَرَزت الشيء قطعته. وأرض جُرَز لا نَبَت بها كأنه قُطِع عنها. قال الكسائي والأصمعي: أرض مَجْرُوزة من الجُرز، وهي التي لم يصبها المطر ويقال: هي التي أكل نباتها. ويقال: أرض جارزة: يابسة غليظة يكتنفها رمل»⁽¹⁾.

والملاحظ أن لفظ "الجرز" معنى متقارب إلى معاني الألفاظ السابقة (الخشعة، الهامدة والذلول) وذلك من حيث عدم نزول الماء على الأرض، فأصبحت قاحلة مُجدبة يابسة لا نبات فيها، ولكن القرآن العظيم يضيف لكل لفظ فارقاً دلالياً يميزه عن باقي الألفاظ وبالتالي نلاحظ أن هناك معناً عاماً يجمعها ومعاني جزئية بسيطة تجعل كل لفظ يختص بالسياق الذي ورد فيه وهذا ما بيّنه "ابن منظور" في قوله: « وأرض مَجْرُوزة وجرز وجرز: لا تنبت، كأنها تَأْكَل النبات أكلاً، وقيل: هي التي قد أُكِل نباتها، وقيل: هي الأرض التي لم يصبها مطر، والجمع أجزاز. قال الفراء: الجرز أن تكون الأرض لا نبات فيها، يقال: قد جُرزت الأرض، فهي مَجْرُوزة، جَرزها الجراد والشَّاء والإبل»⁽²⁾. بمعنى أن كل أرض انقطع عنها المطر لمدة طويلة فإن نباتها سينقطع كذلك إما بذبوله ويبيسه أو عدم إنباته ونموه. فيضيف "ابن منظور" في هذا المقام رأي « الجوهري: أرض جُرز لا نبات بها كأنه انقطع عنها أو انقطع عنها المطر. وأرض جارزة: يابسة غليظة يكتنفها رمل أو قاع»⁽³⁾.

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص441.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(جرز).

- وفي الحديث: « أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، بيئنا هو يسير إذ أتى على أرض جُرز مُجدبة مثل الأيِّم* التي لا نبات بها وجاء في تفسير الأرض الجُرز أنها أرض اليمن»

* - الأيِّم: ككَيْسٍ: من لا زوج لها، بكر أو ثيباً، ومن لا امرأة له، جمع الأول: أيام وأيامى(ينظر: الفيروز أبادي، القاموس المحيط مادة(أي)).

3- الرجوع السابق، مادة(جرز).

- الجُرز اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

لا يكاد يختلف المفسرون عن اللغويين في تفسيرهم للفظ "جُرزا" فاعتبارها الأرض التي لا نبات فيها، ولكن "ابن كثير" أبرز بعض التفاصيل التي تدل على اسم الأرض أو المكان الذي وُصف بالجُرز، « وهي الأرض التي لا نبات فيها، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾⁽¹⁾ أي: يبسا لا تُنبت شيئاً، وليس المراد من قوله: ﴿إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ أرض مصر فقط، بل هي بعض المقصود، فإنها في نفسها أرض رخوة غليظة تحتاج من الماء ما لو نزل عليها مطراً لتهدمت أبنيتها»⁽²⁾.

كما أضاف "ابن كثير" أقوالاً وآراءً مختلفة تثير معنى لفظ "الجُرز" وتمنحه توسعاً لطيفاً من خلال السياق الوارد فيه، حيث اختلفوا في تحديد البلد المقصود بالأرض الجُرز هل هي مصر؟ أم اليمن؟ أم القرى الواقعة بينها وبين الشام؟ وهذا التساؤل أجاب عنه كثير من المفسرين*.

اختلف "البيضاوي" عن "ابن كثير" في اعتبار الأرض الجُرز التي لا نبات فيها بل يُبين أنها ذات نبات ولكنه قُطع أو أزيل إما بسبب الجفاف أو الفيضانات أو الحيوانات قاتلاً: « التي جُرز نباتها أي: قطع وأزيل لا التي لا تُنبت لقوله: ﴿فُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾⁽³⁾»⁽⁴⁾.

1- الكهف، الآية 8.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص612.

* من بينهم: "البيضاوي" حيث يشير أن المكان المقصود بالأرض الجُرز هو موضع في "اليمن". (ينظر: البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4 ص360، والزمخشري، الكشاف، ج5، ص39).

3- السجدة، الآية 27.

4- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج4، ص360.

ويتفق "الزمخشري" مع "البيضاوي" في أنها «الأرض التي جُرز نباتها أي قُطع، إما لعدم الماء، وإما لأنه رعي وأزيل، ولا يقال للتي لا تنبت كالسباح: جُرز»⁽¹⁾.

أما "ابن عاشور" فقد فسّر لفظ الجُرز بأنه «اسم للأرض التي انقطع نبتها، وهو مشتق من الجَرز، وهو: انقطاع النبت والحشيش، إما بسبب يُبس الأرض أو بالرعي، والجَرز: القطع وسمي القاطع جُرزا، فالأرض الجُرز: التي انقطع نبتها. ولا يقال للأرض التي لا تُنبت كالسباح جُرز. والمقصود: الاستدلال على البعث وتقريبه وإمكانه بإخراج النبت من الأرض بعد أن زال»⁽²⁾.

ونلاحظ مما سبق ذكره أن المفسرين اختلفوا في تحديد دلالة لفظ الأرض الجُرز فانقسموا إلى فريقين:

- **الفريق الأول:** ويمثله "ابن كثير"، حيث يرى أن المقصود بالأرض الجُرز التي لا نبات فيها، ولا يمكنها الإنبات بسبب يُبسها.

- **الفريق الثاني:** ويمثله كل من "البيضاوي، الزمخشري، ابن عاشور"، ويعتبرونها الأرض الخصبة والمنبئة ولكن انقطع نباتها أي: زال لأسباب عدة ذكرناها سابقا ولا يمكن أن نصف الأرض الصحراوية كالسبخة جُرزا.

(ب)- آراء العلماء:

لم نلاحظ اختلافاً بالغا بين آراء اللغويين والمفسرين من جهة وبين أقوال العلماء الفلكيين والجيولوجيين من جهة أخرى حول تفسيرهم وشرحهم لدلالة "الأرض الجُرز" فقد عدّها أحد العلماء من بين الآيات الأكثر تكرارا في القرآن العظيم والتي تبرز الدور الأساس للماء في إعادة الحياة للأرض الجُرز وتحويلها في وقت محدد إلى ذات نبات ومفاد كلامه أن «هذه الآيات هي الأكثر ترددا وتكرارا في طيات القرآن الكريم وتبرز جميعها دور الماء الحيّاتي الإنمائي فهو الذي يحيي النباتات وينميها وهو الذي يُحوّل الأرض الجُرز إلى حقول يانعة مُخضرة، وكأنها تبعث الحياة فيها من جديد»⁽³⁾.

1- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص39.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص241.

3- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص138.

فإنه عزّ وجلّ يُخاطب الكفار والمشككين في قدرته على إحياء الموتى من جديد فصور لهم الله تعالى كيف أنه يُحيي الأرض الميتة الجرداء بأبهي حُلة تزهو بالألوان التي تُسحر العقول وذلك بمجرد أن يُنزل عليها الماء فيروي عطشها الذي دام وقتنا طويلاً⁽¹⁾.

ففي هذه الآية إشارات ودلالات علمية صريحة تدعو للتفكير في خلق الله، والتي لا يزال العلماء يُسخرون لها كل الوسائل العلمية والتكنولوجية الحديثة لاكتشاف أسرارها، ومن بين تلك المؤشرات العلمية:

- الإشارة إلى أن الأرض التي قُطع عنها النبات طويلاً لا يقدر على إحيائها إلا الله تعالى وذلك بمجرد أن يُنزل عليها الأمطار فيسوق تلك المياه إلى أعماق الأرض ليخرج زروعا مختلف ألوانها وطعمها للمخلوقات.

- وإشارة إلى أن الله يحيي الأرض الميتة كما يحيي الأموات يوم البعث والنشور.

1- 15) - أدنى الأرض:

قال الله تعالى:

﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿١﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٢﴾ ﴾

- الدلالة اللغوية للفظ أدنى:

جاء في لسان العرب أن الدُّنُو معناه إذا « دنا الشيء من الشيء دُنوا ودناوة: قَرُب. ويقال: دنا وأدنى ودنّى إذا قَرَب. والأدنى: السَّوْل. الجوهرى: والدنّى القريب، غير مهموز. وقولهم: لقيته أدنى دنّي أي أول شيء، وأما الدنّى بمعنى الدون فمهموز»⁽³⁾. أما بعض المعاجم اللغوية لتفسير الألفاظ القرآنية فقد حدّدت المكان الذي وُصف بأنه الأدنى «أي قَرَب يقال: دنا يدنو دُنوا، أي أقربها إلى بلاد العرب. يُريد أرض الشام»⁽⁴⁾.

1- والتصوير يتجلى في قوله تعالى: ﴿ أَوْلَمَ يَرَوْا ﴾ " فالسؤال هنا استنكاري: ألا يكفيهم أي: الكفرة شاهدا على قدرة الله ووجوده أننا

أي: الله نرسل الماء إلى الأرض الجرز؟ فتزهر وتثمر ويأكل من خيراتها البشر وأنعمهم" (ينظر: شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص142).

2- الروم، الآية 2- 3.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(دنا).

4- عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص27.

من خلال رأي "ابن منظور" نلاحظ أنه دلّ على لفظ "دَنَا" بمعنيين متضادين ومتقابلين هما:

1- أدنى: بمعنى أقرب، والقريب دائما يكون تقريبا في منطقة عالية بعض الشيء أي "فوق" بحيث يستطيع الإنسان مثلا الوصول إليه.

2- والأدنى: بمعنى أسفل، أي أن المكان المحدد في الآية السابقة سيكون في أسفل منطقة وبالتالي سيكون هذا المكان كذلك في أخفض منطقة عربية.

ومنه نستنتج أن دلالتى "أدنى" المتمثلتان في: "قَرُب" و"سَفَل" متضادتين، ولكن هل سيتبين لنا المعنى أكثر من خلال رصد آراء المفسرين والعلماء لاكتشاف سبب هذا التضاد؟

- أدنى اصطلاحا:

(أ)- آراء أهل التفسير:

تروي هذه الآية قصة المعركة التي دارت بين الفرس والروم حيث أشار الله تعالى إلى المكان والزمان الذي سيغلب فيه الروم الفرس، «وكانت الواقعة الكائنة بين فارس والروم حين غلبت الروم بين أذرعات وبصرى على ما ذكره ابن عباس وعكرمة وغيرهما، وهي طرف بلاد الشام مما يلي بلاد الحجاز، وقال مجاهد: كان ذلك في الجزيرة، وهي أقرب بلاد الروم من فارس»⁽¹⁾.

كما جاء تكرر المكان الذي غلبت فيه الروم على يد الفرس في تفسير الكشاف " للزمخشري"، حيث قال فيه: «والأرض: أرض العرب، لأن الأرض المعهودة عند العرب أرضهم. والمعنى: غلبوا في أدنى أرض العرب منهم وهي أطراف الشام. قال مجاهد: هي أرض الجزيرة، وهي أدنى أرض الروم إلى فارس. وعن ابن عباس (رضي الله عنهما): الأردن وفلسطين. وقرئ في أداني الأرض. والبضع ما بين الثلاث إلى العشر عن الأصمعي. وقيل احتربت الروم وفارس بين أذرعات وبصرى، فغلبت فارس الروم»⁽²⁾.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص560-564.

2- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص563-564.

ونلاحظ أن هناك اتفاق بين "ابن كثير" و"الزمخشري" أن لفظ "أدنى" بمعنى "أقرب" أي: أن المنطقة التي غلبت فيها الروم هي أقرب من بلاد فارس على بلاد الروم ولكن الاختلاف الذي لاحظناه يتمثل في: تحديد المنطقة الأقرب من بلاد فارس فهل يمكن اعتبار هذا المكان يقع:

- بين أدراعات وبُصرى.

- أو في أرض الجزيرة.

- أم في بلاد الشام مما يلي الحجاز.

- أو بين الأردن وفلسطين.

وذكرنا لدلالة لفظ "أدنى الأرض" بالنسبة للمناطق التي أشير إليها سابقا باعتبارها المكان المقصود في القرآن العظيم، والتي بيّنها "أبو حيان الأندلسي" في تفسيره قائلا: «وَالرُّومُ طَائِفَةٌ مِنَ النَّصَارَى وَ(أدنى الأرض) أقربها فإن كانت الواقعة في "أدراعات" فهي أدنى الأرض بالنظر إلى مكة، وهي التي ذكرها امرؤ القيس في قوله:

تَنَوَّرَتْهَا مِنْ أَدْرَاعَاتٍ وَأَهْلَهَا بِيَثْرِبِ أَدْنَى دَارِهَا نَظَرَ عَالٍ

وإن كانت بالجزيرة فهي أدنى بالنظر إلى أرض كسرى، فإن كانت بالأردن فهي أدنى بالنظر إلى أرض الروم»⁽¹⁾.

وهو بذلك يؤكد ما استنتج سابقا حول الاختلاف في تحديد المنطقة التي وقعت فيها المعركة فرغم اتفاق المفسرين واللغويين في تفسير لفظ "أدنى الأرض" بالأقرب، إلا أنهم تباينوا في وصف المكان الذي غلبت فيه الفرس الروم بالتحديد، فيما أن يكون الأقرب من:

1- مكة إذا كانت الهزيمة وقعت في منطقة "أدراعات".

2- أو من أرض كسرى إذا كانت الواقعة في "الجزيرة".

3- أما إذا وقعت المعركة بأرض الروم فالمكان الأدنى هو الأردن.

1- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص157.

أما "ابن عاشور" فيحدد (أدنى الأرض) أنها التي تقع في بلاد الشام بين بصرى وأذرعاء قائلًا: «وكانت الهزيمة العظيمة على الروم في أطراف بلاد الشام المحادية بلاد العرب بين بصرى وأذرعاء. أي أدنى بلاد الروم إلى بلاد العرب. فالتعريف في "الأرض" للعهد، أي أرض الروم المتحدث عنها، أو اللام عوض عن المضاف إليه، أي في أدنى أرضهم، أو أدنى أرض الله. وحُذف متعلق "أدنى" لظهور أن تقديره: من أرضهم أي أقرب بلاد الروم من أرض العرب، فإن بلاد الشام تابعة يومئذ للروم وهي أقرب مملكة الروم من بلاد العرب»⁽¹⁾.

ب)- الدلالة العلمية للفظ أدنى:

إذا كان لفظ "أدنى الأرض" من الناحية اللغوية يعني: الأقرب والسفل وهما متضادان فالأول: بمعنى الأعلى والثاني: بمعنى الأخفض، أما من ناحية الدلالة العلمية والدراسات الجيولوجية لتضاريس الكرة الأرضية فتُعرّف "أدنى الأرض" بأنها «أخفض نقطة على سطح الأرض كافة، وهي عورُ فلسطين، البحر الميت (بحر لوط) الذي ينخفض 392م تحت سطح البحر وأقرب أرض الروم إلى فارس والجزيرة العربية، فأدنى الأرض بمعنى القريبة المنخفضة وهذا تحقق كما أخبر القرآن الكريم بانتصار الروم على الفرس في فلسطين، في وقت يقارب زمن انتصار المسلمين في بدر(2 هـ \ 624 م)»⁽²⁾.

إذن فالقرآن الكريم يحدد لنا من خلال لفظ "أدنى" موقع المنطقة التي حدثت فيها المواجهة بالتحديد، من حيث أنها الأقرب إلى أرض فلسطين والأردن، ومن جهة أخرى يمثل هذا المكان أخفض منطقة في العالم، والتي سنكتشفها أثناء رصدنا لأراء علمية أكثر تدقيقاً في هذا اللفظ.

تعد الآيات الأولى من سورة الروم من المعجزات القرآنية الغيبية «فسبحان الذي أنزل هذا التعبير المعجز "أدنى الأرض" ليحدد أرض المعركة، ثم ليثبت العلم التجريبي بعد أكثر من اثني عشر قرناً أن الأغوار الفاصلة بين أرض فلسطين المباركة والأردن هي أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً، وثبت علمياً بقياسات عديدة أن أكثر أجزاء اليابسة انخفاضاً هو غور البحر الميت، حيث يصل مستوى منسوب سطحه إلى حوالي أربعمئة متر (400 م) تحت سطح البحر، ويصل منسوب قاعه في أعماق أجزائه إلى قرابة الثمانمئة متر (800 م) تحت مستوى سطح البحر، وهي بحيرة داخلية بمعنى أن قاعها يعتبر في الحقيقة جزء من اليابسة»⁽³⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج21، ص43.

2- شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، دار الفكر، سوريا، (د، ط)، 2001، ص164.

3- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية(32)، مجلة قضايا وآراء، 14 ذو القعدة 1422هـ 28يناير 2002 العدد: 126-42056، ص8.

أما فيما يخص اسم المكان الذي وصف بأنه أدنى الأرض فيختلف فيه "زغلول النجار" عن المفسرين والمؤرخين قائلًا: « وعلى كتاب التاريخ الذين تأرجحوا في وضع المعركة الفاصلة في هزيمة الروم على أرض القسطنطينية، أو على أرض أنطاكية، أو أرض دمشق أن يعيدوا النظر في استنتاجاتهم، لأن القرآن الكريم يقرر أن هزيمة الروم على أيدي الفرس كانت على الأرض الواقعة بين شرقي الأردن وفلسطين وهي أغوار وادي عربة - البحر الميت- الأردن التي أثبت العلم أنها أكثر أجزاء اليابسة انخفاضًا والتي ينطبق عليها الوصف القرآني بأدنى الأرض انطباقًا تامًا ودقيقًا»⁽¹⁾.

كما ذكرت الموسوعة البريطانية فيما ترجمه ماهر أحمد الصوفي أن « البحر الميت بقعة مائية مالحة مغلقة بين (فلسطين) و(الأردن) وأخفض جسم مائي على الأرض فانخفاضه يصل إلى نحو (1312) قدم (حوالي 400 متر) من سطح البحر، القسم الشمالي منه يقع في الأردن وقسمه الجنوبي مقسم بين الأردن وفلسطين، فالبحر الميت يقع بين تلال جديدة غرباً وهضاب الأردن شرقاً»⁽²⁾.

وبهذا نلاحظ أن لفظ "أدنى" تأتي بمعنيين متضادين "أقرب" و "أخفض" فهي:

- 1- من جهة أدنى وأقرب منطقة لشبه الجزيرة العربية.
- 2- ومن جهة أخرى تمثل أخفض وأبعد منطقة على سطح الأرض⁽³⁾.

1-16- نَقَصَ الْأَرْضَ مِنْ أَطْرَافِهَا: الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا.

قال الله تعالى: ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۗ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ۗ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۗ ﴾⁽⁴⁾.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، ص9-10.

2- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ج6، ص289.

3- وسنوضح كل ما ذكرناه سابقًا من خلال الصور التي تبين أن أدنى الأرض المذكورة في القرآن العظيم هي أخفض منطقة في العالم والموجودة في أغوار البحر الميت بفلسطين في الملحق رقم1.

4- الرعد، الآية 41.

وقال أيضا: ﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَهُؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي
الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (1).

- الدلالة اللغوية للفظ نقص الأطراف:

أما معنى النقص لغة فمعروف أي: الأخذ والحذف من شيء معين وبكيفية معينة في حين نرى أن للفظ الطرف معاني مختلفة خاصة التي ذكرت في القرآن "أطرافها"، حيث عرفها "ابن منظور" بقوله: « الطرف، بالتحريك: الناحية من النواحي والطائفة من الشيء والجمع أطراف، ومعناه موت علمائها، وقيل: موت أهلها ونقص ثمارها، وقيل: معناه أو لم يروا أدنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم أن أطراف الأرض نواحيها، الواحد طرف وننقصها من أطرافها أي: من نواحيها ناحية ناحية، وعلى هذا من فسر نقصها من أطرافها فتوح الأرضيين، وأما من جعل نقصها من أطرافها موت علمائها فهو من غير هذا قال: والتفسير على القول الأول» (2).

أما في "أساس البلاغة" فقد ذكر "الزمخشري" أن الأطراف بصفة عامة معناها النواحي وذلك إذا: « تفرّقوا في الأطراف: في النواحي. وتطرفه نحو تحيفه إذا أخذ من أطرافه» (3). وكذلك نرى أن صاحب معجم عمدة الحفاظ قد اتفق مع "ابن منظور" في شرحه لمعنى الطّرف، فبيّن معناه الحقيقي والمجازي قائلا: « أي من نواحيها، وذلك عبارة عن فتوح بلاد الشرك على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم). وقيل: فتوح البلاد بعده. وفيه دلالة على نبوته لصدق ما وعد به. والطّرف: الناحية، وقيل: هو كناية عن موت العلماء، الواحد طرف بالكسر وسكون الراء وقيل: يقال فيه طّرف أيضا والظاهر أن قوله: ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ

أَطْرَافِهَا ﴾ عبارة عن أخذ الناس بالموت، وأن لا أحد يبقى كقوله تعالى: ﴿ قَدْ عَامَنَا مَا

تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴾ (4). وأطراف النهار: ساعاته وأزمنته كأطراف المكان لنواحيه» (5).

1- الأنبياء، الآية 44.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(طرف).

3- الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص601.

4- ق، الآية 4.

5- عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص398.

- النقص اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

اختلف المفسرون في دلالة اللفظ الوارد في الآية السابقة الذكر، فقد قدم "ابن كثير" آراء متباينة، كما وجدنا المفسرين ينظرون إلى معنى الآية بصفة عامة ودلالة اللفظ بصفة خاصة على ثلاث وجوه:

(1)- الوجه الأول:

فتح المسلمين لبلاد الكفار ونصرهم نصراً مؤزراً وفي هذا المقام يقول "ابن كثير": « قال ابن عباس: أو لم يروا أنا نفتح لمحمد (صلى الله عليه وسلم) الأرض بعد الأرض. وقال الحسن الضحاك: هو ظهور المسلمين على المشركين»⁽¹⁾. كما أضاف "الزمخشري" معنى مماثل مفاده أن قوله تعالى: « ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ﴾ أرض الكفر ﴿ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الإسلام»⁽²⁾.

نلاحظ أن علماء التفسير ربطوا صورة "نقص الأرض من أطرافها" بما يمكن مشاهدته بالعين المجردة، حتى يتم تقريب إدراك علاقة المشابهة بينهما، فمن غير الممكن رؤية أو حتى تخيل - على حد تعبيرهم- أن الأرض تنقص من أطرافها أو جوانبها، بل اعتبروا أن المراد "بالأطراف" هو: المخلوقات، الديار، الأشجار... الخ.

(2)- الوجه الثاني:

ويتمثل في خراب الأرض بنقصان (موت) الأنفس والثمرات، وفي هذا المقام ذكر "ابن كثير" قول: « مجاهد وعكرمة: ننقصها من أطرافها، قال: خرابها. وقال العوفي عن ابن عباس: نقصان أهلها وبركتها. وقال مجاهد: نقصان الأنفس والثمرات وخراب الأرض. وقال الشعبي: لو كانت الأرض تنقص لضاق عليك حشك، ولكن تنقص الأنفس والثمرات وكذا قال عكرمة: لو كانت الأرض تنقص لم تجد مكاناً تقعد فيه، ولكن هو الموت»⁽³⁾.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج2، ص685.

2- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص357، ج4، ص147.

3- المرجع السابق، ج3، ص685.

ويؤكد "ابن عاشور" من جهة أخرى أن رؤية نقصان الأرض من أطرافها يمكن أن يكون بصريا بحيث نجد ذلك على البشر من موت وعلى الحجر من خراب ودمار، وبهذا فالنقص لا يقع على الأرض في ذاتها بل يقع على من يعيش عليها، « والرؤية يجوز أن تكون بصرية والمراد: رؤية آثار ذلك النقص، ويجوز أن تكون علمية، أي تأتي أية أرض من أراضي الأمم ولأن النقص لا يكون في ذات الأرض ولا يرى نقص فيها ولكنه يقع فيمن عليها ناقصة من أطرافها»⁽¹⁾.

(3)- الوجه الثالث:

ويكون بموت العلماء وأهل الخير، فالموت يؤدي لإنقاص الأرض من أطرافها ولكن لا يكون ذلك بالنقص الفعلي لمساحة الأرض، بل يكون بنقص العلم خاصة الشرعي منه بسبب نقص علمائه، حيث « قال ابن عباس في رواية: خرابها بموت علمائها وفقهائها وأهل الخير منها، وكذا قال مجاهد أيضا: هو موت العلماء»⁽²⁾.

(ب)- آراء العلماء:

لعلماء الجيولوجيا تفسير مغاير للآية الكريمة، فقد أشار أحدهم لمعنى الآية بعنوان "الزلازل" أي: أن الهزات الأرضية المستمرة تؤدي إلى إنقاص الأرض من أطرافها (قشرتها الخارجية) ونواحيها ويخسف جوانب منها، ومثلما علمنا سابقا أن « أطراف الشيء جوانبه وبما أن الأرض شبه كروية فأطرافها هي قشرتها الخارجية. والزلازل عبارة عن تصدّعات في قشرة الأرض يتبعها انخساف من بعض أجزائها إلى داخلها بحيث يَعمُر قسم منها في باطن الأرض، فبواسطة هذه الزلازل يُنقص المولى الأرض من أطرافها ويخسف جانبها منها ويبعث العذاب من تحت أرجل الأمم والأفراد من الذين حقّ عليهم القول»⁽³⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص171.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص685.

3- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص29-30.

كما يعرض القرآن الكريم الحوادث الكونية، وليس فقط الأجزاء والأنواع والمشاهد الثابتة فهو يعرض الكون في صورته المتحركة لا في صورته الساكنة، فالأرض دائمة النقصان بعاملتي التّحات والتبخر، ولكن العالم الجيولوجي "زغلول النجار" يعد هذان العاملان من بين عوامل أخرى تؤثر بطريقة مباشرة وغير مباشرة على الأشكال التضاريسية للأرض، حيث أحصى لعبارة (إنقاص الأرض من أطرافها) عدد من الدلالات العلمية وحددها في ثلاث دلالات عامة تتفرع لدلالات علمية أخرى فرعية نلخصها فيما يلي:

1- دلالة لفظة الأرض على الكوكب ككل⁽¹⁾:

والتي بدورها تتجزأ إلى ثلاث معانٍ علمية بارزة نذكرها باختصار:

(أ)- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى انكماشها على ذاتها وتناقص حجمها باستمرار: « والسبب في هذا الكميات الهائلة من المادة والطاقة الموجودة تحت ضغوط عالية في جوف الأرض، التي تنطلق متى واتها الفرصة في صورة براكين»⁽²⁾.

(ب)- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى تفلطحها قليلاً عند القطبين وانبعاجها قليلاً عند خط الاستواء: « وتبين من القياسات أن نصف القطر الاستوائي يزيد على نصف القطر القطبي فهناك نقص مقداره (41,73 ميلا) لمحيط الكرة الأرضية مرورا بالقطبين (2485982 ميلا) عن محيط الكرة الأرضية مرورا بخط الاستواء (2490155 ميلا)»⁽³⁾.

(ج)- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى اندفاع قيعان المحيطات تحت القارات وانصهارها وذلك بفعل تحرك ألواح الغلاف الصخري للأرض و« بتآكل شواطئ البحار والمحيطات بفعل ظاهرتي المدّ والجزر والأمواج والتيارات البحرية والأمواج التسونامية»⁽⁴⁾.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية (25)، 19 شعبان 1422 هـ 5 نوفمبر 2001، العدد 41972-126، ص3.

2- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العلمية، ج6، ص280.

3- المرجع نفسه، ص281-282.

4- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ص280.

(2)- دلالة لفظ الأرض على اليابسة التي نحيا عليها⁽¹⁾:

وفي هذا الإطار نجد معنيين علميين واضحين:

- (أ)- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى أخذ عوامل التعرية المختلفة من المرتفعات وإلقاء نواتج التعرية في المنخفضات من سطح الأرض حتى تتم تسوية سطحها.
- (ب)- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى طغيان مياه البحار والمحيطات على اليابسة وتحول أجزاء من اليابسة إلى بحار، والتي من نماذجها المعاصرة كل من البحر الأحمر وخليج كاليفورنيا.

(3)- دلالة لفظ الأرض على التربة التي تغطي صخور اليابسة⁽²⁾:

- إنقاص الأرض من أطرافها بمعنى التصحر أي: زحف الصحراء على المناطق الخضراء وانحسار التربة الصالحة للزراعة، ويمثل ذلك صورة من صور خراب الأرض بإنقاصها من أطرافها. كما تشير الآية الكريمة إلى أمرين مهمين:

أولاً: أن الفعل (تنقصها) فعل مضارع وليس فعل ماضٍ، ومعنى هذا أن المضارع يتكلم دائماً عن استمرار الفعل.

أما ثانياً: «فإن الله سبحانه وتعالى قال (من أطرافها) ولم يقل (أطرافها) ولو قال هذا فمعناه أن النقص لا يكون من طرفي الكرة الأرضية القطب الجنوبي والقطب الشمالي ولكن الله سبحانه قال (من أطرافها) دليل على أن النقص من جميع أنحاء الأرض وأطرافها»⁽³⁾.

وبهذا يدل صاحب هذا الرأي على "النقص" يأخذ من جميع أطراف الأرض، وليس فقط طرفيها القطبي والاستوائي، فدلالة حرف الجر "من" أعطى للفظ "النقص" معنىً عاماً يدل على الكرة الأرضية ككل.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية، ص6.

2- المرجع نفسه، ص7.

3- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ص278.

1- 16- انشقاق الأرض: تَنَشَّقُ، شَفَّقَ، شَقَّقْنَا، شَقَا.

قال تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴾⁽¹⁾.

وقال: ﴿ يَوْمَ نَشَقُّ الْأَرْضَ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴾⁽²⁾.

وقال أيضا: ﴿ ثُمَّ شَقَّقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴾⁽³⁾.

- الدلالة اللغوية للفظ الشَّقُّ:

يوضح لنا "ابن منظور" معنى انشقاق الأرض بقوله أن: « الشَّقُّ: مصدر قولك شَقَّقت العود شَقَا. والشَّقُّ: الصدع البائن، وقيل: غير البائن، وقيل: هو الصدع عامة. شَقَّه يشقه شَقَا فأنشق وشَقَّقه فَتَشَقَّقُ، والشَّقُّ: الموضع المشقوق، كأنه سمي بالمصدر، وجمعه شُقُوق. وشَقَّقت الشيء فأنشَق. وشَقَّ النبات يشق شُقُوقًا، وذلك في أول ما تنفطر عنه الأرض»⁽⁴⁾. وبهذا يبين لنا من ناحية أخرى أن لفظ "الشَّقُّ" معناه "الصدع" مما يجعلنا نربطه مباشرة بدلالة الآية التي سندرسها لاحقًا، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ ﴾⁽⁵⁾، وقد لاحظنا دائما وجود

مجموعة من الألفاظ المختلفة المبنى لكنها تشترك في المعنى نفسه، وهذا يندرج ضمن باب ترادف معاني الألفاظ.

- الشَّقُّ اصطلاحًا:

أ- آراء المفسرين:

يتفق أغلب المفسرين واللغويين على شرح معنى "الشَّقُّ" بالصدع، وهذا ما يشير إليه علماء الجيولوجيا إشارة واضحة من خلال الصور الفوتوغرافية والرسومات البيانية والتي سنتعرف عليها لاحقًا، ولكن معنى "الشَّقُّ" في الآيات الثلاث جاء مختلفًا ونذكر من بينها:

1- مريم، الآية 90.

2- ق، الآية 44.

3- عبس، الآية 26.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(شقق).

5- الطارق، الآية 12.

1- ففي الآية الأولى:

يشار إلى معنى "الانفطار" بمعنى "الانشقاق والانصداع"، أي: «يتشققن فرقا من عظمة الله وغضبا له عز وجل، وذلك ردا على شرك الكفار بالله وادعائهم أنه اتخذ ولدا فسبحانه تعالى عما يشركون»⁽¹⁾. ومعنى «الانفطار من فطره إذا شقه، والتفطر: من فطره إذا شقه وكرر الفعل فيه، وقرأ ابن مسعود: "يَنصَدَعْن" أي: تَهْدُ هدا، أو مَهْدُودَة أو مفعول له»⁽²⁾.

ويتضح مما جاء في كلام المفسرين أن الألفاظ تترادف في المعاني التالية: الانفطار والانشقاق والانصداع، والهدف من ذلك رفع ما يحمله اللفظ نفسه من ثقل التكرار والأمر نفسه يؤكد "ابن عاشور" قائلا: «التفطر: الانشقاق، والجمع بينه وبين "تَنشِقُ الأرض" تفننٌ في استعمال المترادف لدفع ثقل تكرير اللفظ، والكلام جار على المبالغة في التهويل من فظاعة هذا القول بحيث إنه يبلغ إلى الجمادات العظيمة فيُغير كيانها»⁽³⁾.

2- وفي الآية الثانية:

أشار الله تعالى لهيئة الأرض أثناء قرب الساعة، حيث «أن الله عزّ وجلّ ينزل مطرا من السماء ينبت به أجساد الخلائق كلها في قبورها، كما ينبت الحب في الثرى بالماء، وتنشق الأرض عنهم فيقومون إلى موقف الحساب سريعا مبادرين إلى أمر الله عز وجل»⁽⁴⁾.

وقد جاءت القراءات القرآنية عند ذكرها للفظ "تَشَقَّق" بقاء واحدة، ولهذا «قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب "تَشَقَّق" بفتح التاء وتشديد الشين. وأصله تَشَقَّق بقاءين فأدغمت التاء الثانية في الشين بعد قلبها شينا لتقارب مخرجيهما. وقرأه أبو عمرو وعاصم وحزمة والكسائي "تشقق" بتخفيف الشين على حذف تاء التفعيل لاستثقال الجمع بين تاءين»⁽⁵⁾. إذن فلغة "تَشَقَّق" و"تَشَقَّق" واحدة، لكنه حدث إبدال في حرفي التاء والشين بعد قلب الأول شينا ثم أُدغمت فصارا شينا واحدا مشددا.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص188 (بتصرف).

2- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص57.

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج16، ص170-171.

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص294.

5- المرجع السابق، ج26، ص332-333.

3- أما في الآية الثالثة:

ففرى للفظ الشَّق دلالة مغايرة، حيث يدل على كيفية إحياء الأرض بالنبات، وذلك بشق تربتها أو إحداث صدوع مختلفة الأحجام في سطحها لتسهيل مرور المياه المتساقطة على الأرض، وهذا لمساعدة النباتات المتنوعة على النمو والإثمار، فعملية شق الأرض متعلق علاقة وطيدة بسقوط وصب الماء عليها، والآية: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ متعلقة بقوله

تعالى: ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾⁽¹⁾، فبعد صب الماء من السماء واستقراره في شقوق الأرض

وصدوعها أخرج الله تعالى أنواعا شتى من النبات، فمعنى الآية أننا «أسكناه فيها فدخل في تخومها وتخلل في أجزاء الحب المودع فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض»⁽²⁾.

فقد عدَّ الله تعالى نعمه الكثيرة على عباده في الآيات الأخيرة من سورة عبس وذلك بدأ من الآية الرابعة والعشرين (24) إلى الآية الثانية والثلاثين (32)، أما في الآية السادسة والعشرين (26) التي تُبين لنا كيف أن الله عز وجل شق الأرض بما تشتهيهِ الأعين والأنفس أما معنى شَقَقْنَا فهي مأخوذة «من شَقَّ الأرض بالنبات ويجوز أن يكون بالكِرَاب* على البقر وأسند الشَّق إلى نفسه إسناد الفعل إلى السبب»⁽³⁾.

فإنه سبحانه وتعالى يؤكد بالقول - والفعل أقدر عليه- أن الماء يصبه صبا والأرض يشقها شقاً فُنِبِت من خلال هذه الشقوق ما تبينه الآية التالية: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ وَعَبًّا وَقَضْبًا

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ﴿وَفَكِهَةً وَأَبًّا﴾⁽⁴⁾.

1- عبس، الآية 25.

2- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص608.

*- وكرَبَ الأرض يكربها كربا وكرابا: قلبها للحرث، وأثارها للزرع. الكِرَابُ: كركبك الأرض حتى تقلبها، مَكْرُوبَةٌ مُثَارَةٌ (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(كرب)).

3- الزمخشري، الكشاف، ج6، ص316.

4- عبس، الآية 27- 31.

وفي هذا المقام ندرك أن معنى الشَّق هو فصل ما كان متصلا في كتلة موحدة وإبعاد أجزاء منه عن بعضها بعض، وهذا بهدف تسهيل عملية مرور الماء لأبعد نقطة ممكنة تصل إليها جذور النباتات لتنمو من جديد، والمعنى نفسه أشار إليه "ابن عاشور" في قوله: « والشق: الإبعاد بين ما كان متصلا. والمراد هنا شقّ سطح الأرض بخرق الماء فيه أو بآلة كالمحراث والمسحاة أو بقوة حر الشمس في زمن الصيف لنتهيا لقبول الأمطار في فصل الخريف والشتاء»⁽¹⁾.

ب.- الدلالة العلمية للفظ الشَّق:

أشار "ابن عاشور" في تفسيره إشارة علمية بسيطة لمعنى الشَّق ولم يُفصل في ذلك لأنه ركز على التفسير القرآني واللغوي أكثر، أما الكتب العلمية فقد أشارت لمعنى الشَّق بالنظر لمعنى الصَّدع مع اختلاف أسبابه ونتائجه، « فلقد ثبت اليوم ومن خلال تكنولوجيا العلوم أن الأرض فعلا ذات صدع وهو غير الشَّق الذي منه يخرج النبات والأشجار والثمار وكل ما تنبت الأرض»⁽²⁾.

فالشَّق فعل تشترك فيه كل من الأرض والسماء لقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ

بِالْغَمِّمِ وَتُزَلِّ الْمَلٰٓئِكَةُ تَزِيْلًا ۝﴾⁽³⁾ أما الصَّدع ففعل تختص به الأرض فقط، وانشقاقها يساعد

على إخراج النباتات، في حين تصدُّعها يعمل على تكوين السلاسل الجبلية والجزر الصغيرة ولأن « كلمة "الصدع" لا تستعمل تحديدا لشق الأرض وإخراج النبات بأنواعه ولكن كلمة "شق" تستعمل لشق الأرض لإخراج النبات، وتستعمل لتصدع الأرض والسموات والفعل "تشقق" أو "انشق" يستعمل أيضا لما هو أعظم من تشقق الأرض، فقد استعمل لانشقاق السماء»⁽⁴⁾.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص131.

2- المرجع نفسه، ج30، ص131.

3- ونجد اللفظ يتكرر في السور التالية: الفرقان، الآية25 \ الحاقة، الآية16 \ الرحمن، الآية37.

4- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، ج6، ص258.

الأسباب التي تجعل الأرض تتصدع وتتشقق مكونات تربتها حيث « تتكون عادة من معادن الصلصال المختلطة أو غير المختلطة بالرمل، وهي معادن دقيقة الحبيبات (أقطارها أقل من 0.004 من المليمتر) وتتركب أساسا من سيليكات الألومنيوم على هيئة طبقات متبادلة بين كل من السيليكا (ثاني أكسيد السيليكون) والألومينا (ثالث أكسيد الألومنيوم) مع عناصر أخرى كثيرة، وتحمل كل طبقة على سطحها شحنة كهربائية موجبة أو سالبة على حسب نوع الصلصال المركبة منه»⁽¹⁾.

وهذا ما يفسر اهتزاز الأرض التي لا نبات فيها عندما ينزل عليها المطر، كما « اكتشف علماء الجيولوجيا اليوم، أن الأرض متصدعة بشقوق قسمتها إلى أربع وعشرين 24 قطعة وعلى هذه القطع تركز القارات وكذلك قيعان البحار، منها القطعة الإفريقية، والقطعة الأمريكية، وكذلك الأوروبية والآسيوية والأسترالية والهندية والعربية»⁽²⁾.

1-17- صدع الأرض: الصدع.

قال الله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ ﴾⁽³⁾.

- الدلالة اللغوية لفظ الصدع:

لقد لاحظنا سابقا أن " الشق " معناه " الصدع "، فكلاهما يمثلان وجهان لعملة واحدة مع اختلافهما في بعض المميزات الدلالية، ذلك أن القرآن العظيم جعل الأرض - بمعنى التربة- الشيء الوحيد الذي يتصدع ولهذا فالصدع معناه: « الشق في الشيء الصلب كالزجاجة والحائط وغيرهما، وجمعه صدوع، وصدع الشيء يصدعه صدعا، وصدّعه فانصدع وتصدع: شقّه بنصفين، وقيل: صدّعه شقه ولم يفترق. والصدع: نبات الأرض لأنه يصدعها يشقها فتصدع به. قال ثعلب: هي الأرض تنصدع بالنبات. وتصدعت الأرض بالنبات: تشققت»⁽⁴⁾.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العلمية، ص259.

2- نور الدين أبو لحية، محمد والمعجزات العلمية في القرآن والسنة، ص135.

3- الطارق، الآية12.

4- ينظر: ابن منظور، مادة(صدع). والزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص540.

لم نجد اختلافا بين اللغويين في شرح لفظ "الصّدع" إلا ما ورد على سبيل المجاز لدلالة على معاني متباينة ذكرها بالتفصيل كل من "ابن منظور" و"الزمخشري" في معجميهما كما أشار "عبد الدائم" لهذا المعنى بقوله: « وأصل الصّدع الشقُّ في الأجسام الصلبة. يقال: انصدع الحديد والزجاج، صدّعته فانصدع، وصدّعته فتصدّع. وعنه استعير: صدّع الأمر أي: فصله. ومنه استعير الصّداع: وهو شبه الاشتقاق في الرأس من الوجع، وقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ﴾ لأنها تُشق بالنبات»⁽¹⁾. وبهذا يكون للنبات دور مهم وفَعَال

في شقِّ الأرض وصدّعها ولكن لولا الماء لما اهتزت تربة الأرض ولانت لنباتاتها.

وقد لاحظنا أن هناك تسلسلا في معاني الآيات حيث اتسمت بانسجام وتلاحم في نظمها مما جعلها مترابطة فمثلا: لا يتم إحياء الأرض بعد انقطاع النبات عنها إلا إذا رُويت تربتها بالماء فاهتزت وربت وتشققت وتصدّعت عن نباتاتها كي تنمو.

- الصّدع اصطلاحا:

أ- آراء أهل التفسير:

اتفق جل المفسرين على تفسير لفظ "الصّدع" بأنه الأرض التي تتصدع تربتها عن النبات ليُنبت ويثمر، فقد ذكر "ابن منظور" قول "ابن عباس" في أن تصدع الأرض « هو انصداعها عن النبات»⁽²⁾. كما جاء اللفظ بمعاني كثيرة تصب كلها في قالب واحد هو تحديد معنى "الصّدع" بأنواعه سواء أكان شقوقا صغيرة أم صدوعا كبيرة، نذكر من بينها:

1- ما تتصدع عنه الأرض من النبات فهي ذات الانشقاق والحرث، وكذلك صدّعها عن إخراج النبات سنويا وأحيانا يُقصد بالصدع النبات نفسه.

2- ما في الأرض من شقاق ولِصَاب* وخندق وتشقق بحرث، وهي ذات الطرق تصدّعها المشاة وعن مجاهد قال: الصدعُ مثل المأزم* مأزم منى، غير الأودية وغير الجُرف.

1- عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص324-325 (بتصرف).

2- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص643. والزمخشري، الكشاف، ج6، ص355.

* لصاب: واللّاصب: مضيق الوادي، وجمعه لُصوب ولِصَاب. واللّاصب: شق في الجبل أضيّق من اللهب وأوسع من الشّعب (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(لصب)).

* - المأزم: كل طريق ضيق بين جبلين، المضيق في الجبال حتى يلتقي بعضها ببعض ويتسع ما وراءه، والميم زائدة، وكأنه من الأزْم القوة والشدة(ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(أزم)).

3- وقيل: ذات الأموات لانصداعها عنهم يوم النشور أي أن الأرض تنشق عن القبور فيبعث من فيها من الأموات ليوم الحساب والعقاب⁽¹⁾.

أما "ابن عاشور" فيرى أن "الصدع" مصدر بمعنى المفعول وهو الذي يقع عليه فعل خروج النباتات من خلال الشقوق التي تسببها الزلازل والبراكين في القشرة الأرضية. وبهذا يكون معنى «الصدع: الشَّق، وهو مصدر بمعنى المفعول، أي المصدوع عنه، وهو النبات الذي يخرج من شقوق الأرض. ولأن في هذين الحالين إيحاء إلى دليل آخر من دلائل إحياء الناس للبعث فكان في هذا القسم دليلان»⁽²⁾. أي: أن الصدع يُخرج النبات من الأرض كما يُخرج الأموات من القبر ليوم البعث.

ب- الدلالة العلمية للفظ الصدع:

يقتبس أكثر العلماء الجيولوجيين - خاصة العرب- أفكارهم وآرائهم من أقوال اللغويين والمفسرين مع إضافة دلائل علمية حديثة وثابتة، فقد أشار "زغلول النجار" «أن لفظ الأرض جاء في القرآن بمعان ثلاث هي:

1- التربة التي تغطي صخور اليابسة.

2- كتل اليابسة التي نحيا عليها.

3- كوكب الأرض كوحدة فلكية محددة.

ولهذا فإن القسم القرآني بالأرض ذات الصدع لا بد وأن تكون له دلالة في كل معنى من معاني كلمة الأرض»⁽²⁾، فالصدوع لم تُصب سطح الكرة الأرضية فقط بل تتجاوزه لأعماق البحار والمحيطات ولهذا الكلام أدلة كثيرة سنذكرها لاحقاً، والصدع لا يكون أحياناً إلا في حالة واحدة هي: «تصدع الأرض سواء في البر أو البحر، وانفتاقها* عن صدوع كبيرة قد تصل إلى عشرات الكيلومترات لحفظ توازن الأرض»⁽³⁾.

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص451. والطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24، ص304-305-306.

2- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص266.

3- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية(26)، مجلة قضايا وآراء، 26 شعبان 1422هـ 12نوفمبر 2001 العدد: 126-41979، ص3.

*- انفتاقها: فتق، الفتق: خلاف الرتق. فتقه يفتقه ويفتقه فتقا: شقه (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(فتق)).

إذا كانت النباتات لا تنمو إلا من خلال الصّدوع والشقوق التي تسببها عوامل خارجية كالأمطار، الزلازل والبراكين... الخ، فكلها تُحدث هزّات وحركات مختلفة الشدة والسرعة تحدث عنها " زغول النجار " وبينها في نقاط ثلاث هي:

(1)- انصداع التربة عن النبات:

وقد أضيف للصدع معنى آخر ألا وهو الكسر أو الانكسارات التي تحدث على مستوى القشرة الأرضية، حيث أن « الصدع لغة هو الكسر في الأرض، وتتحرك الأرض على جانبي مستواه حركة أفقية أو رأسية أو مائلة»⁽¹⁾.

كما أضاف عالم آخر أن سبب انكسار القشرة الأرضية يعود للضغط المتزايد عليها « فنتيجة لتعرض صخور قشرة الأرض للإجهاد بالشّد أو بالتضاغط تنكسر تلك الصخور بواسطة مجموعات من الفواصل المتوازية والمتقاطعة على هيئة شقوق في قشرة الأرض تمزق صخورها إلى كتل متجاورة دون حدوث قدر ملحوظ من الحركة على جوانب مستويات تلك الشقوق»⁽²⁾.

إذن فسبب حدوث الصّدوع والانكسارات المختلفة يعود للضغط الهائل الذي تتعرض له صخور القشرة الأرضية، ولولا خاصية الصدع لانفجرت الأرض كقنبلة ذرية أو هيدروجينية مثلما يحدث لبعض الكواكب المنتشرة في هذا الكون الواسع، « كما أن الأرض فيها كمّ من العناصر تتحلل تلقائياً بمعدلات ثابتة، وهذا التحلل يؤدي إلى إنتاج كميات هائلة من الحرارة ولو لم تجد هذه الحرارة متنفساً لها لفجرت الأرض كقنبلة ذرية هائلة من اللحظة الأولى لتيبس قشرتها الخارجية»⁽³⁾.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العلمية، ج6، ص258-259.

2- زغول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم، ص3.

3- نور الدين أبو لحية، محمد(صلى الله عليه وسلم) والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، ص136.

وقد لاحظنا أن لفظ "الصَّدع" يتميز بإعجاز لغوي وعلمي لم نجد له مثيل في الألفاظ السابقة والتي تتمثل في:

أولاً: أن الله عزَّ وجلَّ ذكر لفظ الصَّدع مفرداً لقوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ﴾

ولم يقل ذات الصُّدوع أو ذات التصدعات، فهذا التعبير يحمل معنى مفرد ليبدل على الجمع أي: أن الأرض يصيبها صدع واحد ولكنه يتفرع إلى مجموعة من الصُّدوع بتأثير الهزات الأرضية المتتالية.

ثانياً: وكان هذه الصُّدوع ترتبط فيما بينها لتشكل صدعا واحدا في الغلاف الصخري للكرة الأرضية.

« وهذا الغلاف ممزق بشبكة هائلة من الصُّدوع تمتد لمئات من الكيلومترات طولا وعرضا بعمق يتراوح ما بين 65 و150 كيلومتر طولا وعرضا، ومن الغريب أن هذه الصُّدوع مرتبطة ببعضها بعضا ارتباطا يجعلها كأنها صدع واحد»⁽¹⁾.

أما النوع الثاني الذي أشار إليه "زغلول النجار" فيتمثل في:

(2)- تصدع صخور اليابسة:

إن تصدع القشرة الخارجية للأرض أدى إلى ظهور ألواح صغيرة تطفو على طبقة صخرية ضعيفة مما يجعلها تتصادم بسبب الزلازل والبراكين، فقد « اكتشف علماء الجيولوجيا مؤخرا أن الطبقة الصخرية الخارجية للكرة الأرضية المعروفة (بالليثوسفير) (LITHOSPHERE) والتي يبلغ سُمكها في قيعان المحيطات حوالي (65-70 كم) وتحت القارات حوالي (100-150 كم)، مُقسمة بشبكة من الصُّدوع العميقة إلى اثني عشر لوحاً (Plate) صلباً، بالإضافة إلى عدة ألواح صغيرة تسمى لويحات (MICROPLATES OR PLATELETS) تطفو هذه الألواح على طبقة بلاستيكية شبه مُنصهرة معروفة بالأسثنوسفير (ASTHENOSPHERE) أي: الطبقة الضعيفة»⁽²⁾.

1- نور الدين أبو لحية، محمد (صلى الله عليه وسلم) والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، ص134.

2- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم، ص3.

« وتعتبر الصُدُوع التي تُقطع القشرة الصخرية الخارجية من الأرض لعشرات الآلاف من الكيلومترات وفي جميع الاتجاهات، ولأعماق تصل إلى ما بين (65 إلى 150 كم) من أبرز علامات الكرة الأرضية، ولم تكتشف هذه الصُدُوع إلا بعد الحرب العالمية الثانية من خلال نظرية الألواح التكتونية»⁽¹⁾.

كما أضاف نوعا ثالثا يصف فيه:

(3)- تصدع كوكب الأرض بواسطة أودية الخسف:

يَعد "زغلول النجار" أودية الخسف* عبارة عن صُدُوع عملاقة تكونت على سطح الأرض منذ زمن بعيد، إلا أن علماء الجيولوجيا اكتشفوا في العقود الماضية أن أرضنا محاطة بشبكة هائلة من تلك الأودية الخسيفة.

ولهذه الصُدُوع العميقة مميزات وفوائد عدة نذكر من بينها:

- أنها تعمل كممرات طبيعية للحرارة المُختزنة في داخل الأرض والناجمة عن تحلل العناصر المشعة ولولاها لانفجرت الأرض.
- تندفع بفضلها الملايين من الصَّهارة الصخرية على هيئة حمم بركانية تثري سطح الأرض بالعديد من الصخور والمعادن النافعة.
- تساعد على تجديد خصوبة التربة الزراعية.
- تُكوّن مراكز مهمة لاستغلال الحرارة الأرضية.
- تُكوّن غلافي الأرض المائي والغازي عن طريق الغازات والأبخرة التي تطلقها فوهات البراكين»⁽²⁾.
- «تُكوّن القشرة القارية بتركيبها الذي تغلب عليه الصخور الجرانيتية الناتجة عن الحمم البركانية.
- وتكوّن السلاسل الجبلية التي تُثبت بأوتادها كتل القارات في قيعان البحار والمحيطات أو تُثبت قارتين.

1- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية، ج6، ص260.

*- الخسف: إلحاق الأرض الأولى بالثانية، غُور العين، وخسوف العين: ذهابها في الرأس. خَسفت عينه ساخت، وخَسفها يَخسفها خَسفا وهي خَسيفة (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(خسف)).

2- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم، ص4 (بتصرف).

ومثلما تكون الصدوع عاملاً من عوامل الهدم على سطح الأرض فإنها قد تكون عاملاً من عوامل البناء، حيث تبني الجبال والتلال والهضاب، كما تبني الأحواض والأغوار والخسوف الأرضية»⁽¹⁾. فسبحان الذي أقسم بالأرض ذات الصدع من قبل ألف وأربعمائة سنة تعظيماً لمعجزة من أروع ظواهر تكوين الأرض، فهذه الظاهرة العظيمة تجعل الأرض كوكباً صالحاً للحياة والعمران ولولا الصدع لما كانت كذلك.

وبلفظ "الصدع" تكون دراستنا الدلالية لألفاظ الأرض قد انتهت باستنتاج يضم أفكاراً سنشير إليها بالتفصيل في الخاتمة، ولكننا سنركز الآن على نتيجة مهمة ستبني على أساسها كل النتائج اللاحقة، والتي تتمثل في:

- أن تاريخ خلق الأرض مرّ بمراحل عديدة، لم يكن ليتجلى لنا لولا وصفه في القرآن الكريم بألفاظ بسيطة المبني دقيقة المعنى، فالله عزّ وجلّ قد صور لنا - وبصورة مُعجزة - شكل الأرض قبل وأثناء وبعد خلقها، فقبل تكويرها كانت مع السماء كتلة واحدة أي: رتقا، ثم فصل الله تعالى بينهما ليتم إنزال المطر وإنبات الزرع، وأثناء خلقها صور لنا كيف "دحاها وطحاها وبسطها ثم فرسها بترربة صالحة للعيش، وبعدها جسّد لنا صفات عن الأرض وكأنها كائن حي في ألفاظ عديدة جَلّت في معاني عجيبة كالهمود والخشوع والتذلل، كما أخبر الله تعالى عن هيئتها بعد خلقها أي: أثناء قيام الساعة - والتي لم يتسع المجال لدراستها - حيث وصفها بالساهرة وذلك يوم الحشر، وبأنها سئجٌ وُدكٌ وُدزلزل ترحف خشية من غضب الله تعالى ولكننا لاحظنا أيضاً أن الأرض لم تكن لتستقر بمن عليها لولا أنه عزّ وجلّ ثبتها وأرساها بالجبال، وكذلك روى تربتها العطشى بمياه الأمطار التي تُخزن في أعماق الأرض والجبال.

- كما استنتجنا أن الألفاظ السابقة الذكر تشترك في معنى عام يجعلنا ندرك تلك الصلة العجيبة التي تربطها ولكن القرآن الكريم وظّفها بطريقة مُعجزة تدفعنا لإدراك علاقة اللفظ بالمعنى عموماً وبالسياق خصوصاً، حيث لا يمكن فهم لفظ معين إلا ضمن السياق الذي ورد فيه فلو عوضناه بلفظ آخر أو غيرنا سياقه بأخر لما فهمناه بالصورة التي بينها الله تعالى فمثلاً: قال علماء اللغة - كما بينا سابقاً - أنّ "الدحو" مثل "الطحو" فمعناها واحد الذي يدل على الامتداد والاتساع، ولكننا استنتجنا من خلال آراء المفسرين وعلماء الجيولوجيا أنّ لفظ "الدحو" يحمل معنى التكوير أي: أن الأرض كروية الشكل والعلماء دققوا في المعنى فوجدوا أنها شبه كروية أي: "كروية مُسطحة من الجانبين الشمالي والجنوبي"، أما لفظ "الطحو" فيحمل معنى لا نجده في "الدحو" حيث يشير إلى معنى العلو والارتفاع وهذا يشير ضمناً إلى موقع الأرض المميز بين الكواكب الأخرى وبالنسبة للشمس، وهذا يدل على دقة اختيار الألفاظ المناسبة للمقام الذي وردت فيه.

1- زغول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم، ص5.

الفصل الثالث:
الحقل الدلالي الفرعي

الفصل الثالث:

الدراسة الدلالية لألفاظ الحقل

الدلالي الفرعي

المبحث الأول:

الدراسة الدلالية لفظ الجبال

المبحث الثاني:

الدراسة الدلالية لفظ البحر

المبحث الأول:
الدراسة الدلالية للفظ
الجبال

المبحث الثاني:
الدراسة الدلالية للفظ
البحار

المبحث الثاني:

الدراسة الدلالية لفظ البحار

1- الدراسة اللغوية

2- الدراسة الاصطلاحية:

أ- آراء المفسرين

ب- آراء العلماء

1- الجبل:

أ- الجبل لغة:

اتفقت معاجم اللغة على معنى جامع مانع للجبل، والمعنى نفسه ورد في القرآن الكريم حيث شُبّهت الجبال "بالأوتاد"، والوَتَدُ كل شيء يُغرس ويُثَبَّت في الأرض بقوة ليحافظ على توازن البناء الذي أُقيم عليه فلا يهتز ولا يترنح متأثراً بعوامل خارجية أشد منه قوة وهو «اسم لكل وتد من أوتاد الأرض إذا عَظُم وطال من الأعلام والأطواد* والشناخيب* وأما ما صغر وانفرد فهو من القنان* والقور والأكم، والجمع أجبل وأجبال وجبال، وأجبل القوم صاروا إلى الجبل وتَجَبَلوا دخلوا في الجبل، وأجبل الشاعر صَعِب عليه القول كأنه انتهى إلى جبل منه وابنة الجبل الحية لأن الجبل مأواها»⁽¹⁾ و«الجبل: كل وتد للأرض عظم وطال فإن انفرد: فأكمة أو فُنة وسيد القوم وعالمهم»⁽²⁾. وقد فرق "ابن سيده" بين الجبال العظيمة والعالية التي شَبَّهها الله تعالى بالأوتاد والجبال الصغيرة حيث قال: «والجبل كل وتد من أوتاد الأرض إذا عَظُم وطال، فأما ما صغر وانفرد فهو من القيران والأكم غير واحد، جبل وأجبل وأجبال وجبال وجبلَة الجبل، غلظه وخلفته»⁽³⁾.

فالمعاني المختلفة للفظ "الوَتَد" والمتمثلة في: "الأعلام، الأطواد، الشناخيب" كلها تدل على الطول والعظم، فجاءت الآية تشبيهاً بليغاً ليرز دور الجبال الراسيات في الحفاظ على استقرار وثبات الأرض.

* الأطواد: الطود الجبل العظيم، وفي حديث عائشة تصف أبها رضي الله عنها: ذلك طود مُنِيف أي جبل عال والطود الهضبة والجمع أطواد (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(طود)).

* - أما شناخيب الجبال: رؤوسها، واحدها شخوبية. وفي حديث علي كرم الله وجهه: ذوات الشناخيب الصم، هي رؤوس الجبال العالية(ينظر: المرجع نفسه، مادة(شخب)).

* - في حين أن الأكمة أو الأكم: تعني تل من القف وهو حجر واحد ويقال الأكم أشرف في الأرض كالروابي(المرجع نفسه، مادة(أكم)).

* أما القنّة: فهي نحو من القارة، وجمعها قنان، قال ابن شميل: القنّة الأكمة المُللمة الرأس، وهي القارة لا تُمد شيئا(ابن منظور، لسان العرب، مادة(قن)).

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة(جبل).

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(جبل).

3- ابن سيده، المخصص، المجلد 3، السفر 10، ص70.

ب- اصطلاحاً:

إذا كان الجبل لغويا معناه الوتد وذلك لعلوه وعظمته، وهو بذلك يشبه الأوتاد العظيمة التي تثبت بها الخيام على الأرض أو في الرمال، فالله عزّ وجلّ خلق الجبال ليثبت الأرض ويجعلها تستقر بعد أن كانت تهتز كثيراً، وبالطبع هذا ما سنتناوله بالتحليل والتعليل عند دراسة الآيات التي ورد فيها وصف مُعجّز للجبال. فقد اهتم علماء الجيولوجيا باكتشاف الجبال بقدر اهتمامهم الكبير بالأرض لأنها جزء لا يتجزأ من تكوينها الجيولوجي، لأنه «لم تتكون الجبال مع تكون الأرض بل ظهرت بعدها بملايين السنين ولكل سلسلة جبلية قصة مختلفة عن غيرها أثناء تكونها، حيث لم تظهر الجبال على سطح الأرض إلا منذ عدة مئات الملايين فقط، وقد اقترب بعضها من نهاية فترة حياته الطبيعية مثل: جبال الأبالاشيان على الشاطئ الشرقي في الولايات المتحدة، لم تتكون الجبال كلها بنفس الطريقة فلكل منها تاريخها الخاص»⁽¹⁾.

فالجبال أنواع مختلفة ولكل نوع اسم خاص وذلك يعتمد على ارتفاع كل جبل عن مستوى الأرض أو البحر، و«يُقصد بتعبير الجبال Montagnes الأراضي التي تبدو مرتفعة المنسوب لما يجاورها من أراضي، ويحدد بعض الجيولوجيين بأن الجبال تقع عادة فوق منسوب 2000 قدم فوق مستوى سطح البحر، أما تلك تقع أسفل هذا المنسوب فتعرف باسم التلال «plaines»⁽²⁾. ويمكن هنا أن نطرح السؤال التالي: كيف تكونت هذه الجبال؟ وما هو الشيء الذي جعلها تظهر على سطح الأرض؟

وقد «تكونت الجبال البازلتية والغرانيتية بصورة بطيئة جدا منذ ثلاثة مليارات سنة ونيف (3400 مليون سنة) بفعل الإلقاء، أي: بما يقذفه باطن الأرض الملتهب من الجمم والصحارة التي بردت وتراكت على مر ملايين السنين ثم ارتفعت فوق سطح البحر بفعل تداخل الألواح الأرضية، أما الجبال الجيرية الكلسية فقد تكونت أيضا بفعل الإلقاء أي بما تجرفه مياه الأمطار والأنهار من مواد كلسية وغيرها من الأرض والصخور وتلقيه في البحار والمحيطات إضافة إلى المواد الكلسية التي تبنيها شعاب المرجان»⁽³⁾.

1- جيمس نرفيل، عجائب الحقائق العلمية، ترجمة: مروان أبو الذهب وآخرين، طرابلس لبنان، ط1، 1996، ص276.

2- المرجع نفسه، ص277.

3- حسن سيد أحمد أبو العينين، كوكب الأرض (ظواهره التضاريسية الكبرى)، دار النهضة العربية، بيروت، (د- ط)، (د- ت)، ص45.

إن عملية إلقاء الجبال تتم بسبب الضغط القوي الكامن في باطن الأرض أو في قعر المحيطات والبحار، حيث أن لفظ " ألقى " و " ألقينا " تشير إشارة و واضحة إلى قوة الفعل كما نٌظهر الطريقة المُعجزة التي تكونت بها الجبال وهي نفسها التي اكتشفها علماء الجيولوجيا وأُعترف بها كنظرية قائمة بذاتها « فجميع الجبال سواء كانت بركانية أم كلسية أم مختلطة تكونت تحت سطح الماء في قعر المحيطات والبحار بفعل الإلقاء من أعلى الأرض أو من باطن الأرض نلاحظ هنا الإعجاز العلمي الكامن في كلمة ألقى التي تشير بصورة مذهلة إلى عملية تكون الجبال كما كشفها علم الجيولوجيا مؤخرًا»⁽¹⁾. وبعد أن بينا معنى لفظ "الجبال" لغة واصطلاحاً يمكننا الانتقال للكشف عن المغزى المُعجَز من وصفها بالأوتاد والرواسي الشامخات والمنتصبة كالأعلام، وهذه الألفاظ تصور لنا شكلها وهيئتها، لننتقل بعدها إلى دراسة الألفاظ التي تبين حركتها المُعجزة وألوانها المختلفة التي تعكس قمة الإعجاز العلمي في كشف كيفية تكوينها عبر مراحل الزمن الجيولوجية.

1-1- أشكال الجبال:

1-1-1- الوتد: أوتادا.

قال الله تعالى: ﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴾⁽²⁾.

- الوتد لغة:

ذكرنا سابقاً أن لفظ الجبل يعبر عن معنى الوتد إذا طال وعظم، أما « الوتد، بالكسر، والوتد والوؤد: ما رُز في الحائط أو الأرض من الخشب، والجمع أوتاد، ووؤد الوؤد وؤدا وؤدة ووؤد كلاهما: ثبت، ووؤد وؤد: ثابت رأس مُنتصب، وأوتاد الأرض: الجبال لأنها تُثبتها»⁽³⁾.

تعد الجبال أوتادا فهي التي تُثبت الأرض عن الاهتزاز والتأرجح الدائم ويتم هذا المعنى عند وصفها أيضا بالنُصب فتنتصب على سطح الأرض، وهذا ما بيّنه الزمخشري بقوله: « وتد: ضرب الوؤد والوؤد والوؤد والوؤد والأوتاد بالميتدة، ويقال: تَد وتَدك ووؤدك ووؤدك وأوؤده. وانتصب كأنه وؤد ووؤد ووؤد. وهو أذل من وؤد ووؤد ووؤد. ووؤد واتد: ثابت ومن المجاز: وؤد الله الأرض بالجبال وأوؤدها ووؤدها. والجبال أوتاد الأرض»⁽⁴⁾.

1- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص46.

2- النبأ، الآية 7.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(وتد).

4- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص318.

نلاحظ أن علاقة وصف الجبال بالأوتاد ونصبها على سطح الأرض تعد علاقة تكاملية حيث أنه من المستحيل ضمان استقرار وثبات هذا الكوكب دون أن تكون هناك جبال كالأوتاد تتغلغل جذورها في أعماقه، فلو لم يخلق الله تعالى هذه الأوتاد ونصبها لاستحال العيش على أرض مضطربة دائمة التآرجح.

- الوند اصطلاحاً:

(أ)- آراء المفسرين:

ربط المفسرون بين فكرة تشبيه الجبال بالأوتاد وبين اضطراب الأرض بعد خلقها وتكويرها، حيث « شرع تبارك وتعالى يبين قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره فقال: ﴿وَأَجْبَالَ أَوْتَادًا﴾ أي: جعلها أوتادا أرساها بها وثبتها وقررها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها»⁽¹⁾. فلولا الجبال لما ثبتت الأرض وسكنت عن الاضطراب والحركة الدائمة، ولهذا فسر "أبو حيان الأندلسي" هذه الآية « بأن ثبتنا الأرض بالجبال كما ثبت البيت بالأوتاد. قال الأفوه:

وَالْبَيْتَ لَا يَنْبِي إِيَّاهُ إِلَّا لَهُ عَمْدٌ
وَلَا عِمَادَ إِذَا لَمْ تُرْسَ أَوْتَادًا»⁽²⁾.

ومعنى هذا البيت أنه لا يمكن للبيت أو لأي شيء آخر أن يثبت إذا لم يُرس بالأوتاد التي تكون بمثابة العماد الذي يشدُّ الأشياء للأسفل. « والأوتاد: جمع وِدِّ بفتح الواو وكسر المثناة الفوقية. والوَدِّ: عود غليظ شينا، أسفله أدق من أعلاه يُدق في الأرض لتُشد به أطناب الخيمة وللخيمة أوتاد كثيرة على قدر اتساع دائرتها والإخبار عن الجبال بأنها أوتاد على طريقة التشبيه البليغ أي كالأوتاد»⁽³⁾.

فلو تد أصل استعماله كأداة تُنصب في الأرض بقوة لتثبيت أسقف المنازل كالخيمة والبيوت البلاستيكية، وفي هذه الآية العظيمة نلاحظ أن الله تعالى شبّه صورة تثبيت الجبال على الأرض بالأوتاد التي تُثبت بها الخيمة على الأرض لكي لا تقتلعها الرياح والعواصف القوية خاصة في المناطق الصحراوية التي تضربها الزوابع الرملية، وذلك بضربها بقوة شديدة حتى تنغرس في أعماق الأرض كجذور الأشجار تنفرع وتتمدد بحثا عن الماء.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص594.

2- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص403.

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص14.

« ويجوز أن تكون الجبال مشبهة بأوتاد الخيمة في أنها تُشد الخيمة من أن تقلعها الرياح أو تزلزلها بأن يكون في خلق الجبال للأرض حكمة لتعديل سَبح الأرض الهوائية إذ تُدْتَو الجبال على الكرة الأرضية يجعلها تكسر تيار الكرة الهوائية المحيطة بالأرض فيعندل تياره حتى تكون حركة الأرض في كرة الهواء غير سريعة»⁽¹⁾.

(ب)- آراء العلماء:

لقد أكد العلم أن الجبال تعمل كمناطق جذب أو ماسكات للقارات من الصخور السائلة التي توجد تحت القشرة الأرضية الصلبة، ولولا جذور هذه الجبال المنغرس في طبقات الجبال لطفت القشرة إلى الخارج وانعدم توازن الأرض، « والجبال تلعب دورا كبيرا في هذا التوازن بفعل جذورها التي تغوص بعيدا في طبقات الأرض، فالجبال بالنسبة للأرض كالمرساة بالنسبة للسفينة، والأوتاد بالنسبة للخيمة. وهذا الدور الذي تلعبه الجبال في توازن الأرض لم يكتشفه العلم إلا في القرن التاسع عشر مع العلماء " أروي " 1854 " Eurie " و "دوتون" 1889 " Dutton "»⁽²⁾.

إن لارتفاع الجبال فوق سطح الأرض علاقة مباشرة بعمق تغلغل جذورها تحت السطح وقد ثبت علميا « أن كل نتوء على سطح الأرض له امتداد في داخلها يتراوح بين 10 و 15 ضعف ارتفاع هذا النتوء فوق مستوى سطح البحر، وكلما زاد هذا الارتفاع الخارجي لتضاريس الأرض بانغراسها في غلافها الصخري، وطفوها في نطاق الضعف الأرضي كما تعين على تثبيت الأرض ككوكب، فنقل من ترنحها في دورانها حول محورها، كما تثبت ألواح الغلاف الصخري للأرض مع بعضها بعضا بأوتاد الجبال»⁽³⁾. وفي تشبيه الجبال بالأوتاد معلوم أن الأوتاد لا تنغرس وحدها في الأرض، وإنما لابد من قوة تعمل على تثبيتها في الأرض حيث « أن سماكة القشرة القارية تتناسب طردا مع ارتفاع التضاريس، فهي أقل ما يمكن في المناطق السهلية ما بين (20-30كم) وتصل إلى (30-40كم) في المناطق الهضابية، وفي المناطق الجبلية الفتية العالية " كالهملايا " و " بامير " تمتد جذور الجبال عميقا جدا كأوتاد لتصل إلى (60-75كم) فتعمل على تثبيت هذه الكتل وتقلل من سرعة انزلاق القشرة الأرضية فوق الطبقة اللدنة أو الاستينوسفيرا، مقللة بذلك تكرار الزلزلة والحركات البنائية المدمرة»⁽⁴⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص15.

2- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص48.

3- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية(29)، مجلة قضايا وآراء، الإثنين 23 شوال 1422هـ 7 يناير 2002 العدد: 126-42035، ص7.

4- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، ص35.

1-1-2- رسو: أرساها، رواسي.

قال تعالى: ﴿وَأَلْحَبَالَ أَرْسَهَا﴾ (1).

وقال أيضا:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (2).

وقال: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شِمَخَتْ وَأَسْقَيْنَكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ (3).

وقد جاء ذكر لفظ " أرساها " في آية واحدة فقط وهي التي ذكرناها سابقا، أما لفظ " رواسي " فقد تكرر في تسع 9 آيات اقتصرنا فيها على ذكر آيتين فقط - على سبيل المثال- لتوضيح مسألة الفرق بين الفعلين " ألقى " و " جعل "، أما باقي الآيات فقد أوردناها في جدول خاص بها يبين الآية والسورة ورقمها وعدد تكرارها في القرآن الكريم وذلك في الفصل الأول (المدونة) وبهذا يكون مجموعها عشر 10 آيات.

- رسا لغة:

يوضح لنا "ابن فارس" دلالة لفظ "رسا" بقوله: «الراء والسين والحرف المعتل أصل يدل على ثبات تقول رسا الشيء يرسو، إذا ثبت. والله جل ثناؤه أرسى الجبال، أي أثبتها. وجبل راس: ثابت» (4). وكذلك معنى الرُسو مأخوذ من «رسا الشيء يرسو رسوا وأرسى تثبت وأرساه هو. ورسا الجبل يرسو إذا ثبت أصله في الأرض، وجبال راسيات. والرواسي من الجبال: الثّوابت الرواسخ. قال الأخفش: واحدها راسية. قال ابن برّي: يقال أرسيت الوتد في الأرض إذا ضربته فيها» (5).

1- النازعات، الآية 32.

2- النحل، الآية 15.

3- المرسلات، الآية 27.

4- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص. 394.

5- ابن منظور، لسان العرب، مادة (رسا).

وتدل المعاني السابقة كلها على الثبوت والاستقرار ومنها اكتسبت الأرض استقرارها فرغم اختلاف السياقات الوارد فيها لفظ "رسو" إلا أن معناها واحد وهو "الثبوت"، فقد ارتبط لفظ الجبل بلفظ "رسا" مثلما ارتبط سابقا بلفظ "الوتد" فعلاقة التشابه بينهما قد أشار إليها "الزمخشري" بقوله: «رسو: جبل راس وجبال راسيات ورواس. وأرساها الله تعالى ورسا وترسى: ثبت. ورسو السفينة: انتهت إلى قرار فبقيت لا تسير، وأرسوها بالمرساة. ورسو قدماء في البحر. (وقدور راسيات) لا يستطيع تحويلها لنقلها فهي في مكانها»⁽¹⁾.

رغم أن لفظ "الرسو" يشير في معناه إلى لفظ الجبل دون ذكره إلا أنه يظهر الدلالة المميزة لعملية إرساء الجبال لتثبيت الأرض، فمرادف «الرسو: الثبوت، والإرساء: الإثبات، وأشار بهذا المعنى لقوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ وقوله أيضا: ﴿رَوَّسِيَ شَمِخْتٍ﴾ أي جبال ثوابت عوال رسا يرسو رسوا فهو راس»⁽²⁾.

- رسا اصطلاحا:

(أ)- آراء المفسرين:

ذكر أغلب المفسرين أن معنى لفظ "أرساها" ثبتها في الأرض، ومن بينهم "ابن كثير" وذلك في معنى قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالَ أَرَسَهَا﴾ «أي: قرررها وأثبتها وأكدها في أماكنها»⁽³⁾. كما أشار الله تعالى في مقام آخر- في سورة النحل- كيف أنه ألقى في الأرض جبالا رواسي كي لا تضطرب بمن يعيش عليها، حيث «ذكر تعالى الأرض وما ألقى فيها من الرواسي الشامخات، والجبال الراسيات، لتقر الأرض ولا تميد، أي تضطرب بما عليها من الحيوانات فلا يهنا لهم عيش بسبب ذلك، وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر عن قتادة عن الحسن عن قيس بن عبادة أن خلق الأرض جعلت تمرور*، فقالت الملائكة: ما هذه بمقرة على ظهرها أحدا فأصبحت صبحا وفيها رواسيها»⁽⁴⁾.

1- الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص354.

2- يوسف عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص92.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص603.

* تمرور: مور: مار الشيء يَمُور مَورًا: أي تحرك وجاء وذهب (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(مور)).

4- المرجع السابق، ج2، ص746.

وهذا ما يؤكد حديث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) في باب ابتداء الخلق، حيث بيّن فيه أن خلق الجبال كان بعد خلق الأرض وهذا ما يؤكد أنها كانت مضطربة في حركتها فجعل الجبال أوتادا راسيات للتحكم في اضطرابها⁽¹⁾.

ومن خلال هذه الآيات نرى أن الله تعالى كان رحيمًا جدًا بعباده فلو ترك الأرض تميد وتتحرك مثلما كانت من قبل، ولو لم يُثبِتْها ويُقرِّها بالجبال لما استطاعت المخلوقات بأسرها أن تعيش عليها باستقرار واطمئنان وهذا « كراهة أن تميل بكم وتضطرب وذلك لأن الأرض قبل أن تخلق فيها الجبال كانت كرة خفيفة بسيطة الطبع وكان من حقها أن تتحرك بالاستدارة كالأفلاك أو أن تتحرك بأدنى سبب للتحريك فلما خلقت الجبال على وجهها تفاوتت جوانبها وتوجهت الجبال بثقلها نحو المركز فصارت كالأوتاد التي تمنعها عن الحركة وقيل لما خلق الله الأرض جعلت تَمُور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهورها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال»⁽²⁾.

كما أن "ابن عاشور" في تفسيره أشار إلى معانٍ أخرى للإرساء، فإضافة لمعنى "الإثبات" في الأرض تُذكر معنى "الرسوخ والتغلغل" الذي يجعل صخور الجبال تمُدُّ جذورها في الأعماق ومن معانيه أيضا الانحدار فلولاه لما استطاع الناس الانتقال عليها بسهولة وفي المعاني الثلاث شبهها بالسفينة الراسية في البحر، حيث قال: « وإرساء الجبال: إثباتها في الأرض، ويقال رست السفينة إذا شُدَّت إلى الشاطئ. وإثبات الجبال: هو رُسُوخها بتغلغل صخورها وعروق أشجارها لأنها خُلقت ذات صخور سائخة إلى باطن الأرض ولولا ذلك لزعزعتها الرياح، وجُعِلت أحجامها متناسبة بأن خُلقت متنسعة القواعد ثم تتصاعد متضايقة ومن معنى إرسائها: أنها جُعِلت منحدرًا لِيتمكن الناس من الصعود فيها بسهولة»⁽³⁾.

1- والذي قال فيه: عن أبي هريرة قال أخذ رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بيدي فقال: (خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد...) (ينظر: مسلم، صحيح مسلم، المجلد 2، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ابتداء الخلق، ص 1285).

2- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج 3، ص 390.

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج 30، ص 88.

كما أشار الله عزّ وجلّ أيضا في سورة النحل إلى أصل تكوين الجبال وأهمية النتوء الموجودة فيها، وربما ظهرت على وجه الأرض « وانبتقت باضطرابات أرضية كالزلازل العظيم. ولعل أصل تكوين الجبال كان من شظايا رمت بها الكواكب فصادفت سطح الأرض. والله جعل ثنوء الجبال على سطح الأرض مُعدلا لكرويتها بحيث لا تكون بحد من الملاسة يخفف حركتها في الفضاء تخفيفا يوجب شدة اضطرابها»⁽¹⁾.

فمن خلال ما ذكرناه آنفا نلاحظ أن هناك ربط صريح ومشابهة واضحة بين إرساء وتثبيت الأرض بالجبال كي لا تضطرب بمن يعيش عليها، وبين السفينة المبحرة في عرض البحر حيث لا يمكن لها أن ترسو أو تُثبّت إلا بالمرساة التي تشدها بقوة في أعماق البحر كي لا تضطرب أو تهتز بركابها، فالأرض هي السفينة في اضطرابها وحركتها الدائمة أما الجبال فتشبه المرساة لأنهما تؤديان دورا مهما في التثبيت والحفاظ على استقرار كل من الأرض والسفينة فوق سطح مضطرب ودائم الاهتزاز، وهذا هو وجه الشبه الذي يجمعهما.

(ب)- آراء العلماء:

فهم المفسرون من هذه الآية الكريمة أن الضمير في (أرساها) يعود على الجبال ومن هنا قالوا إن عملية الإرساء تتعلق بالجبال، « والصياغة هنا تحتمل دلالة "وبالجبال أرساها" فيكون المعنى إرساء الأرض بواسطة الجبال، بينما المعنى الأول يتعلق بإرساء الجبال على سطح الأرض، والمعنيان صحيحان صحة كاملة حسب معطيات علوم الأرض الحديثة، مثبتة في الغلاف الصخري للأرض، وهي أيضا تثبت الأرض»⁽²⁾.

نلاحظ أن لفظ "أرساها" دلالة مشتركة بين معنى إرساء أي تثبيت الجبال على سطح الأرض من جهة، وكذلك بين معنى تثبيت هذه الأخيرة بالجبال الراسيات من جهة أخرى فكلا المعنيين صحيحين لأن العلوم الحديثة اكتشفت هذه الخاصية المشتركة لدور الجبال على الأرض.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج14، ص121.

2- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية(29)، 23شوال1422 هـ 7 يناير2002، العدد: 42035-126، ص6.

وقد اختلف العلماء في إدراك دور الجبال أثناء إرسائها للأرض اختلافا كبيرا، وذلك لأن مجموع كتل الجبال على سطح الأرض - على الرغم من ضخامتها- تتضاءل أمام كتلة الأرض المقدرة بحوالي ستة آلاف مليون طن (5876) مقارنة بكتلة الجبال التي تقدر بحوالي ألفين طن (1810). ومن هنا يبرز التساؤل التالي: كيف يمكن للجبال أن تثبت الأرض بكتلتها وأبعادها الهائلة، في الوقت الذي لا تكاد كتلة وأبعاد الجبال أن تبلغ من ذلك شيئا؟ كما تساءل العلماء عن إمكانية وجود دور للجبال في اتزان حركة الأرض ككوكب وجعلها قرارا صالحا للحياة؟ وهل لها أدوار وفوائد أخرى؟

« فالعلم الحديث أثبت أن للأرض قشرة تمسك جوفها المشتعل وهذه القشرة لن تمسك شيئا لولا ثباتها وتماسكها الذي يأتي إلا بالجبال التي تفعل فعل الأوتاد والمسامير، وتحافظ على توازن القشرة الأرضية التي هي بدورها ميزان دقيق وحساس مركب»⁽¹⁾.

كما ربط علماء آخرون بين دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس من جهة، وكذا قوة جاذبية الشمس والقمر لها من جهة أخرى، وبين دور الجبال في تثبيتها والتقليل من شدة سرعتها التي أفقدتها شكلها الكروي إلى شبه كروي، ولهذا « نتيجة لدوران الأرض حول محورها فإن القوة الطاردة المركزية الناشئة عن هذا الدوران تبلغ ذروتها عند خط استواء الأرض، ذلك قد أخرج الأرض عن شكلها الكروي إلى شكل شبه كروي، ويتبع تَرْنَح الأرض حول مدارها مسارا مُتَعَرِّج بسبب جذب كل من الشمس والقمر للأرض»⁽²⁾.

وهنا يبرز دور الجبال في التقليل من شدة سرعة دورانها الذي يؤدي بدوره إلى تَرْنَحها وحركتها غير المُتَزَنَة « ووجود الجبال ذات الجذور الغائرة في الغلاف الصخري للأرض يقلل من شدة تَرْنَح الأرض في دورانها حول محورها، ويجعل حركتها أكثر استقرارا وانتظاما وسلاسة تماما كما تفعل قطع الرصاص التي توضع حول إطار السيارة لانتظام حركتها وقلة رجرجتها، وبذلك أصبحت الأرض مؤهلة للعمران»⁽³⁾.

1- مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الأردن، ط2، (د، ت)، ص155.

2- زغول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، ص9.

3- المرجع نفسه، ص10.

كما أن للجبال دور فعّال في تخزين مياه الأمطار وحفظها من الضياع لتعم الفائدة كل المخلوقات، حيث أن « الجبال هي العامل الرئيسي في تخزين المياه العذبة وتثبيت التربة ولولا الجبال لذهبت أكثر المياه المتساقطة من السماء إلى البحر دون أن تتخزن في الأرض ولانجرفت معها التربة. هذه الحقيقة العلمية والتي تبدو بديهية اليوم، لم يعرفها العلم إلا منذ مئة سنة ونيف»⁽¹⁾.

ثم أشار "الشريف عدنان" لاعتقاد علماء الجيولوجيا الخاطئ والمتمثل في أن مصادر المياه العذبة متأتية من البحار، ولكن القرآن العظيم كان قد أشار إشارة واضحة إلى المصادر الحقيقية للمياه العذبة والمالحة في قول مفاده أن: « أكثر علماء المياه الجيولوجية يعتقدون حتى أواسط القرن التاسع عشر أن مصادر المياه العذبة والينابيع الجوفية متأتية من مياه البحر التي تتسرب إلى داخل طبقات الأرض حيث تتخلص من ملوحتها ثم تتفجر أنهارا لتعود إلى البحر من جديد أما التنزيل فقد أشار إلى أن مصادر المياه العذبة هي من السماء وليس من البحر وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴾⁽²⁾ «⁽³⁾.

كما أشار إلى دور الجبال العالية في تخزين المياه وتكوين الأنهار العذبة، ونلاحظ ذلك الربط العجيب بين الجبال العالية والمياه العذبة في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴾⁽⁴⁾، فلولا الجبال لذهب القسم الأكبر من المياه المتساقطة من السماء إلى البحر مصداقا لقوله تعالى أيضا: ﴿ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴾⁽⁵⁾.

1- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص49.

2- المرجع نفسه، ص49.

3- الحجر، الآية 22.

4- المرسلات، الآية 27.

5- المؤمنون، الآية 18.

1-1-3- شَمَخ: شامخات.

قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَمَخَتْ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾⁽¹⁾.

- شَمَخ لغة:

كنا قد شرحنا أنفا معنى لفظ "رواسي" في الآية نفسها وسنشرح فيها أيضا لفظ "شامخات" ونلاحظ أن الشموخ فيه معنى "العلو والترفع" عما هو دون المستوى، فالجبال كذلك ترتفع بقممها إلى السماء تاركة كل ما هو أدنى منها في الأرض، وذكر هذا المعنى "ابن فارس" في قوله: « أن الشين والميم والخاء أصل صحيح يدل على التعظيم وارتفاع يقال جبل شامخ أي: عال»⁽²⁾. كما أضاف ابن منظور قائلا: « شَمَخَ الجبل يشمخ شموخا: علا وارتفع، والجبال الشوامخ: الشواهق. وجبل شامخ: طويل في السماء، ومنه قيل للمتكبر: شامخ»⁽³⁾.

وقد تكرر المعنى نفسه في المعاجم اللغوية القرآنية، حيث ورد في أحدها أن معنى « شَمَخ: في قوله تعالى: ﴿ رَوَاسِيَ شَمَخَتْ ﴾ أي: عوال مرتفعات. وفلان شَمَخَ بأنفه. أي رفعه يُكنى بذلك عن التكبر نحو ثنى عَظْفَه، وصَعَّرَ خَدَه، ولوى جِيدَه، كل ذلك من أفعال المتكبرين»⁽⁴⁾.

وبهذا يتضح أن معنى " شَمَخ" من الناحية اللغوية والبلاغية: "علا وترفع" وهو كناية عن التكبر، أما من الناحية الاصطلاحية المبرزة لآراء المفسرين وعلماء الجيولوجيا، سنتبين لنا معاني جديدة تكشف الإعجاز العلمي لهذا اللفظ.

- شَمَخ اصطلاحا:

أ- آراء المفسرين:

ذكر أكثر المفسرين أن معنى آية الجبال التي ورد فيها وصف الجبال بالرواسي هو إرساؤها للأرض لكي لا تميد وتضطرب بمن عليها. وفي هذا المقام قال " أبو حيان الأندلسي" أن مدلول اللفظ « "رواسي" جبال ثابتات شامخات مرتفعات، ومنه شَمَخَ بأنفه»⁽⁵⁾.

1- المرسلات، الآية 27.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص.212.

3- ابن منظور لسان العرب، مادة(شمخ).

4- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص290.

5- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص397.

كما أضاف "الطبري" معان مختلفة للفظ "شامخات" كلها تدل على عظمتها، حيث قال: « وجعلنا في الأرض جبالا ثابتات فيها، باذخات شاهقات. ويقول: جبالا مُشرفات»⁽¹⁾. وجعلنا فيها أيضا « جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتفخيم أو الإشعار بأن فيها ما لم يعرف ولم ير»⁽²⁾. أما " ابن عاشور " فقد ربط بين فائدة ارتفاع الجبال للأعلى وانحدارها للأسفل لتسهيل نزول الماء وجريانها في الأودية والأنهار، حيث قال: « والشامخات: المرتفعات. وعُطف ﴿ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ لمناسبة ذكر الجبال لأنها تنحدر منها المياه تجري في أسافلها وهي

الأودية وتقر في قرارات وحياض وبحيرات. والفرات: العذب وهو ماء المطر وتنوين " شامخات" و"ماء فراتا" للتعظيم لدلالة ذلك على عظيم القدرة»⁽³⁾. ويقال من الناحية البلاغية عند وصف شخص وقف صامدا أمام المشاكل والصعوبات أنه وفق شامخ الرأس ولم يستسلم أي: أنه وقف رافعا رأسه للأعلى ولم يطأطئه للأسفل صاغرا متذللا للغير، فهذا الوصف تصوير لهيئة وشكل الجبال المرتفعة في الأفق والمنحدرة أصولها في أعماق الأرض، ولكن علما الجيولوجيا يبحثون دائما عن حقائق علمية دقيقة تبرز الدلالة المعجزة لهذا اللفظ، والتي سنكتشفها من خلال رصد آرائهم المتباينة فيمايلي:

(ب)- آراء العلماء:

إن ما تراه العين المجردة هو الجزء العلوي من الجبال فقط، أما السفلي الذي يمثل جذورها المتغلغلة في أعماق الأرض فهو الجزء الأهم، لأنه يُنبئها أولا ثم يعمل على تثبيت الأرض ثانيا « فالجزء البارز من الجبال فوق سطح الأرض هو في الحقيقة ليس إلا القمم البارزة لكتل هائلة من الصخور التي تطفو في نطاق الضعف الأرضي كما تطفو جبال الجليد في ماء البحر المحيط ومن هنا كان وصف القرآن للجبال بالرواسي وصفا معجزا، لأن الجبال ترسو بأوتادها في نطاق الضعف الأرضي كما ترسو السفينة في ماء البحر على مرساتها»⁽⁴⁾.

1- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج23، ص598-599.

2- البيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص435.

3- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج29، ص434.

4- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، ص9.

وفي الآية الكريمة السابق ذكرها معجزة علمية تربط بين الجبال وبين الماء العذب وهذا يشير إلى ظاهرة الثلج الدائم الذي يغطي قمم الجبال، حيث تكون درجة الحرارة فيها دائما تحت الصفر، فتراكم الثلوج باستمرار عليها يساعد على تغذية الأنهار بالماء العذب النقي فقد « ربط القرآن الكريم بين تكوُّن الجبال وتدفق الأنهار حيث أنها من أعظم وسائل شقِّ الطرق بين الجبال والتلال والهضاب في مناطق التضاريس الأرضية الوعرة، وتغذى الأنهار بماء المطر الذي يسقط فوق مرتفعات الأرض من مثل الجبال، ومن نوبان الجليد من أماكن تجمعه في قمم الجبال ومن أطراف حقول الجليد»⁽¹⁾.

وقد قال علماء الجيولوجيا « أن التعريفات الحالية للجبال تنحصر في الشكل الخارجي لهذه التضاريس، دون أدنى إشارة لامتدادها تحت السطح، والتي ثبت أنها تزيد على الارتفاع الظاهر بعدة مرات. ولم تكتشف هذه الحقيقة إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر عندما تقدم "جورج إيبري" بنظرية مفادها أن القشرة الأرضية لا تمثل أساسا مناسباً للجبال التي تعلوها وافترض أن القشرة الأرضية وما عليها من جبال لا تمثل إلا جزءاً طافياً على بحر من الصخور الكثيفة المرنة، وبالتالي فلا بد أن يكون للجبال جذور ممتدة داخل تلك المنطقة العالية الكثافة لضمان ثباتها واستقرارها»⁽²⁾.

كما أن هناك مشهدٌ مُعجَزٌ آخر لعمل الجبال وفوائدها، حيث « تلعب دور المصفاة بالنسبة للثلوج التي تُكَلِّها والمياه المتساقطة عليها ترشح المياه بصورة تدرجية بطيئة إلى الطبقات الداخلية فيها والأرض القريبة منها حيث تتخزن المياه الجوفية»⁽³⁾.

كما أن للدلالة الصوتية في قوله تعالى: ﴿ شَمِخَتْ ﴾ معنى قوي يدل على الارتفاع الشاهق

للجبال في كل مكان، فالمد الصاعد الذي يتمثل في الألفين الموجودتين في لفظ " شامخات " يعبر بمدّه إلى ارتفاع الجبال وشموخها فالتناسق قائم بين لفظه ومعناه ومعبر بشكل دقيق عن ضخامة هذه الجبال، ولأن « أصوات اللين الطويلة في اللغة العربية قد يزداد طولها ضعفاً أو ضعفين حين تليها همزة أو صوت مدغم سواء كان هذا في كلمة واحدة وهو ما اصطلح القدماء على تسميته بالمدّ المتصل أم في كلمتين وهو المدُّ»⁽⁴⁾.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية، ص10.

2- نور الدين أبو لحية، محمد والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، ص138.

3- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص49.

4- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص158.

1-1-4- نصب: نُصِبَتْ.

قال تعالى: ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾⁽¹⁾.

- النَّصْبُ لُغَةً:

للنَّصْبِ معانٍ عديدة ولكن ما نبحت عنه هو معنى النصب الذي تُكر في القرآن الكريم وفي الآية السابق ذكرها، وقد ذكر " ابن منظور " هذه المعاني متفرقة في معجمه وكان لزاما علينا اختيار ما يشرح معنى هذا اللفظ و«النَّصْبُ: وضع الشيء ورَفَعَهُ، نَصَبَهُ يَنْصِبُهُ نَصْبًا وَنَصَّبَهُ فَانْتَصَبَ. وَالدَّصِيبَةُ وَالدُّصْبُ: كل ما نُصِبَ، فُجِّلَ علما. وَالدَّصْبُ وَالدُّصْبُ: العلم الْمَنْصُوبُ. قال الليث: النَّصْبُ رَفَعُكَ شَيْئًا تَنْصِبُهُ قَائِمًا مُنْتَصِبًا، وَكُلُّ شَيْءٍ انْتَصَبَ بِشَيْءٍ فَقَدْ نَصَبَهُ. الجوهري: النَّصْبُ مصدر نَصَبْتَ الشَّيْءَ إِذَا أَقَمْتَهُ. وَصَفِيحٌ مُنْصَبٌ أَي نُصِبَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. وَالدَّصْبُ: إِقَامَةُ الشَّيْءِ وَرَفَعُهُ، لَا يَكُونُ الدَّصْبُ إِلَّا بِالْقِيَامِ»⁽²⁾.

وبهذا يكون معنى لفظ " النَّصْبُ " أنه كل ما نُصِبَ وَرُفِعَ عَلَى الْأَرْضِ فَهُوَ قَائِمٌ عَلَيْهَا مَنصُوبٌ وَالْعَكْسُ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ وَكَمَا ذَكَرَ " ابن منظور " لَا يَكُونُ الدَّصْبُ إِلَّا بِالْقِيَامِ وَمَا نُصِبَتْ الْجِبَالُ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا لِتَكُونَ قَائِمَةً مَرْفُوعَةً شَاهِقَةً تَعَانِقُ السَّحَابَ بِقَمَمِهَا الْمَغْطَاةَ بِالتَّلُوجِ النَّاصِعَةِ الْبِيضِ. كما شُبِّهَتِ الْجِبَالُ بِالْأَعْلَامِ الَّتِي تُرْفَعُ وَتُنْصَبُ فِي السَّمَاءِ عَالِيًا وَلِهَذَا قَالَ " الزمخشري " أَنَّ مَعْنَى «نَصَبٌ: نُصِبَ الْعِلْمُ وَالبَابُ فَانْتَصَبَ وَتَنْصَبُ. وَانْتَصَبَ قَائِمًا وَتَنْصَبُ»⁽³⁾. وَنَلَاظٌ دَائِمًا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ وَصْفَ ظَاهِرَةٍ كَوْنِيَّةٍ مُعْجَزَةٍ شَبَّهَهَا بِصُورَةٍ مَادِيَّةٍ يُمْكِنُ رُؤْيُهَا كَالْأَوْتَادِ وَالرَّوَاسِيِ وَالْأَعْلَامِ... الخ.

- النَّصْبُ اصْطِلَاحًا:

أ- آراء المفسرين:

كل الألفاظ التي وُصِفَتْ بِهَا الْجِبَالُ أَثْنَاءَ خَلْقِهَا تَدُلُّ عَلَى الثَّبُوتِ وَالْقَرَارِ وَذَلِكَ إِمَّا لِتَثْبِيتِ الْأَرْضِ عَنِ الاضطرابِ وَالحركة الدائمة أو لِتَثْبِيتِ الْجِبَالِ جُذُورِهَا فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ وَتَرْفَعِ قَمَمِهَا فِي آفَاقِ السَّمَاءِ، وَلِهَذَا فَسَّرَ أَكْثَرُ الْمَفْسِرِينَ هَذِهِ الْآيَةَ بِأَنَّ جُعِلَتِ الْجِبَالُ « مَنْصُوبَةٌ فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ رَاسِيَةٌ لِنَلَاظِهَا بِأَهْلِهَا، وَجُعِلَ فِيهَا مَا جُعِلَ مِنَ الْمَنَافِعِ وَالْمَعَادِنِ »⁽⁴⁾.

1- الغاشية، الآية 19.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(نصب).

3- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، باب النون، ص273.

4- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص650.

وقد جاءت الألفاظ التي تصف خلق الكون وما فيه من مخلوقات متتالية لثبوت عظمة الخالق عزّ وجلّ وقدرته الفعلية والقولية في الخلق بالقرآن العظيم، ولهذا «قرأ الجمهور "خُلقت" "رُفعت" "نُصبت" "سُطحت" بناء التأنيث مبنيا للمفعول، أي خُلقت رَفَعْتَهَا نَصَبْتَهَا، أي: رُفَعَتْ رَفَعًا بَعِيدَ الْمَدَى بِلا عَمْدٍ وَنُصِبَتْ نَصَبًا ثَابِتًا لَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ، سُطِحَتْ سَطْحًا حَتَّى صَارَتْ كَالْمِهَادِ لِلْمَتَقَلِّبِ عَلَيْهَا»⁽¹⁾.

إن في نصب الجبال آية عظيمة لا تمل العين من النظر إليها أو التّفكر في عظمة خالقها وبالأخص في فصل الشتاء حيث تكون قممها مغطاة بأبهى حلة بيضاء، ويشرح "الطبري" قوله تعالى: ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ فيقول: «وإلى الجبال كيف أقيمت

منتصبة لا تسقط فتتوسط في الأرض، ولكنه جعلها بقدرته منتصبة جامدة* لا تبرح مكانها ولا تزول عن موضعها»⁽²⁾ ثم ذكر مثالا عن الجبال التي لا تعمل فيها المعول ولم تحرثها من قبل أيدي بشرية لشدة قسوة حجارتها وذلك في حديث نقله عن قتادة فقال: «تصاعد إلى الجبال الصيخود* عامة يومك، فإذا أفضيت إلى أعلاه، أفضيت إلى عيون متفجرة وثمار متهدّلة ثم لم تحرثه الأيدي ولم تعمله نعمة من الله»⁽³⁾.

كما أن للجبال منافع عديدة غير التي ذكرناها سابقا كحفظها للمياه المتشكلة من ذوبان الثلوج وعملها كمكثفات للسحاب بعد اصطدامها بقممها حيث تكون درجة الحرارة تحت الصفر مما يساعد على تكوين الثلوج، «وكانت الجبال منازل لكثير منهم مثل: جبلي أجا وسلمى لطبي. وينزلون سفوحها ليكونوا أقرب إلى الاعتصام بها عند الخوف ويتخذون فيها مراقب للحراسة والنصب: الرفع أي: كيف رُفعت وهي مع ارتفاعها ثابتة راسخة لا تميل»⁽⁴⁾.

1- ينظر: أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص459، والزمخشري، الكشاف، ج6، ص365، والبيضاوي، تفسير البيضاوي، ج5، ص484.

* جامدة: أما مسألة حركة الجبال، فسندناقشها في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ۗ صُبَّحَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ۗ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ النمل، الآية 88.

2- الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج24، ص339.

* الصيخود: الصخرة الملساء الصلبة لا تُحرّك من مكانها ولا يعمل فيها الحديد وهي الصخرة العظيمة التي لا يرفعها شيء ولا يأخذ فيها منقار ولا شيء (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(صخد)).

3- المرجع السابق، ص340.

4- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص306.

ب- آراء العلماء:

إن الصّدوع الكثيرة الموجودة في القشرة الأرضية أدت إلى ارتفاع العديد من السلاسل الجبلية التي انتصبت كأعلام عالية شاهقة الارتفاع، و« بفعل الضغط الهائل وعوامل جيولوجية أخرى داخل الأرض وخارجها، تكوّنت الألواح أو القطع الأرضية المؤلفة من قشرة الأرض وجزء من معطفها، وعليها تركز القارات والمحيطات اليوم، وبعض الألواح الأرضية تتقارب فيما بينها، ثم تتصادم فتغوص القطعة الأثقل تدريجياً تحت الأقل ثقلاً فنترفعها كما ترفع العتلة الصخرة الثقيلة، وهكذا ارتفعت الجبال ونُصبت تدريجياً بصورة بطيئة جداً على مر ملايين السنين»⁽¹⁾. وقد أتبع قوله بأمثلة عن أهم السلاسل الجبلية التي نُصبت وارتفعت نتيجة اصطدام الألواح الأرضية في بعض القارات « فسلسلة جبال "الهملايا" ارتفعت من تصادم القطعة الأرضية الهندية بالقطعة الآسيوية، وجبال "الألب" من تصادم القطعة الأفريقية بالقطعة الأوروبية، وجبال "الأنديز" في أمريكا الجنوبية من تصادم القطعة الأمريكية بالقطعة الأفريقية وتشير الأبحاث الأحفورية* إلى وجود بقايا أحياء في أكثر الجبال مما يدل على أنها كانت في العصور الغابرة تحت سطح الماء»⁽²⁾.

كما أن الحركات المختلفة لألواح الغلاف الصخري للأرض تؤدي إلى بروز عدة ظواهر تضاريسية تجعل كوكبنا أكثر تنوعاً طبيعياً وبيئياً، « وينتج عن هذه الحركات لألواح الغلاف الصخري عدد من الظواهر الأرضية المهمة التي منها اتساع قيعان البحار والمحيطات وتجدد صخورها باستمرار عند حواف التباعد، وتكون سلاسل من جبال أواسط المحيطات ومن الجزر البركانية، ومنها تكون السلاسل الجبلية عند حواف التصادم، حيث يستهلك قاع المحيط تحت كتلتين القاريتين المتقابلتين له، وتصاحب العمليتان بالهزات الأرضية وبكم هائل من الطفوح البركانية ويبلغ طول جبال أواسط المحيطات أكثر من 64000 كيلومتر وهي تتكون أساساً من الصخور البركانية المختلطة بقليل من الرواسب البحرية»⁽³⁾.

1- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص45.

* الأبحاث الأحفورية: التي تهدف إلى اكتشاف المستحاثات (الحيوانات البحرية) التي كانت قبل انفصال القارات عن بعضها بعضاً والتي تؤكد نظرية "انزياح القارات".

2- المرجع نفسه، ص45.

3- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومعزى دلالتها العلمية (26)، قضايا وآراء، 26 شعبان 1422هـ، 12 نوفمبر 2001 العدد: 126-41979، ص6.

ونلاحظ من خلال الأقوال السابقة أن هناك علاقة وثيقة وترابط عميق بين لفظ " تصدع " الأرض وتكوّن الجبال ورفعها مُنتصبة فوق القشرة الأرضية، وهذا ما شرحناه بالتفصيل في قوله تعالى: ﴿ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴾⁽¹⁾، فالصدوع تؤدي دورا مهما في عمليتي الهدم

والبناء فهي تبني الجبال والتلال والهضاب، كما تبني الأحواض والأغوار والخسوف الأرضية وغيرها من السفوح والأنهار، وإضافة إلى وصف القرآن المُعجّز لأشكال الجبال أشار بصورة بلاغية وعلمية أكثر إعجازا وفي آية واحدة إلى ألوان صخور الجبال الفريدة من نوعها.

1-2- ألوان صخور الجبال: جُد، بيض، حُمر، مُختلف ألوانها، غرابيب سُود.

قال عزّ وجلّ: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾⁽²⁾.

1-2-1- جُد و غرابيب سُود لغة:

- جُد لغة:

لقد دل الله تعالى على طرق الجبال باختلاف ألوانها « وَجُدَّةٌ كُلُّ شَيْءٍ: طَرِيقَةٌ. وَجُدَّتْ: عَلِمَتْهُ. وَالْجُدَّةُ: الطَّرِيقَةُ فِي السَّمَاءِ أَوْ الْجَبَلِ، وَقِيلَ: الْجُدَّةُ الطَّرِيقَةُ، وَالْجَمْعُ جُدَدٌ، وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ ﴾ أي: طرائق تخالف لون الجبل. قال الفراء: الجُدَدُ الخِطَطُ

والطُّرُق، تكون في الجبال خِطَطٍ بِيضٍ وَسُودٍ وَحُمْرٍ كَالطُّرُقِ، وَاحِدُهَا جُدَّةٌ، قَالَ: وَالْجُدَّةُ الخُطَّةُ السُّودَاءُ فِي مَتْنِ الْحَمَارِ. وَفِي الصَّحَاحِ: الْجُدَّةُ الخُطَّةُ الَّتِي فِي ظَهْرِ الْحَمَارِ تُخَالِفُ لَوْنَهُ. قَالَ الزَّجَاجُ: كُلُّ طَرِيقَةٍ جُدَّةٌ وَجَادَةٌ. وَجُدُّ كُلِّ شَيْءٍ: جَانِبُهُ. وَجُدَّةٌ: اسْمُ مَوْضِعٍ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ مُشْتَقٌّ مِنْهُ. وَبِهِ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ الَّتِي عِنْدَ مَكَّةَ جُدَّةً»⁽³⁾.

1- الطارق، الآية 12.

2- فاطر، الآية 27.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(جُد)، وينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، ج1، ص120.

فالجُدُد تعني الطرائق، السُّبُل والمسالك المختلفة التي نراها على الجبال وتختلف ألوانها حسب نوع كل جبل، و« الجُدُد: جمع جُدَّة وهي الطريق في الجبل وغيره»⁽¹⁾. وهي أيضا « كل طريق في الجبل يخالف لونها لون ما يجاورها، والمعنى طريقة ظاهرة من قولهم: طريق مَجْدود، أي مقطوع بالسلوك، ومنه جادة الطريق»⁽²⁾.

أما معنى لفظي "بريض" و"حمر" فلا يحتاج لشرح لغوي لأن معناهما واضح وبَيِّن ولكننا سنُبَيِّن معناهما في التفسير العلمي للقرآن الكريم، حيث سنكتشف العلاقة بين ألوان صخور الجبال ووصف القرآن لها بأوصاف مُعجزة مثل: غرابيب سود.

- غرابيب سُود لغة:

إن دلالة السَّواد على لون الجبال والمستوحاة من لون الغراب ليُبين أن لونها الأسود دائم لا يتغير بمرور السنين، لأن « أسود غرابيٍّ وِغرابيِّب: شديد السواد. وإذا قلت: غرابيبُ سود تجعل السود بدلا من غرابيب لأن توكيد الألوان لا يتقدم. وفي الحديث: إن الله يُبغض الشيخ الغرابيب هو الشديد السَّواد، وجمعه غرابيب، أراد الذي لا يشيب، وقيل: أراد الذي يُسود شبيهه. والغرابيب: ضرب من العنب بالطائف، شديد السواد، وهو أرق العنب وأجوده، وأشدُّه سوادا. والغراب: جبل، فأما غراب بالباء، فجبل بالمدينة على طريق الشام»⁽³⁾.

أما من الجانب النحوي فالأصل أن يتقدم الموصوف على الصفة، فلفظ "سود" يدل على الجبال أي الموصوف، أما "غرابيب" فيدل على الصفة الدائمة المتمثلة في السَّواد فمعنى « قوله تعالى: ﴿ وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴾ أي: شديد السَّواد. قيل: وأصله سود غرابيب، فقدّمت الصفة على موصوفها. والمفرد غرابيب. يقال: أسود غرابيب وحالك حالك نحو: أحمر قان، واشتقاقه من الغراب لشدة سواده. يقال: هو أسود من حلك الغراب»⁽⁴⁾.

1- موسى بن يوسف القليبي، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها (التحفة القليبية في حلّ الألفاظ القرآنية)، ص80.

2- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج1، ص310.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(غرب).

4- المرجع السابق، ج3، ص155-156.

1-2-2- جُدُدٌ وِغَرَابِيْبٌ سُوْدٌ اصْطِلَاحًا:

أ- آراء المفسرين:

قليلا ما نجد اختلافا في الآراء بين اللغويين والمفسرين، ففي هذه الآية اتفقوا على شرح معنى الجدد بالطرائق « وفي بعضها طرائق وهي الجدد جمع جدة، مختلفة الألوان أيضا قال ابن عباس رضي الله عنهما: الجدد الطرائق»⁽¹⁾، أما الغرابيب السود فهي صفة اشتقت من سواد الغراب لتدل على لون بعض الجبال خاصة البركانية منها التي تكونت من حممها النارية في مناطق تنشط فيها الثورات والانفجارات البركانية، وهذا ما سنبينه أثناء دراسة اللفظ من الجانب العلمي الحديث، في حين أن المفسرين شرحوا المعنى اللغوي للفظ "غرابيب" وبينوا وجه الشبه بين لون الجبال ولون الغراب فقالوا: « قال عكرمة: الغرابيب الجبال طوال السود وقال ابن جرير: والعرب إذا وصفوا الأسود بكثرة السواد قالوا: أسود غرابيب، ولهذا قال بعض المفسرين في هذه الآية: هذا من المقدم والمؤخر في قوله تعالى: ﴿ وَغَرَابِيْبُ سُوْدٌ ﴾ أي: سُوْدٌ غَرَابِيْبٌ»⁽²⁾.

كما أن هناك تقارب من حيث المعنى في لفظ "جُدُدٌ" بين لون بعض الجبال من خلال الأشكال التي ترسمها الطرق والخطوط على صخورها وبين الأشكال الهندسية المرسومة فوق ظهور بعض الحيوانات كالحمار الوحشي والظبي وغيرهما، فوجه الشبه بينهما الخطوط الملونة التي تثير انتباهنا وفضولنا، ومثلما قلنا سابقا أن معنى « الجُدُد: الحُطُّط والطرائق ويقال: جُدَّة الحمار للخطة السوداء على ظهره، وقد يكون للظبي جُدَّتَان سميكتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه. وقرأ الزهري جُدُد، بالضم: جمع جُدِيْدَة، وهي الجُدَّة، يقال: جُدِيْدَة وِجُدُدٌ وِجُدَادٌ، كسفينة وسفن وسفائن. وروي عنه: جُدُد، بفتحين، وهو الطريق الواضح المُسْفَرُ وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض»⁽³⁾.

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص730.

2- المرجع نفسه، ج3، ص730.

3- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص152 - 153.

أما معنى قوله تعالى: « ﴿ وَغَرَابِيبُ ﴾ معطوف على بيض أو على جدد، كأنه قيل: ومن

الجبال مُخطط ذو جُدد، ومنها ما هو على لون واحد غرابيب. وعن عكرمة (رضي الله عنه): هي الجبال الطوال السود. فإن قلت: الغرابيب تأكيد للأسود. يقال: أسود غرابيب، وأسود حلكوك* وهو الذي أبعده في السواد وأغرب فيه. ومنه الغراب. ومن حق التأكيد أن يتبع المؤكد كقولك: أصفر فاقع وأبيض يقق* وما أشبه ذلك»⁽¹⁾.

أما "ابن عاشور" في تفسيره فقد قدم شرحاً مفصلاً عن الآية السابق ذكرها بقوله: «والجدد البيض التي في الجبال هي ما كانت صخوراً بيضاء مثل المروة، أو كانت تقرب من البياض فإن من التراب ما يصير في لون الأصهب فيقال: تراب أبيض، ولا يعنون أنه أبيض كالجبر ويعنون أنه مخالف لغالب ألوان التراب، والجدد الحمر هي ذات الحجارة الحمراء في الجبال»⁽²⁾.

كما يؤكد العلاقة الكامنة بين سواد ريش الغراب وألوان صخور الجبال ولهذا وصفها الله عز وجل بالغرابيب السود، حيث قال: «وغرابيب: جمع غرابيب، والغرابيب: اسم للشيء الأسود الحالك سواده، ولا تعرف له مادة مشتق منها، وأحسب أنه مأخوذ من الجامد وهو الغراب لشهرة الغراب بالسواد. وسود: جمع أسود وهو الذي لونه السواد. فالغراب يدل على أشد من معنى أسود، فكان مقتضى الظاهر أن يكون غرابيب متأخراً عن سود لأن الغالب أنهم يقولون: أسود غرابيب، كما يقولون: أبيض يقق وأصفر فاقع وأحمر قان»⁽³⁾.

* - حُكوك: حلك، الخُلُكَة والحَلَك: شدة السواد كلون الغراب. وأسود حالك وحانك ومُحلوك وحُكوك. والحَلَكوك بالتحريك: شديد السواد وشيء حالك ومُحلوك ومُحلنك وحُكوك، ولم يأت في الألوان فُعلول إلا هذا، قال ابن سيده: قالوا أشد سواداً من حلك الغراب (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(حلك)).

*-يَقوق: أبيض يقق ويقوق، بكسر القاف الأولى: شديد البياض ناصعه. اليَقوق: المتناهي في البياض(ابن منظور، لسان العرب، مادة(يقوق)).

1- الزمخشري، الكشاف، ج5، ص152 (وينظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج19، ص363-364، وأبي حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج7، ص296-297).

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج22، ص302.

3- المرجع نفسه، ج22، ص303.

(ب) - آراء العلماء:

عنون "عدنان الشريف" شرحه لآية ألوان الجبال "بالجبال الغنية المتجددة"، وهذا لأنه يرى أن للآية معنى آخر غير الذي أشار إليه المفسرون حيث قال: «فمن معاني "الجُدُد" عدا الطرائق، الأشياء المتجددة الغنيّة. من هنا نجد أن لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ

وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَايِبٌ سُوْدٌ﴾ معنى آخر، أي أن المولى جعل من بعض الجبال جبلا

ذات تجدد و غنى، كجبال الحديد والنحاس والذهب وسائر الأحجار الكريمة والرخام المختلف ألوانها هي أيضا مصدر ثروة قلما ينضب، بل إنه يتجدد بصورة بطيئة مع مرور الزمن»⁽¹⁾.

ولفظ "الجُدُد" في هذا القول ليس بمعنى "الطرائق والسبل" فقط بل يتعدها لمعاني أخرى تدل على التجدد، أي أن الجبال تعد من الثروات الطبيعية القابلة للتجدد، وذلك لثرائها بموارد طبيعية غنية كالنحاس والحديد والفحم... الخ، ولهذا تعتبر الجبال من الطاقات البديلة المتجددة.

يرى أغلب علماء الجيولوجيا أن اختلاف ألوان صخور الجبال يعود إلى نوع المعادن

المكونة لها، فمنها ما هو وحيد المعدن ومنها ما هو متعدد المعادن، حيث تندرج ألوانها من اللون الفاتح إلى القاتم كما ذكرت في القرآن الكريم، «أما اختلاف (لون) الجبال أو الجُدُد (الممرات والخوانق والصدوع) فمردها إلى اختلاف المعادن المكونة للصخور كالهورنبلند "Hornblend" (لونه أسود غير شفاف) والأوليفين "Olivine" (ولونه أخضر مائل للصفرة) والأوكيت "augite" (ولونه أسود يميل إلى الاخضرار)، ومن ذلك أيضا الكوارتز "Quartz" الذي يسميه العرب المرّو (وهو معدن شفاف وبريقه زجاجي) ومختلف أنواع الفلسبار "Felspar" المكون لفصيلة من المعادن تركيبها الكيميائي سلكات الألمنيوم مع واحد أو أكثر من أكاسيد البوتاسيوم والصوديوم والكالسيوم»⁽²⁾.

وهذا يدل أن اختلاف ألوان صخور الجبال المذكور في القرآن الكريم يعود بالدرجة الأولى إلى مكوناتها الطبيعية الأساسية والمختلفة، فمثلا: إذا كانت الجبال بركانية سيكون لونها أسود وجُددها(خطوطها) بيضاء والعكس صحيح إذا كانت الجبال كلسية.

1- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص50.

2- المرجع نفسه، ص50.

كما أن هناك عوامل أخرى تؤثر في تركيبية ألوان صخور الجبال كالماء الذي يؤدي دورا مهما في إكساب الصخور ألوانها المختلفة والمميزة، كما يدخل في عمليات التحول الكيميائي وإعادة توزيع المعادن. ويدخل الماء في تركيبية معظم المعادن المتحولة، حيث «تتكون الجبال من خليط من الصخور الرسوبية والنارية والمتحولة شديدة الطي والتكسر»⁽¹⁾.

ويشير " زغلول النجار " إلى أن ألوان الطرائق والخطوط تخالف ألوان الجبال، فالقرآن الكريم يُعدُّ السبَّاق في الإشارة لهذه المعجزة العلمية التي أثبتتها العلم الحديث مؤخرا « والآية الكريمة تشير إلى أن الجدد هي الخطط أو الطرائق المختلفة الألوان في الجبال والتي تخالف ألوانها ألوان الجبال وعلى ذلك فهي ليست الجبال. كذلك أثبتت دراسات علم الصخور أن العامل الرئيس في تصنيف الصخور النارية هو تركيبها الكيميائي والمعدني والذي ينعكس انعكاسا واضحا على ألوانها»⁽²⁾.

فالعلوم الحديثة تؤكد على أنّ المتداخلات النارية في صخور الجبال تتكون بعد الصخور المضيفة لها بفترات متطولة قد تقدر أحيانا بملايين السنين، وبالتالي تعد الصخور النارية أصل تكوين الصخور الأخرى « ومن ذلك يتضح بجلاء أن الجدد التي تتداخل في صخور الجبال هي في الأصل من الصخور النارية، وأن أفضل تصنيف لتلك الصخور هو التصنيف القائم على أساس تركيبها الكيميائي والمعدني والذي ينعكس على ألوانها من خلال النقاط التالية:

1- صخور تتراوح ألوانها بين اللونين الأبيض والأحمر وهي الصخور الحامضية وفوق الحامضية وتشمل عائلة الصخور الجرانيتية (الرايولايت- الجرانيت)، والتي وصفها القرآن الكريم بالجدد البيض والحمر.

2- صخور تتراوح ألوانها بين اللونين الأبيض والأحمر من جهة والألوان الداكنة من جهة أخرى، ولهذا يغلب عليها الألوان الرمادية، وهي الصخور الموصوفة بالوسطية(بين الصخور الحامضية وفوق الحامضية من جهة، والصخور القاعدية وفوق القاعدية من جهة أخرى) وتضم عائلة الصخور الدايبورايتية(الأنديزات- ديورايت)، وتقع تحت الوصف القرآني مختلف ألوانها.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها(34)، مجلة قضايا وآراء، الإثنين 28 ذي القعدة 1422هـ 11 فبراير 2002، العدد: 42070- 126، ص9.

2- المرجع نفسه، ص10.

(3)- صخور تميل ألوانها إلى الداكنة حتى السواد وهي الصخور القاعدية وفوق القاعدية وتشمل عائلتي الجابرو(البازلت- الجابرو) والبريدوتايت، وقد ذكرت في القرآن بالغرابيب السود»⁽¹⁾.

إذا كان علماء الجيولوجيا بعد جهد جهيد وعناء مضني وصلوا لهذه النتيجة أو الحقيقة العلمية الثابتة، فإن القرآن العظيم قد وصل إليها منذ آلاف السنين، فقد أخذت دراسة ألفاظ الآية السابقة حفا كافيا من التحليل والشرح، حيث فصلنا في كل العناصر المكونة لألوان طرائق الجبال، وحاولنا قدر المستطاع تقديم المعلومات الكافية والمتوفرة لدينا لدعم الآراء التي أوردناها ضمن كل لفظ من الألفاظ السابقة الذكر، فقد لاحظنا أن كل الألفاظ العامة تتفرع عنها ألفاظ فرعية وهذه الأخيرة بدورها تتفرع إلى ألفاظ فرعية أخرى، وكأننا في سلسلة من الحلقات المنتظمة فيما بينها، فبعد اكتشاف معاني " ألفاظ وصف ألوان الجبال " سننتقل لدراسة " ألفاظ حركة الجبال " لمعرفة الأسباب العلمية والجيولوجية التي تؤدي إلى تحركها بطريقة لا تدركها العين المجردة، ولهذا نحسبها جامدة في مكانها ولا ندرك أنها تمر وتتحرك كما يتحرك السحاب في السماء.

1-3- حركة الجبال: نُسِيرُ، تَسِيرُ، سَيْرًا، سَيْرَتِ، جامدة، تَمَرَّ.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾⁽²⁾.

وقال أيضا: ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾⁽³⁾.

وقال: ﴿ وَسَيَّرَتِ الْجِبَالَ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾⁽⁴⁾.

1- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها، ص11(بتصرف).

2- الكهف، الآية 47.

3- الطور، الآية 10.

4- النبأ، الآية 20.

قال عز وجل: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾⁽¹⁾.

وقال أيضا: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾⁽²⁾.

1-3-1- السَّيْرُ لُغَةً:

إذا ما خاطبنا أي شخص وقلنا له أن الجبال تسير كما يسير السحاب في السماء لاستغرب ذلك ونفاه نفيا قاطعا، ولكننا إذا حاولنا تبسيط هذا الأمر من خلال المعاجم اللغوية والتفسير القرآني والآراء العلمية لوجدنا أن دلالة لفظ «السَّيْرُ: اللُّهَابُ، سَارَ يَسِيرُ سَيْرًا وَمَسِيرًا وَتَسِيرًا وَمَسِيرَةً وَسَيْرُورَةً، وَتَسِيرًا، يَذْهَبُ بِهِذِهِ الْأَخِيرَةُ إِلَى الْكَثْرَةِ»⁽³⁾.

وكذلك «السَّيْرُ: الْمَضِيُّ فِي الْأَرْضِ، وَالتَّسْيِيرُ ضَرْبَانُ: تَسْخِيرُ كَقَوْلِهِ: ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ﴾

واختيار كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ﴾⁽⁴⁾»⁽⁵⁾.

1- التكوير، الآية 3.

2- النمل، الآية 88.

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة(سير).

4- عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص244- 245.

5- يونس، الآية 22.

2-3-2- السَّير اصطلاحاً:

أ- آراء المفسرين:

إن الأوصاف التي وُصفت بها الجبال في الآيات السابقة تُصور لنا الحالة التي ستكون عليها الأرض بما فيها من مخلوقات يوم الحساب، فالله عزَّ وجلَّ « يُخبر عن أهوال يوم القيامة وما يكون فيها من الأمور العظام، لقوله: ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ أي تذهب من أماكنها وتزول يذكر تعالى أنه تذهب الجبال، وتتساوى المهاد، وتبقى الأرض قاعاً صفصفاً، أي سطحاً مستويا لا عوج فيه ولا أمتاً، أي لا وادي ولا جبل. أي يخيل إلى الناظر أنها شيء وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر، تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه، وهي تمرُّ مرَّ السحاب أي تزول عن أماكنها»⁽¹⁾.

حيث « قرئ: " تُسِير " من سُيرت، " وتُسِير " من سَيَّرنا، " وتَسِير " من سارت، أي: تسير في الجو، أو يذهب بها، بأن تُجعل هباءً منبثاً»⁽²⁾. كما فسّر "الزمخشري" معنى تسير الجبال في مقام آخر بقوله: « (سُيرت) أي على وجه الأرض وأبعدت. أو سُيرت في الجو تسير السحاب كقوله: ﴿ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾»⁽³⁾. وقد فسّر هذه الآية الأخيرة بقوله: « (جامدة) من جمد في مكانه إذا لم يبرح. تَجَمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب، فإذا نظر إليها الناظر حسبها واقفة ثابتة في مكان واحد (وهي تمرُّ) مرا حثيثاً كما يمر السحاب وهكذا الأجرام العظام المتكاثرة العدد: إذا تحركت لا تكاد تتبين حركتها»⁽⁴⁾.

أما "ابن عاشور" فقد قدم تفسيراً شافياً كافياً حيث مزج بين التفسير القرآني والدراسات العلمية الحديثة، خاصة عند تفسيره لآية عدم جمود الجبال وكذا تسيرها ومرورها في الأرض كمرور السحاب في السماء، حيث قال: « وتسير الجبال: نقلها من مواضعها بزلزال أرضي عظيم، وقيل: أطلق التسير على تناثر أجزائها. جعل الشيء سائراً، أي ماشياً»⁽⁵⁾.

1- ينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص119، 502، ج4، ص596.

2- الزمخشري، الكشاف، ج3، ص590.

3- المرجع نفسه، ج6، ص321.

4- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص476.

5- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج15، ص335.

وتمر الجبال بمراحل جيولوجية متعددة تغير من شكلها الخارجي مثلما تمر به الأرض من مظاهر طبيعية ذكرناها في الدراسة الدلالية للفظ "الأرض"، فهذه الجبال « كأنها تسير من مكان إلى آخر وهو نقل يصحبه تفتيت، كما شُبّهت حركة الجبال أثناء سيرها بالسراب الذي يراه الإنسان التائه في الصحراء القاحلة، فكانت كالسراب في أنها لا شيء. والسراب: ما يلوح في الصحارى مما يشبه الماء وليس بماء ولكنه حالة في الجو القريب تنشأ من تراكم أبخرة على سطح الأرض»⁽¹⁾.

وحين فسر "ابن عاشور" الآية الثامنة والثمانين من سورة النمل ربط بين حركة الأرض وحركة الجبال، كما أنه لام على المفسرين اهتمامهم بتحديد فترة حدوث عملية تحريك الجبال ولم يهتموا بتحليل الأسباب التي جعلت الله تعالى يشبه سير الجبال بحركة السحاب، « ولكن هذا استدعاء لأهل العلم والحكمة لتتوجه أنظارهم إلى ما في هذا الكون من دقائق الحكمة وبديع الصنعة وهذا من العلم الذي أودع في القرآن ليكون معجزة من الجانب العلمي يدركها أهل العلم، كما كان معجزة للبلغاء من جانبه النظمي»⁽²⁾. فهنا يدعو "ابن عاشور" إلى ضرورة البحث والتقصي في الجانب العلمي لأسرار القرآن الكريم بعدما حظي جانب الإعجاز البياني والنظمي باهتمام كبير من قبل العلماء اللغويين.

وفي حديثه عن علاقة حركة الأرض بالجبال صرّح قائلاً: « وإنما ناط تحرك الأرض بتحريك الجبال منها لأن الجبال هي الأجزاء الناتئة من الكرة الأرضية فظهور تحرك ظلّالها متناقصة قبل الزوال إلى منتهى نقصها، ثم أخذة في الزيادة بعد الزوال، ومشاهدة تحرك تلك الظلال تحركاً يحاكي ديبب النمل أشد وضوحاً للراصد، وكذلك ظهور تحرك قممها أمام قرص الشمس في الصباح والمساء»⁽³⁾.

1- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج30، ص33، وج20، ص48.

2- المرجع نفسه، ج20، ص48-49.

3- المرجع السابق، ج20، ص49.

ويرى "ابن عاشور" أن هناك فرق بين مرّ وسير الجبال « "ومرّ السحاب" مصدر مبين لنوع مرور الجبال، أي: مرورا تنتقل به من جهة إلى جهة مع أن الرائي يخالها ثابتة في مكانها كما يخال ناظر السحاب الذي يعم الأفق أنه مستقر، وبهذا تعلم أن المر غير السير الذي في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾⁽¹⁾ فإن ذلك في وقت اختلال نظام العالم الأرضي»⁽²⁾.

لقد اختص الله سبحانه وتعالى نبيه المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بعلم الخلق والخالق وانتمنه عليه، حتى إذا جاءت التكنولوجيا الحديثة بوسائلها المتطورة فكشف علماءها الباحثون في مختلف الميادين من الأسرار العجيبة المعجزة ما كان القرآن العظيم قد أشار إليه منذ قرون خلت.

(ب) - آراء العلماء:

أثبت العلم الحديث في القرن العشرين من خلال سفن الفضاء أن روادا شاهدوا الجبال تتحرك مع الأرض وتمر مرّ السحاب، من خلال هذا الكلام يتبين لنا أن الجبال تتحرك طوعا مع تحرك الأرض، ولكن رغم اعتراف العلم بذلك يبقى الكثير من العلماء - حتى من العامة- لا يصدقون ما جاء به القرآن العظيم، فإذا كنا لا نحس بحركة الأرض وهي الكوكب الذي نعيش عليه فكيف سنحس بحركة الجبال إذا كانت تمثل المناطق الأقل تمركزا للسكان؟ والدراسات العلمية الحديثة تثبت ذلك بالدليل العلمي القاطع، حيث « أن الأرض تدور حول الشمس مرة واحدة كل سنة فعند انتقالها من موضع إلى آخر، يخيل إلينا وكأنما انتقلت الشمس من برج إلى آخر، وإن فترة الانتقال تقارب (30) يوما لأن الأرض تتحرك درجة واحدة تقريبا في كل يوم فلهذا تكمل (360) درجة خلال سنة واحدة، فكيف يشعر الإنسان بحركة الجبال على الأرض؟ من هنا فإنه يحسبها أي: الجبال جامدة قطعاً مع أنها تتحرك ضمن أو مع حركة الأرض أي أنها تمر مرّ السحاب»⁽³⁾.

1- الكهف، الآية 47.

2- ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج20، ص50.

3- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، ص51.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: لماذا تمّ اختيار تشبيه حركة الجبال بحركة السحاب في المرور والانتقال من مكان لآخر دون اختيار حركة كائنات أخرى، كحركة أمواج البحار أو حركة الحيتان الضخمة أو حتى حركة السفن على الماء؟ الجواب: لأن حركة السحاب تحمل من الإعجاز العلمي والبلاغي الكثير، حيث نرى في الواقع أن لحركة السحاب في السماء مرونة وسلاسة في الانتقال عبر مختلف المناطق الموجودة في العالم، فلا نحس بحركتها الدائمة فوق رؤوسنا إلا إذا أمعنا النظر فيها وحاولنا التدقيق في كيفية تنوع حركاتها من خلال قوة الرياح، وربما لا نفلح في ذلك ولو استعملنا أحدث الوسائل والاختراعات التكنولوجية الحديثة بالرغم من هذا كله « فما أجمله من تشبيه بليغ رباني لأن سرعة السحاب مهما ازدادت فإن الراصد على الأرض لا يدركها على حقيقتها إنما يدركها بتغير موضع السحابة وتحرك (القمر) أو (النجوم) من بين (السحب) ليلا وخباء بصريا رغم أن سرعة الأرض 30كم/ثا في المجموعة الشمسية»⁽¹⁾.

ومنه نرى أن للجبال دور عظيم ومهم لا يمكن استغناء عنه في الحفاظ على:

1- استقرارها وثبات الأرض أثناء دورانها الطبيعي حول نفسها والشمس أيضا.

2- المياه المتساقطة فتقوم بتخزينها في أعماقها داخل الكهوف والمغارات.

فالنظام الذي تسير عليه الكائنات الحية والجمادة لا يمكن للإنسان أن يحاكيه ليخترع ولو

جزءا ضئيلا منه وذلك مصداقا لقوله تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾⁽²⁾. فقد صنع

الله ذلك صنعا، وهذا تمجيذا للنظام العجيب، إذ تتحرك الأجسام العظيمة مسافات شاسعة والناس يحسبونها قارة ثابتة وهي تتحرك بهم ولا يشعرون، كما خلق الله تعالى كل شيء بقدر معلوم وبميزان دقيق فحق علينا بل هو واجب علينا أن نُمجّد ونُكَبِّر الله العليّ القدير الذي خلق نظاما مُعجّزا وجعلنا نسير عليه بانتظام.

1- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم ، ص52.

2- النمل، الآية88.

2- البحار:

أ-البحر لغة:

اتفق معظم اللغويين⁽¹⁾ على معنى البحر أنه "الماء الكثير" سواء أكان ماء البحر مالحة أم عذبا، وقد ورد عند "ابن منظور" أن معنى «البحر: الماء الكثير ملحا كان أو عذبا وهو خلاف البر، سمي بذلك لعمقه واتساعه وقد غلب على الملح حتى قلّ في العذب وجمعه أبحر وبُحور وبحار، وسمي بحرا لملوحته، يقال: ماء بحر أي: ملح، وأما غيره فقال: إنما سمي البحر بحرا لسعته وانبساطه ومنه قولهم إن فلانا لبحر أي واسع المعروف»⁽²⁾.

كما تُكر للبحر معنى آخر يدل على "الريف" أو "البلد" وذلك في قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ

الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾⁽³⁾، «فزعم الفارسي أن المعنى، ظهر الجذب في البر والبحر والبحر

الريف، وقال بعض المفسرين أن هذا كان قبل أن يُبعث النبي (صلى الله عليه وسلم) امتلأت الأرض ظلما وضلالة، وسمي بحرا لاستبحاره أي اتساعه ومنه استبحر في العلم والمال وتبحر»⁽⁴⁾. وجملة هذه المعاني أشارت إليها بعض معاجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية من بينها معجم "عبد الحلیم محمد قنيس" الذي تُكر فيه أن للبحر معنيين مختلفين:

1- الماء الكثير المعروف.

2- الريف والبلد⁽⁵⁾.

وعلاقة المشابهة التي تربط البحر بالإنسان من خلال الكرم والجود تجعلنا ندرك أهمية توسع المسطحات المائية على حساب الأراضي، وذلك بهدف الحفاظ على التوازن البيئي الذي أوجده الله تعالى بدقة متناهية.

1- من بينهم: ابن منظور(لسان العرب)، ابن فارس(مقاييس اللغة).

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(بحر).

3- الروم، الآية41.

4- ابن سيده، المخصص، دار الكتب العلمية لبنان، (د، ط)، (د، ت)، المجلد3، السفر العاشر، ص15-16.

5- عبد الحلیم محمد قنيس، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان، (د- ط) 1987، ص19(بتصرف).

كما يدل لفظ البحر على السَّعة والكرم سواء أكان ملحا أوجاجا أم عذبا فراتا، وهو عند " الفيروز آبادي": « البحر: الماء الكثير، أو الملح فقط، ج: أبحر وبُحور وبِحار، والتصغير: أبحر لا بُحير والرجل الكريم، والفرس الجواد والريف»⁽¹⁾. كما أن « أصل البحر كل مكان واسع جامع للماء الكثير، هذا هو الأصل ثم اعتبر تارة سَعته المُعَاينة فيقال: بَحرت كذا: أو سَعته سَعَة البحر، تشبيها به. ومنه بَحرت البعير: شققت أذنه شقا واسعا، ومنه سُميت البَحيرة»⁽²⁾.

ب- البحر اصطلاحا:

يستخدم لفظ " البحار " عادة بمفهومه العام للدلالة على البحار والبحيرات المالحة وكذلك المحيطات، ولكن الجغرافيين⁽³⁾ يفرقون بينهم من خلال معايير عدة نذكر منها: « الاتساع "المساحة"، العمق، مدى الارتباط باليابس، طبيعة المياه من حيث الملوحة ودرجة الحرارة... الخ وغالبا ما تستعمل لفظة "بحار" عند الكلام على قانون البحار وحقوق الملاحة والصيد فيها»⁽⁴⁾، وقد وقع اختلاف بين العلماء حول تحديد المصدر الحقيقي (الأصلي) للمياه: هل هو جوف الأرض أم مطر السماء؟

المصدر الأولي للمياه⁽⁵⁾:

وقد اختلف دارسو " علم البحار " حول تحديد المصدر الأولي للمياه البحر، فانقسموا إلى فريقين:

أ- فريق يرى أن المصدر الأولي للمياه هو أمطار السماء.

ب- أما الفريق الثاني فيعد مصدر هذه المياه الأرض ذاتها.

كانت الفكرة السائدة عند علماء الجيولوجيا حتى بداية القرن العشرين حول المصدر الأولي للمياه هو الأمطار المتساقطة من السماء، أما الأرض فتخزن في جوفها هذه الأمطار لتعيد إخراجها على شكل ينابيع أو آبار متفجرة سببها صُدوع وانشقاقات مختلفة تحدثها الزلازل والبراكين.

1- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(بحر).

2- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، ص110.

3- من بينهم: زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية.

4- عبد العزيز طريح شرف، جغرافية البحار، مركز الإسكندرية للكتاب، (د، ط)، 2008، ص57-58(بتصرف).

5- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية، ص104.

ولكنه « ثبت علميا أن المصدر الأولي للمياه هو الأرض ذاتها حيث كانت منذ أربعة آلاف مليون سنة ونيف كتلة ملتهبة من الحمم والصحارة ومع مرور ملايين السنين بردت أجزائها الخارجية تدريجيا بفعل فقدانها لبخار الماء والذي ما لبث أن تكثف وتحول إلى غيوم ثم تساقط أمطار على الأرض الملهبة التي حولته من جديد إلى بخار، وعندما وصلت درجة الحرارة في قشرتها الخارجية إلى نقطة لا تستطيع معها تبخير الماء المتساقط عليها أمسكت بمائها هكذا تكونت الأنهار والبحار. ومن هنا يتبين لنا أن الأرض تمثل المصدر الأصلي والأولي للماء، فالإحصاءات العلمية تقدر أن ما يرتفع من الأرض إلى غلافها الغازي سنويا بنحو (380, 000 كم³) من الماء، يتبخر أغلبه من أسطح البحار والمحيطات بنحو (320, 000 كم³) ويرتفع الباقي من اليابسة (60, 000 كم³)، ليعود كل ما تبخر من ماء الأرض إليها ثانية، وينزل منه (284, 000 كم³) فوق البحار والمحيطات و(96, 000 كم³) فوق اليابسة»⁽¹⁾.

فهذه الحقيقة العلمية الثابتة تسمى "بالدورة الطبيعية للمياه" والتي تُعد قانونا ثابتا من قوانين الطبيعة، فالمخطط الآتي يؤكد ويبيّن ذلك:

- مياه (بحار + محيطات + أنهار + بحيرات) ← تبخر (سحب) ← مياه (ثلوج + أمطار)

« فالدورة المائية المُعجزة حول الأرض استمرت منذ خرج ماء الأرض من داخلها إلى اليوم الراهن، وبهذه الدورة يتحرك الماء من الغلاف المائي للأرض إلى غلافها الهوائي ليتطهر مما يتجمع فيه من ملوثات ومواد ذائبة فيه وعالقة به وهذا يعني أن المياه تدور دورة متوازنة ومحسوبة تقوم عليها الحياة على الأرض، حتى لو استعمل الناس كل وسائل التكنولوجيا فلن يستطيعوا أن يعيدوا إنتاج هذه الدورة بطريقة صناعية»⁽²⁾.

كما أن للبحار خصائص متميزة تُكرت في القرآن العظيم منذ آلاف السنين، والعلم الحديث يحاول اكتشافها بكل الوسائل العلمية والتكنولوجية المتطورة، ولهذا اخترنا ألفاظا ذات دلالة علمية مُعجزة تُبيّن مدى أهمية مياه البحار وعظمة خالقها، نتناولها بالدراسة والتحليل لنحاول قدر الإمكان استنتاج مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء اللغة والتفسير وعلماء الجيولوجيا والبحار.

1- نور الدين أبو لحية، محمد والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، ص183 (بتصرف).

2- المرجع نفسه، ص184.

فبعد أن بيّنا معنى لفظ "البحار" لغة واصطلاحاً وجب التعرف على أوصافها المتباينة كالنّسجير والتفجير التي تُصور لنا ظاهرة طبيعية مُعجّزة توضح مدى أهمية "البرزخ" العازل الذي يفصل المياه المالحة عن المياه العذبة.

1-1- تسجير البحار:

قال تعالى: ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾⁽¹⁾.

وقال أيضاً: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾⁽²⁾.

- التسجير لغة:

إن الدلالة الزمنية للفظي "المسجور وسُجِّرَتْ" مختلفتان، فالأولى تدل على استمرارية فعل النّسجير، أما الثانية فتدل على أن فعل النّسجير قد حدث في الماضي وانتهى، وهما بذلك يدلان على البحر المملوء أو البحر الذي امتلأ بالماء ففرغ عن جوانبه وفي هذا المقام نرى "ابن فارس" يقول: «السين والجيم والراء أصول ثلاثة: الملاء، المخالطة والإيقاد. فأما الملاء فمنه البحر المسجور أي المملوء، وأما المخالطة فالسّجير: الصاحب والخليط، ومنه عين سَجْرَاء إذا خالط بياضها حُمْرة، وأما الإيقاد فقولهم: سَجِّرْتَ التتور إذا أوقدته»⁽³⁾.

فأول معنى أشار إليه "ابن فارس" هو الملاء، وهذا ما ذكره "ابن منظور" في شرحه لمعنى "سجر"، حيث قال: «سجره يسجره سَجْرًا وسُجُورًا، وسَجَّرَهُ: مَلَأَهُ، وسَجَّرَتْ النهر: مَلَأَتْهُ. سَجْرٌ يسجر وانسجر امتلاً، والمسجور في كلام العرب المملوء وقد سَكَرَتْ الإناء وسَجَّرَتْه إذا مَلَأَتْهُ. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ أي أفضى بعضها إلى بعض فصارت بحراً واحداً»⁽⁴⁾.

1- الطور، الآية 6.

2- التكوير، الآية 6.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج3، ص134-135.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(سجر).

وكذلك يشترك اللفظ في داليتين متضادتين باعتبار أن « المسجور: المملوء والفارغ أما لفظ سُجِّرَتْ: إذا فرغ بعضها في بعض»⁽¹⁾. هذا بالإضافة لمعاني أخرى لا تقل أهمية عن معنى الملاء، حيث تُكر معنى الإيقاد أي: أن مياه البحر توقد بالنار كما يوقد التنور ليشتعل، وهذا ما أوردنا ذكره في قول "ابن فارس"، أما "الفيروز آبادي" فقد أشار إلى معنيي "الامتلاء والإحماء" وذلك في قوله: « سجر التنور: أحماه، وسجّر النهر: ملأه، والمسجور: الموقد وأضاف معنى آخر هو التّفجير أي تَفجير المياه وتسجير الماء: تَفجيره»⁽²⁾.

كما تُكر أن معنى « البحر المسجور أي المملوء. وقيل: يُملأ نارا، لذلك قال مجاهد: الموقد وقيل: السّجّر: تهيج النار، ومنه سجر التنور. البحار سُجِّرَتْ. قال الحسن: أضمرت نارا وقيل: غيضت مياهها، وإنما تكون كذلك لتسجير النار فيها»⁽³⁾. نلاحظ من الدلالات السابقة أن "الملاء الإيقاد والإحماء، الاختلاط، التفجير" كلها تشير إلى أن أعماق البحار والمحيطات ممتلئة بالبراكين التي تلتهب حممها لتنفجر كما تنفجر البراكين على سطح الأرض، وهذا يدل أيضا على أن لفظي " سُجِّرَتْ " و" فُجِّرَتْ " لغة واحدة أبدلت فيها السين بالفاء أو العكس للدلالة على اختلاط مياه البحار بعضها ببعض وامتلاءها حتى فرغت عن الجوانب، وقد أشارت الأبحاث العلمية الحديثة إلى ذلك مؤخرا بالدراسة والتحليل، وهذا ما سنُبينه عند الاستشهاد بأقوال علماء الجيولوجيا والبحار.

2- التسجير اصطلاحا:

أ- آراء المفسرين:

اختلفت آراء المفسرين⁽⁴⁾ كما تباينت آراء اللغويين⁽⁵⁾ حول معنى "سَجَّر" أو "سجر" حسب اختلاف القراءتين بالتشديد أو بالتخفيف، ونرى أن "الطبري" قد فصل في هذا مبيّنا اختلاف أهل التأويل في تفسير هذا المعنى من خلال استشهاده بأحاديث نبوية عديدة لذا سنركز على أهمها:

1- عبد الحليم قنيس، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، ص62.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(سجر).

3- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج2، ص174.

4- المفسرون: الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو حيان التوحيدي(تفسير البحر المحيط، ج8، ص144).

5- اللغويون: ابن فارس(مقاييس اللغة)، ابن منظور(لسان العرب)، الفيروز آبادي(القاموس المحيط) مادة (سجر).

- 1- البحار إذا اشتعلت نارا وحميت وأوقدت.
- 2- إذا امتلأت وفاضت.
- 3- إذا فجّرت فغار ماؤها وذهب فلم يبق فيها قطرة ويبست.
- 4- وأنها نار جهنم توقد في البحار يوم القيامة.

ولكن "الطبري" في الأخير يشير إلى أصح الأقوال وأقربها للصواب قائلاً أن: «معنى ذلك: مُلئت حتى فاضت، فانفجرت وسالت، والعرب تقول للنهر المملوء ماء: مسجور. ومنه قول لبيد:

فتوسّطاً عُرِضَ السَّرِيِّ وَصَدَّعَا
ومسجورة مُتجاورا لَمَّا مُهّا
ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء»⁽¹⁾.

كما نجد أن "ابن كثير" قد أضاف معان أخرى للفظي "المسجور وسُجرت"، ولكنه أسهب في ذكر تأويلات عديدة للفظ الأول قائلاً: «والبحر المسجور هو الماء الذي تحت العرش الذي ينزل الله منه المطر، الذي تحيا به الأجساد في قبورها يوم معادها، واختلف في معنى قوله المسجور فقال بعضهم: المراد أنه يوقد يوم القيامة نارا كقوله: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾⁽²⁾.

أي: أضرمت فتصير نارا تتأجج محيطية بأهل الموقف، وقال العلاء بن بدر: إنما سمي البحر مسجور لأنه لا يشرب منه ماء ولا يسقى به زرع وكذلك البحار يوم القيامة، وقال قتادة: المسجور المملوء. وقيل: المراد به الفارغ»⁽³⁾. إضافة إلى هذه المعاني ذكر "ابن عاشور" معنى آخر يتميز بالأراء العلمية فقال: «وتسجير البحار: فيضانها، والمراد تجاوز مياهها معدل سطوحها واختلاط بعضها ببعض وذلك من آثار اختلال قوة كرة الهواء التي كانت ضاغطة عليها»⁽⁴⁾. فهذا المعنى يشير إلى ظاهرة "زوال البرزخ والحاجز" الذي يفصل بين مياه النهر (العذبة) ومياه البحار والمحيطات (المالحة)، وقد أثبت العلم الحديث كل ما ذكر سابقا بالمشاهد المصورة.

1- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج24، ص 137-141.

2- التكوير، الآية6.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص306-307.

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص143.

ب- آراء العلماء:

فالمسجور في رأي "عدنان الشريف" من خلال اطلاعه على "موسوعة البحار" أنه « اسم صفة من سجر أي ملاً أو أوقد، يقال: سجر النهر أي أوقده، وهذا المعنى نجده في قوله تعالى عن حال البحار يوم القيامة حين تُسَجَّر وتُفَجَّر: ﴿وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ﴾⁽¹⁾ وقوله أيضاً: ﴿وَإِذَا

الْبَحَارُ فُجِّرَتْ﴾⁽²⁾»⁽³⁾. ويرى أصحاب التفسير العلمي⁽⁴⁾ أن البحر المسجور هو البحر المُتَدَقِّد

نارا، فقد تبين علميا عندما نزل علماء البحار والمحيطات إلى قيعانها وجدوا أن الحمم البركانية تندفع من صدوع الأرض بملايين الأطنان في درجات حرارة تتعدى الألف درجة مئوية وتلتقي النيران مع المياه في هذه القيعان بتوازن عجيب لا الماء يستطيع أن يطفئ هذه النيران ولا النيران تستطيع أن تبخر الماء.

كما نعلم أن للمياه طريقة عجيبة تجعلها تحافظ على خصائصها المتميزة التي تنتفع بها كل الكائنات الحية وتعرف "بالدورة الطبيعية للمياه" أو "دورة الحياة"، « وبفعل دورة المياه هذه تنتقل يوميا كمية من الطاقة الضرورية لحياة الأحياء تعادل الطاقة الكامنة في آلاف القنابل الهيدروجينية، لكنها طاقة نظيفة مفيدة لجميع الأحياء. ومن بين أهم الخصائص التي تتميز بها مياه البحار والمحيطات خاصية الاحتفاظ بحرارة الشمس لمدة أطول من قشرة الأرض والشمس تحمي الطبقات العليا من مياه البحار، أما الطبقات العميقة فهي تحمي بفعل الحرارة المتصاعدة من جوف الأرض ومن ملايين الأطنان من الحمم والصخور السائلة التي يقذفها في قاع محيطات باطن الأرض المُتصدع»⁽⁵⁾. وبالمقابل نرى أن العالم الجيولوجي "زغلول النجار" يشير لدالتين مختلفين للبحر المسجور وهما:

1- الطور، الآية 6.

2- الانفطار، الآية 3.

3- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص111.

4- نذكر من بينهم: زغلول النجار، الزندانى، أحمد الصوفي... الخ.

5- المرجع السابق، ص111.

أولاً: المملوء بالماء والمكفوف عن اليابسة:

فالدورة المُحكّمة للمياه حول الأرض أدت إلى خزن أغلب ماء الأرض في بحارها ومحيطاتها بحوالي (97,2%)، وإبقاء أقله على اليابسة حوالي (2,8%)، وبهذه الدورة للماء حول الأرض تملح ماء البحار والمحيطات وبقيت نسبة ضئيلة على هيئة ماء عذب على اليابسة، وبحسب العلماء أن الجليد المتجمع فوق قطبي الأرض وفي قمم الجبال المرتفعة فوق سطحها إذا انصهر سوف يؤدي إلى رفع منسوب المياه في البحار والمحيطات إلى أكثر من مائة متر فيغرق أغلب المناطق الآهلة بالسكان والممتدة حول شواطئ تلك البحار والمحيطات.

ثانياً: القائم على قاع أحمته الصَّهارة الصخرية المندفعة من داخل الأرض فجعلته شديد الحرارة:

كنا قد أشرنا سابقاً في شرح قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾⁽¹⁾ إلى دور الصدوع

المنتشرة على الغلاف الصخري للكرة الأرضية، وذلك بسبب التمزقات الهائلة الناشئة عن الضغوط المتكررة للزلازل والبراكين، فهذه الصدوع متواجدة كذلك في قاع البحار والمحيطات بشكل كبير، وهذا ما تم اكتشافه في العقود المتأخرة من القرن العشرين حين قام العالمان الروسيان "أناتول سجابفتيش"⁽²⁾ و"يوري بجدانوف"⁽³⁾ بالاشتراك مع العالم الأمريكي "رونا كلنت" بالغوص قرب أحد أهم الصدوع في العالم، وهم على متن الغواصة الحديثة "ميرا" ووصلوا إلى نقطة الهدف على بعد 1750 كم من شاطئ ميامي وغاصوا على بعد ميلين من السطح حيث وصلوا إلى الحمم المائية والتي كانت حرارتها 231 درجة مئوية وذلك في واد على حافة جرف صخري، وكانت تنفجر من تحتهم الينابيع الملتهبة حيث توجد الشروخ (الصدوع) الأرضية في قاع المحيط. وقد لاحظوا أمرين هامين هما:

- 1- المياه العلوية السطحية الباردة تندفع نحو الأسفل بعمق ميل واحد فتقترب من الحمم البركانية الملتهبة والمنصهرة فتسخن، ثم تندفع محملة بالقاذورات والمعادن الملتهبة.
- 2- البراكين في قيعان المحيطات أكثر عدداً وأعنف نشاطاً من البراكين على سطح اليابسة⁽⁴⁾.

1- الطارق، الآية 12.

2- أناتول سجابفتيش: عالم جيولوجيا روسي.

3- يوري بجدانوف: عالم أحياء وبيولوجيا روسي.

4- زغلول النجار، من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية (27) والبحر المسجور، مجلة قضايا وأراء الإثنين 9 شوال 1422 هـ 24 ديسمبر 2001 ع: 126-42021، ص 5-6-7 (بتصرف).

هذا الكلام يدل على أن للبحار والمحيطات طاقة هائلة لا يمكن تخيلها سواء أكانت هذه الطاقة غذائية ومعدنية أم حرارية، « فالبحر مملوء بالطاقة وفيه 85 عنصرا من العناصر الطبيعية وهو منجم الأرض الحقيقي، فكيلومتر مكعب من الماء يحوي مليوناً ونصف طن من معدن المانغنيز و17 كيلو غراماً من الذهب، إضافة إلى كميات كبيرة من الكلس والكبريت والكلور وكيلومتر مكعب من مياه المحيطات يكفي العالم من ملح الطعام لمدة سنتين، وتحت قاع البحار يشكل النفط والغاز الطبيعي والفحم الحجري ثروة»⁽¹⁾.

فلفظ التسجير يحمل من الدلالات اللغوية والعلمية ما لم تحمله ألفاظ أخرى، فبقدر ما نجد في قيعان البحار من حمم بركانية ملتهبة لكن مياهها لا تستطيع إطفاءها أو حتى تبريدها و« العجيب في انتقاء القرآن الكريم للمفردات أنه اختار كلمة (المسجور) دون غيرها من الكلمات نظراً لعدم وجود الأوكسجين في قاع البحار، ولهذا لا يمكن للحمم البركانية المندفعة عبر صدوع قاع المحيط أن تكون مشبعة على طول خط الصدع، ولهذا عادة ما تكون داكنة السواد شديدة الحرارة ودون اشتعال مباشر»⁽²⁾.

فبعد تسجير البحار بالنار الموقدة المتأججة التي تسببها البراكين والزلازل، يأتي دور تفجيرها بالينابيع والعيون وأحياناً تكون حارة.

1-2- تفجير البحار:

لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾⁽³⁾.

- التَّفْجِيرُ لُغَةً:

وردت عدة معانٍ للفظ " فجر " بالتشديد أو " فجر " بالتخفيف، ولكننا سنقتصر على المعنى الوارد في الآية الكريمة، حيث ذكر " ابن منظور " في معجمه أن « الفجر: تفجيرك الماء والمفجر: الموضع ينفجر منه، وانفجر الماء والدم ونحوهما من السيال وتفجر: انبعث سائلاً وفجره هو يفجره، بالضم، فَجرا فانفجر، أي بجسه فانبجس»⁽⁴⁾.

1- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص112-113.

2- نور الدين أبو لحية، محمد والمعجزات العلمية، ص137-138.

3- الانفطار، الآية3.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(فجر).

أما "الزمخشري" فيرى أن معنى « فجر الماء في أرضه: فتحه، وتبطّح السيل في مَفاجر الوادي ومَرافضه وهي المواضع التي ترفض إليها السيل»⁽¹⁾. كما ورد معنى آخر لفَجْر وهو الشَّق الذي ينبع منه الماء، وذلك في « قوله تعالى: ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾⁽²⁾ أي شققناها شقوقا واسعة تنبع منها المياه، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴾⁽³⁾. ويقال: فَجَّرَتِ الشَّيْءَ مُخَفِّفًا وَمُنْقَلًا وبهما فُرى قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴾⁽⁴⁾ وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴾ فُرى مُخَفِّفًا وَمُنْقَلًا. وقيل: فُجِّرَ بعضها إلى بعض حتى تذهب مياهها، وقيل: تَفَجَّرَ العذب في الملح فتختلطان وذلك خراب الدنيا وهلاك ما عليها من حيوان ونبات وشجر لعدم قوامهم»⁽⁵⁾.

فهذه الدلالات المختلفة لم نجدتها في المعاجم السابقة، في حين نرى أن معظمها تتفق على معنى واحد ألا وهو "سال" أو "سائل"، وهذا ما أشار إليه "الفيروزآبادي" في قوله: « وانفجر الماء وتَفَجَّرَ: سال، وفَجَّرَهُ هو وفَجَّرَهُ»⁽⁶⁾. وبهذا نلاحظ أن المعاني المتفق عليها بين اللغويين حول لفظ "فُجِّرَتْ" هي كالآتي:

- سيلان البحار فانبعثت مياهها تسيل في كل مكان.

- انفجار مياه البحار في بعضها بعضا حتى ذهبت واختفت.

- اختلاط المياه العذبة بالمالحة والذي يؤدي إلى كارثة طبيعية، وهنا سنكتشف دور البرزخ الذي خلقه الله تعالى ليفصل بين المياه العذبة والمالحة، وهذا أثناء دراستنا الدلالية للفظي "مَرَج البحرين" و "البرزخ" الذي بينهما .

1- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، ص8.

2- القمر، الآية12.

3- الإسراء، الآية 91.

4- الإسراء، الآية 90.

5- أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، ج3، ص203-204.

6- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، باب الرء، فصل الفاء، ص486.

- التفجير اصطلاحاً:

أ- آراء المفسرين:

آراء المفسرين واللغويين متشابهة من حيث إبراز المعاني المختلفة للفظ "فُجِّرَتْ" مثلما بينها سابقاً، ولكننا وجدنا شبه اتفاق بين المفسرين على المعنى الأخير وهو تفجير المياه المالحة والعذبة واختلاطها مع بعضها بعض بسبب اختفاء البرزخ الذي كان يفصل بينهما وقد وردت هذه المعاني على النحو التالي:

ذكر "الطبري" آراء متباينة لأهل التأويل سنذكرها بإيجاز حيث يقول: «فَجَّرَ اللهُ بعضُها في بعض، فملاً جميعها أو فُجِّرَ عذبتها في مالحةا ومالحةا في عذبتها، فُجِّرَ بعضُها في بعض فذهب ماؤها. وقال الكلبي: «مُلَّتْ»⁽¹⁾. أما "الأندلسي" فيبين سبب تفجير البحار واختلاط مياهها المالحة بالعذبة قائلاً: «وتفجيرها من امتلائها ففُجِّرَ من أعلاها وتفيض على ما يليها، أو من أسفلها فيذهب الله ماءها حيث أراد، وعن مجاهد (فُجِّرَتْ) مبنياً للفاعل مخففاً بمعنى بغت لزوال البرزخ نظراً إلى قوله تعالى: ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾ لأن البغي والفجور متقابلان»⁽²⁾.

في حين نرى "الزمخشري" يوضح لنا أن البحار بعد اختلاطها ستصير بحراً واحداً وذلك بعد اختفاء العازل (البرزخ) الذي منع امتزاج مياه البحر المالح والعذب، وهذا من خلال قوله: «فُجِّرَتْ فَتَحَ بعضُها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحراً واحداً»⁽³⁾. ولكن هذا الحدث من الناحية العلمية يُعد كارثة طبيعية تؤدي إلى هلاك الكائنات الحية، والتي لا يمكنها التعايش مع خصائص ومكونات جديدة تتنافى والمحيط الذي ألفته من قبل. أما "ابن عاشور" فيضيف على تفسيره صبغة علمية دقيقة حيث يقول: «وتفجير البحار انطلاق مائها من مستواه وفيضانه على ما حولها من الأرض كما يتفجر ماء العين حين حفرها لفساد كرة الهواء التي هي ضاغطة على الأرض فيهلك ما عليها ويختل سطحها»⁽⁴⁾. ويضيف قائلاً: «وإذا حدث ذلك اختلط ماؤها برملها فتغير لونه»⁽⁵⁾.

1- الطبري، جامع البيان في تأويل آي القرآن، ج24، ص174-175. (وينظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج4، ص619).

2- أبو حيان الأندلسي، تفسير البحر المحيط، ج8، ص427.

3- الزمخشري، الكشاف، ج6، ص329.

4- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج30، ص171-172.

5- المرجع نفسه، ج30، ص143.

وضَّح "ابن عاشور" سابقا بعض الإشارات العلمية للفظ تفجير البحار، وهذا ما يسهل علينا الانتقال لاستقصاء أهم آراء العلماء لهذه الظاهرة.

ب- آراء العلماء:

لقد وجدنا أن كل حالة أو حادثة تقع في الأرض أو البحار أو حتى الجبال لها علاقة مباشرة بحادثة وقعت قبلها أو ستقع بعدها، فمثلا: تسجير البحار لا يحدث إلا بعد تصدع الأرض في قاع البحار والمحيطات، مما يُسهّل عملية قذف الحمم المستعرة من البراكين ولولا هذه الصُدوع لانفجرت الكرة الأرضية كأنفجار القنابل الهيدروجينية والذرية، وقد ذكرنا هذا سابقا بالتفصيل، وكذلك تفجير البحار لا يقع إلا بعد زوال البرزخ أو الحاجز الذي يفصل المياه العذبة عن المالحة، فتختلط هذه المياه لتشكل بحرا واحدا.

ولكننا لم نجد إشارة علمية واضحة لعملية "تفجير البحار" في أغلب الكتب والمراجع التي عدنا إليها لإيجاد تفسير علمي لهذه الظاهرة المُعجزة، لذا سنشير إليها أثناء الدراسة الدلالية للفظي "البرزخ" و"الحجر المحجور".

إن علاقة التسجير بالتفجير واضحة، حيث لا يمكن للبحار أن تنفجر إذا لم تكن متقدة نارا وقد بينا سابقا معنى التسجير، الذي يدل على أن البحار حقيقة تنفجر نارا بسبب الحمم البركانية الهائلة المتجمعة في أعماقها، ولهذا السبب تنفجر البحار للتقليل من شدة الضغط كما يدل انتشار الينابيع الحارة في المناطق التي تتمركز فيها البراكين بكثرة على صحة هذه النظرية العلمية التي أثبتتها القرآن الكريم منذ قرون خلت.

إذن، لولا عملية تسجير البحار لما حدثت ظاهرة تفجير البحار والينابيع الحارة، فهما ظاهرتان متكاملتان ومتلازمتين.

1-3- مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ، الْبَرِّخَ وَالْحِجْرَ الْمَحْجُورَ الَّذِي بَيْنَهُمَا:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا

بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿ (1).

1- الفرقان، الآية 53.

وقوله أيضا: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٦﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبُّكُمْمَا

تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ تَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٩﴾. (1)

قال عز وجل: ﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ

بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾. (2)

- المَرَج لغة:

للمَرَج عدة معان من أبرزها " الأرض الواسعة الخضراء"، "الخلط و الامتزاج"، واتفق اللغويون على دلالة الخلط الذي يوحي باضطراب الشيء ذهابا وإيابا، وقد ذكر "ابن فارس" « أن الميم والراء والجيم أصل صحيح يدل على مجيء وذهاب واضطراب ومَرَج الخاتم في الإصبع: قَلِقَ، والمَرَج أصله أرض ذات نبات تَمَرَج فيها الدواب وقوله تعالى: ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ

يَلْتَقِيَانِ ﴾ كأنه جَلَّ ثناؤه أرسلهما فمَرَجَا وقال: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ ﴾. (3)

وإضافة للمعان السابقة يرى "ابن منظور" أن « المَرَج: الفضاء وقيل: المَرَج أرض ذات كلالٍ ترعى فيها الدواب، والجمع مُرُوج، والمَرَج بالتحريك: مصدر قولك مَرَج الخاتم في إصبعي وفي المُحَكَم في يدي مرجا أي قَلِقَ ومَرَج، والمَرَج الخلط. ومرج الله البحرين العذب والملح: خلطها حتى التقيا، وقال الزجاج: مرج خلط يعني البحر الملح والبحر العذب ومعنى لا يبغيان أي: لا يبغى الملح على العذب فيختلط» (4).

1- الرحمن، الآية 19-22.

2- النمل، الآية 61.

3- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج5، ص315-316.

4- ابن منظور، لسان العرب، مادة(مرج).

كما نرى "الفيروزآبادي" في معجمه "القاموس المحيط" يبين أن « المَرَج: الموضع ترعى فيه الدواب وإرسالها للرعي والخلط، وأمرجهما: خلاهما لا يلتبس أحدهما بالآخر. والمَرَج مُحرَكة: الإبل ترعى بلا راع، للواحد والجميع، والفساد، والقلق والاختلاط، والاضطراب وإنما يُسكن مع الهَرَج مَرَج كَفَرَح. وأمر مَرِيح: مُختلط»⁽¹⁾.

أما "الزمخشري" فيرى أن لفظ « مَرَج: من أمرج الدواب ومَرَجها: أرسلها في المَرَج والمُروج، ومن المجاز: مَرَج الله البحرين. ومَرَج فلان لسانه في أعراض الناس وأمرجه وفلان سراج مَرَّاج: كَتَّاب»⁽²⁾.

لقد بينا سابقا المعاني المختلفة للفظ "مَرَج" بالفتح و"مَرَج" بالتسكين من الجانب اللغوي فتبين لنا أنها تدل على معان عديدة ولكنها تتفق في معنى واحد ألا وهو "الخلط" ونذكر من بينها:

(أ) - مَرَج:

- قلق (إذا اضطرب الخاتم في أصابع اليد).
- اختلط (خلط البحرين العذب والمالح حتى التقيا).
- الإرسال (إرسال البحرين دون التباس أحدهما عن الآخر).
- رعي الإبل دون راعي.

(ب) - مَرَج:

- الأرض الواسعة الكثيرة العشب.
- الخلط و المٌختلط.

1- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(مرج).

2- الزمخشري، أساس البلاغة، ج2، باب الميم، ص202.

- البرزخ لغة:

يأتي معنى البرزخ مرادفاً لمعنى الحجر والحاجز عند ذكر البحار (خاصة البحرين) وهذا يدل على أنها معاني مترادفة في المعنى العام، حيث جاءت متتالية في سورة الفرقان من الآية الثالثة والخمسين بهدف التأكيد والإثبات على أن البحرين يفصل بينهما حاجز غير مرئي وهذه حقيقة علمية مُعجزة أثبتها العلم حديثاً، أما من الناحية اللغوية فقد أبرز اللغويون أن معاني الألفاظ السابقة متقاربة الدلالة، حيث ذكر "ابن فارس" أن البرزخ معناه الحائل أي: «ومما فيه حرف زائد (البرزخ) الحائل بين الشيئين، كأن بينهما برزاً* أي متسعاً من الأرض، ثم صار كل حائل برزخاً، فالخاء زائدة»⁽¹⁾. فكل ما برز (ظهر) من الأرض أصبح برزخاً (عازلاً) بين البحرين المالح والعذب، وسنكتشف لاحقاً أن هذا البرزخ يتكون أساساً من الترسبات الناتجة عن ظواهر طبيعية مختلفة.

أما في "لسان العرب" فيقصد بالبرزخ العازل الذي «ما بين كل شيئين ويعني حاجزاً من قدرة الله سبحانه وتعالى. أي حاجز خفي، والبرزخ والحاجز والمُهلة متقاربات في المعنى وذلك أنك تقول بينهما حاجز أن يتزاورا فتتوي بالحاجز المسافة البعيدة وتتوي الأمر المانع مثل اليمين والعداوة، فصار المانع في المسافة كالمانع من الحوادث، فوقع عليها البرزخ»⁽²⁾. ونرى "الفيروزآبادي" يشير للمعنى نفسه أي: أن البرزخ «الحاجز بين الشيئين، ومن وقت الموت إلى القيامة، ومن مات دخله. وبرزخ الإيمان: ما بين أوله وآخره، أو ما بين الشك واليقين»⁽³⁾. فالمعاني المستنتجة للفظ "البرزخ" هي:

"العازل والحائل والمانع" التي تدل على وجود مسافة فاصلة بين البحرين الملح الأجاج والعذب الفرات، فهذا الفاصل خفي لا يمكن رؤيته، ويشبه في ذلك العازل الغير مرئي الذي يفصل الحق والباطل، الشك واليقين... الخ.

- الحجر لغة:

ذكر "ابن فارس" في هذا المقام «أن الحاء والجيم والراء أصل واحد مطرد، وهو المنع والإحاطة على الشيء والحجر: الحرام»⁽⁴⁾.

*- برز: البراز بالفتح، المكان والفضاء من الأرض البعيد الواسع (ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة(برز)).

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج1، ص333.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة (برزخ).

3- الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة(برزخ).

4- ابن فارس، مقاييس اللغة، ج2، ص138-139.

أما " ابن منظور " فقد ذكر عدة ألفاظ مترادفة من حيث المعنى لاشتقاقها من أصل واحد وهو (حجر) فقال: « وَالْحَجَرُ وَالْحَجْرُ وَالْمَحْجَرُ، كل ذلك: الحرام، والكسر أفصح، وقُرئ بهين: وَحَرِثَ حَجْرًا، وفي التنزيل: ﴿ وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴾⁽¹⁾ أي: حراما مُحْرَمًا. وأصل الحُجْر في اللغة

ما حَجَرْت عليه، أي منعته من أن يُوصل إليه. الحَجْر المنع، حَجْر عليه يَحْجُر حَجْرًا وَحُجْرًا وَحَجْرًا وَحُجْرَانًا وَحَجْرَانًا: مَنَع منه. الحَاجِر والحَاجِر ما يُمسك الماء من شفة الوادي، وهو قَاعُول من الحَجْر، وهو المنع»⁽²⁾. ويشير " الفيروز آبادي " للمعنى نفسه أي: المَنَع⁽³⁾. وبهذا نرى أن المعاني الأكثر ورودا في المعاجم اللغوية للفظ " الحجر " تتمثل في:

- المَنَع أي: منع امتزاج المياه العذبة والمالحة بعد التقائهما واختلاطهما.

- الحَرَام أي: تحريم أن يُفسد البحر المالح العذب أو يُغيّر طعمه والعكس صحيح.

- الحاجز: الذي يمنع مرور الأشياء فيقف حاجزا وحاجرا لها.

فالبرزخ يقف حاجزا وحاجرا التقاء مياه البحرين فيمنع امتزاجهما، وهذا ما سيتضح لنا لاحقا من خلال إبراز آراء المفسرين والعلماء حول هذه المعجزة القرآنية.

- المَرَج والبرزخ والحجر اصطلاحا:

(أ)- آراء المفسرين:

ذكر المفسرون عدة معانٍ للآيات السابقة، فقد بيّن " الطبري " أن « أصل المَرَج الخَلْط، ثم يقال للتخلية: مَرَج. لأن الرجل إذا خَلَّى الشيء حتى اختلط بغيره، فكأنه قد مرجه ومنه الخبر عن النبي(صلى الله عليه وسلم) وقوله لعبد الله بن عمرو: ((كيف بك يا عبد الله إذا كنت في حثالة من الناس، قد مَرَجت عهودهم وأماناتهم وصاروا هكذا)) وشبك بين أصابعه يعني بقوله: " قد مَرَجت " اختلطت»⁽⁴⁾.

كما ذكر " الطبري " معانٍ أخرى " لَمَرَج البحرين " وسنذكرها في النقاط التالية:

- بمعنى خلع أحدهما على الآخر أي: اختلطا معا حتى أصبحا بحرا واحدا لكل منهما طعمه الخاص.

1- الفرقان، الآية 53.

2- ابن منظور، لسان العرب، مادة(حجر).

3- ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، مادة(حجر).

4- الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، ج17، ص471.

- وبمعنى أفاض أحدهما على الآخر أي: اختلطا دون امتزاج⁽¹⁾.

كما يعني أرسل وخلّى ومن قولهم: مَرَجَ فلان دابته إذا خلّاها وتركها⁽²⁾.

أما "ابن كثير" فنراه يُبين قدرة الله تعالى من خلال تفسير سبب جعل الحاجز بين البحرين والحكمة من ذلك في قوله: « جعل بين المياه العذبة والمالحة حاجزا، أي: مانعاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا، فإن الحكمة الإلهية تقتضي بقضاء كل منهما على صفته المقصود منه، فإن البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالا يُسقى الحيوان والنبات والثمار منها. والبحار المالحة هي المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب، والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاجاً لئلا يفسد الهواء بريحتها»⁽³⁾.

كما يَعد "الزمخشري" معاني الآيات السابقة من باب المجاز والاستعارة، ويفسر بالتالي معاني (المَرَج، البَرزخ، حَاجز، حَجرا مَحجورا) بقوله: « سمي الماعين الكثيرين الواسعين: بحرين، الفرات: البلّغ العذوبة حتى يضرب إلى الحلاوة الأُجَاج: نقيضه ومرجها: خلاهما متجاورين متلاصقين، وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج. ومعنى "برزخا": حائلا من قدرته "حجرا محجورا" هي الكلمة التي يقولها المُتعوذ وهي هنا واقعة على سبيل المجاز كأن كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول له: حجرا محجورا»⁽⁴⁾.

أما "ابن عاشور" فيضيف إلى التفاسير السابقة بعدا علميا، مستندا في ذلك على أدق البراهين والدلائل العلمية الحديثة، حيث مثّل للحاجز الذي يفصل الماء المالح عن الماء العذب فلا يُكدره بالحاجز الذي يفصل المسلمين والمشركين - الجبهة- فلا يستطيع المشركون أن يدسّوا كفرهم بين المسلمين، ثم قدم بعد ذلك تفسيراً لغويا للألفاظ التالية: " المزج، البحر العذب الفرات البرزخ والحجر"، وما لفت انتباهنا تفسيره للفظ البرزخ والذي بيّن فيه كيف أن الماء العذب والمالح لا يمتزجان أبدا فقال: « البرزخ: الحائل بين شيئين، والمراد بالبرزخ تشبيه ما في تركيب الماء الملح مما يدفع تخلل الماء العذب فيه بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ويبقى كلاهما حافظا لطعمه عند المصب»⁽⁵⁾.

1- الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج17، ص472 (بتصرف).

2- المرجع نفسه، ج22، ص199.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص492.

4- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص363.

5- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج19، ص54.

وفي مقام آخر ذكر "ابن عاشور" أن المراد بالبرزخ أيضا هو: « الفاصل بين الماءين الحلو والملح، بحيث لا يغير أحد البحرين طعم الآخر بجواره. وذلك بما في كل ماء من خصائص تدفع اختلاط الآخر»⁽¹⁾. وكذلك « هو حاجز معنوي حاصل من دفع كلا الماءين أحدهما الآخر عن الاختلاط به، بسبب تفاوت الثقل النسبي لاختلاف الأجزاء المركب منها الماء والملح والماء العذب، وهذا الجعل كناية عن خلق البحرين أيضا لأنّ الحجز بينهما يقتضي خلقهما وخلق الملوحة والعذوبة فيهما»⁽²⁾.

أما معنى لا يبغيان « أي لا يبغي أحدهما على الآخر، أي لا يغلب عليه فيفسد طعمه فاستعير لهذه الغلبة لفظ البغي الذي حقيقته الاعتداء والتظلم. والبرزخ الذي بين هذين البحرين* هو مضيق باب المندب حيث يقع مرسى عدن ومرسى زيلع»⁽³⁾.

ب)- آراء العلماء:

للعلماء منطلق واحد في أبحاثهم ودراساتهم ويتمثل في: الحقائق العلمية الحديثة والثابتة التي لا شك فيها، هذا وبالإضافة إلى تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حيث لا يمكن أن يحدث تعارض بين ما ورد في القرآن العظيم وما جاء به العلم الحديث، أما فيما يخص الآيات التي نحن بصدد دراستها، فقد ذكرنا سابقا أن المعجم اللغوية شرحت لفظ " المرج " بالمعاني التالية: " مدّ، أرسل و خلط " أو الثلاثة معان مجتمعة، وتجدر الملاحظة العلمية هنا أن اختلاط سائل بأخر هو شيء مختلف عن امتزاجهما، فالماء مع الزيت يختلطان ولا يمتزجان بمعنى أن الماء والزيت يحتفظان بخصائصهما التكوينية، أما الماء مع الكحول فيمتزجان ويشكلان سائلا جديدا مختلفا في خصائصه عن الماء وعن الكحول، وعلى ضوء الشرح اللغوي لمعاني المفردات يظهر الإعجاز العلمي في الآية الكريمة، فالمولى عزّ وجلّ مدّ البحار و خلطها وجعل بينها حاجزا ومكانا محفوظا بحيث لا تبغي محتويات كل بحر وخصائصه على الآخر عندما يلتقيان، ولم تُعرف حقيقة توسّع البحار واختلاطها مع بعضها بعضا إلا في القرنين التاسع عشر والعشرين مع اكتشاف ظاهرة تصدّع الأرض والقوانين الفيزيائية والكيميائية التي تحكم اختلاط السوائل وامتزاجها.

1- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص248-249.

2- المرجع نفسه، ج20، ص13.

*- البحران هما: البحر الأحمر الذي عليه شطوط تهامة مثل: جُدّة ويُنْبَع النخل، وبحر عُمان وهو بحر العرب الذي عليه حَضْر موت وَعَدْن من بلاد اليمن.

3- المرجع السابق، ج27، ص249.

ونلاحظ مما تكرر سابقا أن معنى تصدّع الأرض بفعل الزلازل والبراكين له علاقة مباشرة بمعنى اختلاط البحار عند التقائها، فكل الظواهر العلمية تتشابه فيما بينها لتشكل علاقة تأثير وتأثر، « فقد كشف علم المحيطات في أواخر العقد الخامس من القرن العشرين أن قيعان البحار والمحيطات هي مسرح زلازل وثورات بركانية وتصدعات كان من نتيجتها ولا يزال توسّع البحار وتمدّدتها: فالمحيط الأطلسي الشمالي قد بدأ بالتكون منذ حوالي 180 مليون سنة تقريبا ونتيجة لذلك انفصلت قارة أوروبا عن أمريكا الشمالية، وحتى اليوم يتوسّع المحيط الأطلسي سنويا بمعدل خمسة وعشرين مليمترا، وكذلك الأمر بالنسبة للبحر الأحمر»⁽¹⁾.

أما فيما يخص ظاهرة التقاء البحرين المتجاورين « فإنهما يختلطان اختلاطا بطيئا وذلك بوجود البرزخ الذي بينهما حيث يجعل القدر من المياه الذي يعبر من بحر إلى بحر آخر يكتسب خصائص البحر الذي ينتقل إليه، فيقوم البرزخ بعملية التقليل للمياه العابرة من بحر إلى بحر ليبقى كل منهما محافظا على خصائصهما»⁽²⁾. وفي هذه الحالة البحران لا يشكلان بحرا واحدا لأنهما لم يمتزجا بل اختلطا، والأمثلة على ذلك عديدة نذكر منها:

- « ففي باكستان الشرقية نهران يسيران جنبا إلى جنب من مدينة "تشاتنغام" إلى "أركان" في "بورما".

- والشيء نفسه يحدث عند ملتقى نهري "الكنج" و"الجامونا" في مدينة "الله أباد" في الهند.

- أما في إيران فنجد أنهارا تُقفل مياهها عائدة إلى مجاريها التي أتت منها عندما تلتقي بمياه البحر.

- ونهر الأمازون يجعل مياه المحيط الأطلسي عذبة لمسافة مئات الكيلومترات من مصبه فيه»⁽³⁾.

فمن الناحية العلمية يعد السبب الرئيس الذي يمنع امتزاج البحرين هو البرزخ أو الحاجز الذي بينهما، ويسميه علماء البحار "الجبهة" تشبيها له بالجبهة التي تفصل بين الجيشين أثناء المعارك، ولكن وجد العلماء تفسيرات علمية أخرى تبين كيف أن مياه البحرين لا تمتزجان بل تسيران جنبا إلى جنب عند المصب، حيث « أن مياه البحر الأثقل أي: الأملاح تسير في الأسفل أما مياه البحر الأخف أي: الأقل ملوحة تجري في الأعلى، والأمثلة على ذلك كثيرة من بينها:

1- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص107.

2- نور الدين أبو لحية، محمد والمعجزات العلمية في القرآن والحديث، ص211.

3- المرجع السابق، ص107-108 (بتصرف).

- مياه المحيط الأطلسي عندما تلتقي بمياه البحر الأبيض المتوسط التي هي أثقل منها تبقى هذه الأخيرة في الطبقات السفلى وتندفع غربا نحو المحيط الأطلسي.

- وكذلك لا تختلط مياه البحر الأسود عندما تلتقي بمياه البحر الأبيض المتوسط في مضيق البوسفور بل تشكلان مجريين متلاصقين فوق بعضهما بعض، فمياه البحر الأسود الأقل ثقلاً تجري في الأعلى نحو البحر الأبيض المتوسط، ومياه هذا الأخير هي الأثقل لأنها الأملح فتجري في الأسفل متجهة نحو البحر الأسود»⁽¹⁾.

كما أن النظام الصوتي للنتابع "حرف الجيم" الوارد في سورة "الفرقان" أضفى عليها نغما موسيقيا وأثرا بلاغيا مُعْجِزاً، والملاحظ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ

فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾⁽²⁾ براعة استخدام صوت الجيم

(الانفجاري – الاحتكاكي) ست مرات باعتباره « صوت مجهور يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء يكاد ينحبس معه مجرى الهواء، فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئاً، ولهذا يمكن أن تسمى الجيم العربية الفصيحة صوتاً قليل الشدة»⁽³⁾، وإذا ما قارنا صورة حدوث التقاء البوين الملح الأُجَاج والعذب الفرات ثم انفصالهما من جديد دون امتزاجهما بصورة وصفة حدوث صوت الجيم عند التقاء الوترين الصوتيين ثم انفصالهما ببطء، وجدنا تلك العلاقة المترابطة بين الصورتين، فاجتماع صفات الجهر والانفجار والاحتكاك بغية تمثيل صورة مركبة من جزئين بينهما عازل تُعد قمة البلاغة القرآنية والدقة العلمية .

1- عدنان الشريف، من علوم الأرض القرآنية، ص108.

2- الفرقان، الآية 53.

3- إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، ص77-78.

وقد كان « حرف الجيم بجهره مُجسدا لبداية الصورة في فعل "مرج" الذي يوحي بمعنى الخلط والمُمازجة بين البحرين، ولعل صفات حدوث صوت الجيم تُعد كلها دعائم النغم الإيقاعي المُؤلِّد لهذه الصورة الفنية، كما نلمح تواتره الثنائي في لفظ "أجاج" مناسبة فريد من نوعها لإظهار شدة ملوحة البحر المنافية تماما لشدة عذوبة البحر، وهذا ما جعل صوت الجيم مختفيا في الصورة الأخيرة لأن عذوبة الماء الفرات يستغني عن صفة الجهر، ثم انفرد اللفظان "حجرا، مَحجورا" بدلالة أخرى أكثر إيحاء لتبين لنا أن البرزخ (العازل) يُحرِّم على كائنات كلا البحرين المرور، وكذلك يمنع خصائصهما ومكوناتهما من الامتزاج، فهذه الصور المُجسَّدة في تكرار صوت الجيم يقتضي بالضرورة صفاته المُميزة المتمثلة في: "الجهر والانفجار والاحتكاك"»⁽¹⁾.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه: كيف تتكون الحواجز البحرية (البرزخ)؟ وما هي مكوناتها؟

ويجيب عن هذا التساؤلات "زغلول النجار" في قوله: « أن الترسبات الناتجة عن عمليات التعرية والتَّجوية والتَّحات* المنتقلة من اليابسة إلى أحواض البحار والمحيطات عن طريق عمليتي المدّ والجزر تترسب وتتجمع فوق كل من الرصيف القاري وقيعان المحيطات العميقة وقيعان البحيرات، وهذه الترسبات تتجمع في منطقة مصب النهر مما يرفع منسوب قاع منطقة المصب ويجعل سمك الماء فيها قليلا خاصة في المنطقة بعد المصب مباشرة مما يؤدي إلى جعلها أعلى من منسوب قاع مجرى النهر، ويؤدي بناء البرزخ الرسوبي إلى تفرع مجرى النهر إلى فرعين أو أكثر كل واحد منهما على جانبي البرزخ نظرا لتباطؤ تدفق الماء نتيجة لضحالة المجرى وشدة احتكاك الماء بقاعه في أثناء جريانه، وقد يؤدي ذلك إلى زيادة نمو البرزخ على هيئة حاجز وسطي كبير أو تكرار ترسب أعداد من تلك البرازخ»⁽²⁾.

1- عزيز عدمان، سورة الفرقان (دراسة أسلوبية)، رسالة ماجستير، إشراف: د الأخضر جمعي، 1994\1995، ص67.

*- شرحناها أثناء الدراسة الدلالية للفظ الأرض في الفصل الثاني.

2- زغلول النجار، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مجلة قضايا وآراء، الإثنين 29 ربيع الأول 1423 هـ، 10 يونيو 2002 ع: 126-42189 (بتصرف).

أما الحجر فيعني أن الكائنات الحية في منطقة اللقاء بين البحر والنهر تعيش في حجر ضيق ممنوعة أن تخرج من هذا الحجر، أي: أنها أيضا منطقة ممنوعة على كائنات أخرى من أن تدخل إليها فهي: حجر وحبس ومحجر. « ويعمل هذا الحزام من الماء القليل الملوحة على مزيد من الفصل بين المائين العذب والملح، ولكل بيئة من هذه البيئات الثلاث(الماء العذب، الماء قليل الملوحة والماء الملح) أنواع خاصة من أنواع الأحياء المائية الموجودة بحدود بيئتها، وبذلك تكون أنواع الحياة في الماء القليل الملوحة مقصورة على تلك البيئة ومحجورة فيها»⁽¹⁾.

وكما ذكرنا سابقا أن العلماء شبهوا البرزخ الذي يعزل المياه المالحة عن العذبة بالجبهة التي تفصل وتعزل الجيوش المتقاتلة عن بعضها، والجبهة مثلما نعلم عبارة عن مساحة أرضية واسعة فاصلة، ولكنها غير محددة ولا يمكن تجسيدها أو حتى تصويرها على أرض الواقع مثلها مثل البرزخ "الحاجز" الذي يعزل خصائص وكائنات كلا البحرين على الامتزاج ومعنى الآيات عامة أن الله عزّ وجلّ جعل بين البحر والنهر برزخا مائيا وهو حاجز مائي كيميائي يحيط بماء المصب، فيسمح للمياه بالمرور من بحر إلى آخر لكنه يمنع الخصائص والميزات الموجودة في البحر بأن تغطي على ميزات البحر الآخر، كما جعل الماء بين النهر والبحر حبسا على كائناته الحية ممنوعا عن الكائنات الحية الخاصة بالبحر والنهر، وهذا يبين لنا مدى أهمية الحاجز والعازل(البرزخ) الذي يقف سدا منيعا بين امتزاج البحر المالح والعذب، فزواله يؤدي إلى كوارث طبيعية وفساد عظيم بيننا معناه سابقا.

إن الدراسة الدلالية لكل الألفاظ السابقة والمتعلقة بوصف الأرض والجبال والبحار تدل كلها على ظواهر علمية، تبيّن كيفية خلقها وتكوين أهم التضاريس الطبيعية عليها، فمثلا: ظاهرة امتزاج المياه المالحة بالعذبة لا يتأتى إلا عند زوال البرزخ الذي يمنع ذلك، وهذا الأخير لا يختفي إلا إذا تفجرت البحار وتسجرت بالحمم البركانية التي تتمركز في أعماقها كما إنه لا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا تصدّعت الأرض بسبب الزلازل والبراكين، فإذا كانت الظواهر الطبيعية متصلة فيما بينها وكأنها تشكل سلسلة أحداث متعاقبة، فإن معاني ألفاظها تمثل نسقا منسجما من الدلالات اللغوية والعلمية المعجزة.

1- زغلول النجار، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، من أسرار القرآن (الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية) (51).

الخاتمة

إن تطبيق الدرس الدلالي على نماذج من ألفاظ القرآن الكريم عموماً وألفاظ الأرض خصوصاً جعلنا نكتشف ليونة تفاعلها العجيب مع مختلف المستويات اللغوية، وذلك ضمن سياقات متعددة، كما أفادتنا هذه الدراسة في اكتشاف بعض أسرار اختيار الخطاب القرآني لمفردة دون أخرى ضمن تراكيب متشابهة، حيث لاحظنا أنه لكل لفظ طاقات دلالية كامنة تجعله ينسجم ويتناسق مع سياق قرآني دون آخر مما يُكون لنا بنية لغوية متكاملة لا يمكن أن يؤديها لفظ غيره.

فالألفاظ القرآنية تتميز بدلالة عامة تجعلنا ندرك تلك الصفة المترابطة والمشاركة بينها والمتكاملة، ولكننا لاحظنا أن لكل لفظ دلالة خاصة تُميّزه عن غيره حتى وإن ورد لفظان مختلفان في السياق نفسه كلفظي: "دحاها" و"طحاها" فكلاهما يدلان على معني "البسط" و"المد"، ولكن "الدحو" يشير إلى معنى خاص يتمثل في إبراز الدلالة العلمية لكروية الأرض عند تشبيهها بشكل "الدُّحية" وهي بيضة النعامة، أما "الطحو" فيشير إلى دلالة مختلفة تتمثل في "العلو والارتفاع" لقول العرب: « لا والقمر الطاحي».

هذه الإشارات والومضات اللغوية وغيرها كثير، دفعنا لاستنتاج أهم النتائج والاقتراحات التي توصلنا إليها من خلال بحثنا معتمدين في ذلك إشكاليات طرحت في المقدمة بهدف الإجابة عنها، والتي تمثلت في:

أ- الاقتراحات:

- 1- مراعاة المعنى الدلالي للفظ القرآني باستعراضه في موضوعه المحدد وفي القرآن العظيم كله.
- 2- الإبتعاد عن الاحتمالات والنظريات التي تخضع للتغيير حتى لا يترتب عن هذا التفسير العلمي نتائج خاطئة، أما النظريات الراجحة فلا بأس باستخدامها والاستئناس بها لإلقاء الأضواء العلمية على الآية الكريمة وتقريب فهم الناس لها.

3- إستحالة التصادم بين الحقائق القرآنية والعلمية فإذا حصل تعارض بينهما وجب ترجيح الحقيقة القرآنية لأنها وحي رباني لقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۗ ﴾⁽¹⁾.

4- ولا بد من مراعاة سياق الآية في التفسير والإسترشاد من دلالاته وأسباب نزوله.

ب- النتائج:

سنركز هنا على أهم النتائج التي توصلنا إليها في نهاية بحثنا، حيث تمثلت في أن:

1- آيات الموضوع الواحد بعضها مكمل للآخر وموضحا له، ولهذا لا بد من جمع كل الآيات الوارد فيها هذا الموضوع حتى نستطيع التوصل إلى الحقيقة الثابتة خصوصا إذا ما تعلق الأمر مثلا: بوصف "خلق الأرض" لتوضيح شكلها الحقيقي والمبين في بعض الألفاظ القرآنية مثل: "دحاها، طحاها، بسطها، مدها، فرشها... الخ، والتي أجمع اللغويون والمفسرين وكذا علماء الجيولوجيا على دلالاتها المتمثلة في:

- توضيح هيئة وشكل الأرض الكروي المسطح أو البيضوي.
- تحديد علاقة الانبساط والتسطح بالشكل الكروي للأرض، فهي متلازمة، حيث لا يمكن تصور الشكل المسطح إلا إذا كان يتميز بالكروية.
- إشارتها على معنى التوسع والامتداد في الشيء كالفراش المنبسط المهيا للنوم عليه.
- كما أن ظاهرة "تصدع الأرض" بسبب قوة الزلازل والبراكين جعل سطحها يتميز بتضاريس متنوعة كظهور جبال وجزر بأكملها، وتهدم أخرى وزوالها عن سطح الأرض والبحار.
- فكل لفظ قرآني يسهم بمعناه على إظهار جزء يوضح لنا مظاهر الكون كما يكمل معاني الألفاظ الأخرى.

2- وهناك بعض معاني الألفاظ القرآنية ذكرها أصحاب المعاجم واستبعدتها التفسير القديمة، بسبب عدم معرفتهم بالحقيقة العلمية للآية وقد استعان أصحاب التفسير العلمي "كابن عاشور" في تفسيره "التحرير والتنوير" بهذا الجانب وأبرزوا حقائقه الإعجازية العلمية، ومن بين هذه الألفاظ ما تعلق بظاهرتي "تصدع الأرض" و"البرزخ" الذي يفصل بين البحرين المالح والعذب، وهذا على سبيل المثال لا الحصر.

3- كثيرة هي الآيات التي تشير إلى حقائق علمية ولا تصرح بها لكي لا يصدّم الناس بهذه الحقيقة، والتي لم تكن معلومة لديهم وقت نزول القرآن فعلى سبيل المثال:

إشارة الله تعالى لشكل الأرض الكروي رغم رؤية الناس لها مسطحة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾⁽¹⁾، ولكنه عزّ وجلّ خاطب عقولهم بما يوافق تصورهم، وذلك في قوله: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾⁽²⁾ وقوله أيضا:

﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَّهَا﴾⁽³⁾ كما قال تعالى: ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾⁽⁴⁾ وقال أيضا: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾⁽⁵⁾ وقوله: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾⁽⁶⁾. فكلها ألفاظ تدل على البسط والتوسع والامتداد في المساحة.

4- بينا سابقا أن بعض الألفاظ تميل إلى الترادف في المعنى العام وأخذنا على سبيل المثال لا الحصر لفظي "دحاها" و"طحاها"، حيث استنتجنا أن لفظ "الدحو" يتميز بمعنى "التكوير" الذي لم نجده في "الطحو" وهذا الأخير يدل أيضا على "الارتفاع" الذي لا وجود له في دلالات "الدحو".

وهذا يبين لنا أن ظاهرة الترادف التام بين الألفاظ غير واردة فلكل لفظ دلالة خاصة تميزه عن غيره وتجعله يتناسب مع سياق دون آخر.

5- لاحظنا كذلك أن بعض الدلالات الصوتية للألفاظ القرآنية تؤيد وتوافق الحقيقة العلمية كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوْسِيَ شَمِخْتٍ﴾⁽⁷⁾ فالمد في لفظ «شامخات» باعتباره حرفا من حروف اللين يدل على إرتفاع وعلو الجبال الشاهقات.

1- النازعات الآية30.

2- نوح الآية19.

3- الشمس الآية6.

4- الغاشية الآية20.

5- الحجر الآية19.

6- البقرة الآية22.

7- المرسلات، الآية27.

- 6- كما وجدنا للمشترك اللفظي في القرآن الكريم مكانا من خلال « التصادم » الظاهر في قوله تعالى: ﴿ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾⁽¹⁾ فيمكن حمل لفظ «أدنى» بمعنى أقرب وبمعنى أخفض (أبعد) أي: أقرب منطقة إلى بلاد الشام وأخفضها (أبعدها) عن سطح الأرض وفي العالم كله وهذه الحقيقة القرآنية المعجزة أثبتتها العلم حديثا بالمشاهد المصورة*.
- 7- كثير من الآيات كان المفسرون القدماء يرونها تتحدث عن أهوال يوم القيامة فقط كما في قوله تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴾⁽²⁾ مستدلين على ذلك من السياق المتقدم لقوله: ﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ﴾⁽³⁾ إلا أن المفسرين المحدثين استدلوا بالسياق المتأخر لقوله تعالى: ﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾⁽⁴⁾.
- 8- وفي مقام آخر استعمل القرآن الكريم لفظ (البحرين) للدلالة مرة على البحرين الملحيين(المالحة) على التثنية ومرة أخرى مرادا به البحر الملح الأجاج والبحر العذب الفرات(النهر). وهذا ما اكتشفه العلم حديثا بالصور الحقيقية لإظهار عملية اختلاط مياه النهر بمياه البحر مع عدم امتزاجهما، فكل منهما يحتفظ بخصائصه التكوينية وثوراته الحيوانية والنباتية المتأقلمة معه.

1- الروم، الآية 3.

* - ينظر: الملحق رقم1(ألفاظ الأرض)، ص194.

2- النمل، الآية88.

3- النمل، الآية 87.

4- النمل، الآية88.

9- يشير القرآن الكريم الى الحقيقة العلمية بأسلوب فني مُعجّز في عدد من الآيات ويصور لنا الظاهرة العلمية بالطرق البلاغية المعروفة لدى العلماء مثل: التشبيه والإستعارة، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾⁽¹⁾ وجاءت على سبيل الإستعارة المكنية

فالتذلل من صفات الكائن الحي، وقوله أيضا: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾⁽²⁾ وذلك على سبيل التشبيه البليغ، فكل صفة من صفات الأرض والجبال وكذا البحار جسدها الله عز وجل بصورة بلاغية مُعجّزة لا تتصف بها إلا الكائنات الحية، وهذا ليدل به على حركية ونشاط الجمادات أيضا.

ولهذا فإن الهدف المرجو من هذه الدراسة بأكملها هو تحديد المدلولات المتعددة للفظ القرآني، وذلك ضمن سياقات مختلفة تهدف كلها إلى تحديد المعاني المؤتلفة والمختلفة للفظ القرآني عموما والألفاظ التي تصور لنا تاريخ نشأة الكون خصوصا وتحديدًا "كوكب الأرض" وما يتفرع عنه من ظواهر تضاريسية متنوعة كالجبال والبحار.

والهدف الأساس من هذا كله هو تحديد دلالة كل لفظ في السياق الذي ورد فيه لاكتشاف سر اختيار الخطاب القرآني للفظ دون آخر، وكذا إجلاء العلاقة الكامنة بين الإعجاز البلاغي البياني للفظ والإعجاز العلمي، وذلك للربط بين دقة اللفظ القرآني في معناه وروعه في مبناه.

ولهذا ندعو الله السّداد والثبات في عملنا المتواضع لنحظى بالفوز والنجاة وحسن الثواب فما كان من صواب فبفضل من الله تعالى وتوفيقه، وأما ما كان من خطأ وزلل فمن أنفسنا والشيطان وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

1- الملك، الآية 15.

2- البقرة الآية 22.

قائمة المصادر
والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1- المصادر والمراجع:

- 1- إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د- ط)، 1984.
- 2- ابن عاشور (محمد الطاهر)، تفسير التحرير والتنوير، دار التونسية للنشر، تونس (د- ط)، 1984.
- 3- ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي)، تفسير القرآن العظيم، مكتبة دار الفيحاء، دمشق، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1994.
- 4- ابن يعيش (موفق الدين)، شرح المفصل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبّي، القاهرة (د- ط)، (د- ت).
- 5- أبو حيان الأندلسي (محمد بن يوسف)، تفسير البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 6- أحمد شامية، خصائص العربية والإعجاز القرآني (في نظرية عبد القاهر الجرجاني اللغوية)، سلسلة المعرفة ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، (د- ط) 1995.
- 7- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
- 8- أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين النظرية والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات بيروت، ط1، 1993.
- 9- الباقلاني (أبو بكر محمد بن الطيب)، (403هـ)، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر دار المعارف، القاهرة، ط5، (د- ت).
- 10- البيضاوي (أبو سعيد بن عمر محمد)، تفسير البيضاوي المسمى: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988.

- 11- التهانوي(محمد علي الفاروقي)، كشف اصطلاحات الفنون، دار الكتاب العربي مصر، (د- ط)، 1969.
- 12- الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، تقديم: نهاد نور الدين جرد منشورات وزارة الثقافة، سوريا، (د- ط)، 2001.
- 13- الجرجاني(علي بن محمد الشريف)، التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة 1990.
- 14- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل بيروت لبنان، (د- ط)، 1408هـ- 1988م.
- 15- الزمخشري(أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد)، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن حجازي، مكتبة العبيكانالرياض، ط1، 1418هـ- 1998م.
- 16- السعدي(عبد الرحمن بن ناصر)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان مراجعة: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار أضواء البيان، الرياض، (د- ط)، 1427هـ- 2006م.
- 17- السيوطي(جلال الدين)، الإتقان في علوم القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط1، 1422هـ- 2001م.
- 18- الشريف عدنان، من علوم الأرض القرآنية(الثوابت العلمية في القرآن الكريم)، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط2، 1994.
- 19- الطبري(محمد بن جرير)، تفسير الطبري(جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001.
- 20- المعلم بطرس البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت لبنان، (د- ط)، 1878.
- 21- النيسابوري(أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي)، أسباب النزول، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجيل، بيروت، طبعة جديدة، 2001م.

- 22- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، القاهرة، ط3، 1998.
- 23- جودة حسن جودة وفتحي محمد أبو عيانه، قواعد الجغرافيا العامة الطبيعية والبشرية دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط)، 1406هـ- 1986.
- 24- جيمس نرفيل، الحقائق العلمية، ترجمة: مروان أبو الذهب وآخرين، طرابلس لبنان ط1، 1996.
- 25- حسن سيد أحمد أبو العينين، كوكب الأرض (ظواهره التضاريسية الكبرى)، دار النهضة العربية، بيروت، (د-ط)، (د-ت).
- 26- حميد مجول النعيمي، الكون وأسراره في آيات القرآن الكريم، الدار العربية للعلوم لبنان، ط1، 2000.
- 27- رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة والمعجم، دار غريب، القاهرة، (د-ط) 2001.
- 28- زغلول راغب محمد النجار، تأملات في كتاب الله، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة ط1، 2008.
- 29- زكريا هميمي، الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1 2002.
- 30- سميح عاطف الزين، تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مجمع البيان الحديث، دار الكتاب اللبناني، لبنان، ط2، 1404هـ- 1984.
- 31- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط7، 1398هـ- 1978م.
- 32- شاهر جمال آغا، الأرض في القرآن الكريم، دار الكتاب الثقافي، الأردن، (د-ط) 1426هـ- 2005م.
- 33- شايب أحمد، أسرار الكون، دار شريفي، الجزائر، (د-ط)، 2008.
- 34- شوقي أبو خليل، أطلس القرآن، دار الفكر، سوريا، (د-ط)، 2001.
- 35- صلاح الدين زرال، الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري، الدار العربية للعلوم، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.

- 36- طنطاوي محمد دراز، في أصول اللغة، مكتبة نهضة الشرق، جامعة القاهرة، (د- ط) 1985.
- 37- عبد الحليم محمد قنيس، معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية، مكتبة لبنان (د- ط)، 1987.
- 38- عبد الحميد العلمي، مسالك الدلالة بين اللغويين والأصوليين، مطبعة أنفوبرينت المغرب، ط1، 2000.
- 39- عبد العزيز طريح شرف، جغرافية البحار، مركز الإسكندرية للكتاب، (د- ط) 2008.
- 40- عدنان محمد زرزور، علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، دار الإعلام، الأردن ط1، 1426هـ- 2005م.
- 41- علي عبد الله الدفاع، أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1985.
- 42- فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، (د- ط)، (د- ت).
- 43- ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، (د- ط) 1998.
- 44- ماهر أحمد الصوفي، آيات العلوم الأرضية وفق المعطيات العصرية، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.
- 45- محمد رشاد الحمزاوي، من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط1، 1986.
- 46- محمد سليمان ياقوت، علم الجمال اللغوي (المعاني، البيان، البديع)، دار المعرفة الجامعية، مصر، (د- ط)، 1995.
- 47- محمد صبري محسوب، جيومرفولوجية الأشكال الأرضية، دار الفكر العربي القاهرة ط1، 1997.

- 48- محمد الغزالي، كيف نتعامل مع القرآن، قراءة: عمر عبيد حسنة، دار الانتفاضة للنشر، الجزائر، (د-ط)، (د-ت).
- 49- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار الجيل، (د-ط)، 2001.
- 50- محمد مبارك، أسرار اللغة وخصائص العربية، دار الفكر، ط7، 1981.
- 51- مسلم(بن الحجاج القشيري النيسابوري)، صحيح مسلم، (PDF)، تاريخ التسجيل: 2008\01\22.
- 52- مصطفى الدباغ، وجوه من الإعجاز القرآني، مكتبة المنار، الأردن، ط2، (د-ت).
- 53- مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مراجعة: درويش الجويدي المكتبة العصرية، بيروت، (د-ط)، 1429هـ- 2008م.
- 54- منصور محمد حسب النبي، الكون والإعجاز العلمي للقرآن، دار الفكر العربي القاهرة، ط2، 1991.
- 55- نور الدين أبو لحية، محمد(صلى الله عليه وسلم) والمعجزات العلمية في القرآن الكريم، دار الكتاب الحديث، القاهرة، (د-ط)، 1430هـ- 2009م.

2- المعاجم:

- 56- ابن سيده (أبي الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي)، المخصص، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، (د-ط)، (د-ت).
- 57- ابن فارس(أبي الحسن أحمد بن زكريا) مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار إحياء الكتب العربية، (د-ط)، (د-ت).
- 58- ابن منظور(جمال الدين أبو الفضل)، (630- 711هـ):
- لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت 1995.
- لسان العرب، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3 (د-ت).

- لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي دار المعارف، القاهرة، طبعة 1 جديدة ومنقحة، (د-ت).

59- الزمخشري(أبي القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد) (467- 538هـ):

- أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط1 1419هـ- 1998م.

60- السمين الحلبي(أحمد بن يوسف بن عبد الدائم)، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ(معجم لغوي لألفاظ القرآن الكريم)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ- 1996م. 14

61- الفيروزآبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب)، (769- 617هـ):

- القاموس المحيط، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، (د-ط)، 2011.

- القاموس المحيط، مراجعة: محمد الإسكندراني، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان(د-ط) 1432هـ- 2011م.

62- القلبي(موسى بن محمد بن موسى بن يوسف)، معجم الألفاظ القرآنية ومعانيها(التحفة القلبيّة في حلّ الألفاظ القرآنية)، تحقيق: محمد محمد داود، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1 1424هـ- 2002.

63- محمد منير الدمشقي، معجم آيات القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط3، (د-ت).

3- الأطروحات الجامعية:

- أطروحات الدكتوراه:

- 1- الجوادي مرداسي، ألفاظ الكون في القرآن الكريم، دراسة دلالية للألفاظ الدالة على الجمادات، دكتوراه الدولة في علم اللغة، إشراف: عبد الله بوخلخال، 2003-2004.
- 2- عبد الرزاق عبيد، الحقول الدلالية في المعاجم العربية - فقه اللغة للثعالبي- (أنموذجا) دكتوراه الدولة في علم المعاجم، إشراف: سالم العلوي، 2005-2006.
- 3- فاطمة ولد حسين هيشور، صفات المرأة المادية والمعنوية في القرآن الكريم(دراسة دلالية)، دكتوراه في اللسانيات، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، 2008-2009.

- أطروحات الماجستير:

- 1- عبد الحميد بوكعباش، الاتجاه العلمي لتفسير القرآن الكريم في العصور الحديثة، رسالة لنيل درجة الماجستير، إشراف: مصطفى الشكعة، كلية الآداب، جامعة عين شمس القاهرة 1409هـ-1989م.
- 2- عزيز عدمان، سورة الفرقان، (دراسة أسلوبية)، رسالة ماجستير، إشراف: الأخضر جمعي، 1994\1995.
- 3- محمد الأمين خويلد، المستويات الدلالية في اللغة العربية وأبرز مظاهرها ابن جني من خلال(الخصائص)، رسالة ماجستير(فرع الدراسات اللغوية النظرية)، إشراف: محمد العيد رتيمة، جامعة الجزائر، 2000-2001.

4- الدوريات والمجلات:

- مجلة قضايا وآراء:

- زغلول راغب محمد النجار:

1- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، 14 ذوالقعدة 1422 هـ
28 يناير 2002، العدد: 42056-126، رقم (32).

2- من أسرار القرآن الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية والبحر
المسجور، الإثنين 9 شوال 1422 هـ 24 ديسمبر 2001، ع: 126-42021 رقم (27).

3- الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الإثنين 29 ربيع الأول 1423 هـ 10 يونيو 2002 ع:
126-42189، من أسرار القرآن (الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها
العلمية)، رقم (51).

4- من أسرار القرآن: الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، العدد:
126-42063، ط 1422-2002، رقم (33).

5- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، 19 شعبان 1422 هـ 5
نوفمبر 2001، العدد: 41972-126، رقم (25).

6- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، 26 شعبان 1422 هـ
12 نوفمبر 2001 العدد: 41979-126، رقم (26).

7- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، 5 شوال 1423 هـ 9
ديسمبر 2002، رقم (73).

8- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية، 26 شعبان 1422 هـ
12 نوفمبر 2001، العدد: 41979-126، رقم (27).

9- الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها، الاثنين 28 ذوالقعدة 1422 هـ
11 فبراير 2002، العدد 42070-126، رقم (34).

10- زغلول النجار، الإشارات الكونية في القرآن الكريم ومغزى دلالتها العلمية
23 شوال 1422 هـ 7 يناير 2002، العدد 42035-126، رقم (29).



فهرس
الموضوعات

| الصفحة | العنوان |
|--------|--|
| أ- و | مقدمة: |
| 16 -1 | مدخل: |
| 8 -1 | 1- علم الدلالة : |
| 1 | أ- الدلالة لغة |
| 1 | ب- الدلالة اصطلاحا |
| 2 | 1- 2- الدلالة عند اللغويين القدامى |
| 4-3 | 1- 3- أقسام الدلالة |
| 4 | 1- 4- علم الدلالة عند الغربيين |
| 5 | 1- 5- تعريف علم الدلالة |
| 8 -6 | 1- 6- مستويات التحليل اللغوي |
| 16 -9 | 2- التفسير العلمي وعلاقته بالإعجاز العلمي: |
| 12 -9 | 2- 1- التفسير العلمي للقرآن الكريم |
| 16 -12 | 2- 2- الإعجاز العلمي للقرآن الكريم |

| | |
|---------|--|
| 36 -17 | الفصل الأول: المدونة |
| 28 -17 | - المبحث الأول: الحقل الدلالي العام للفظ الأرض |
| 36 -29 | - المبحث الثاني: الحقل الدلالي الفرعي للفظي الجبال والبحار |
| 122 -37 | الفصل الثاني: الدراسة الدلالية لألفاظ الحقل الدلالي العام(لفظ الأرض) |
| 43 -37 | - المبحث الأول: دلالة لفظ الأرض واشتقاقاته |
| 41 -37 | 1- الأرض لغة واصطلاحا |
| 43 -42 | 2- اشتقاقات لفظ الأرض |
| 134 -44 | - المبحث الثاني: الدراسة الدلالية للفظ الأرض |
| 47 -44 | 1- دحو(دحاها) |
| 53 -48 | 2- طحو(طحاها) |
| 57 -53 | 3- مد(مددناها، مدت) |
| 62 -57 | 4- فرش(فارشا، فرشناها) |
| 66 -62 | 5- مهد(مهءا، مهءاء، الماهءون) |
| 70 -66 | 6- بسط(بساطا) |
| 73 -70 | 7- سطح(سُطحت) |
| 78 -74 | 8- قرر(قرارا) |
| 83 -78 | 9- مُستقر |

| | |
|----------|--------------------------------|
| 87 -83 | 10- ذلل(ذلولاً) |
| 91 -87 | 11- كفت(كفاتاً) |
| 94 -91 | 12- خشع(خاشعة) |
| 98 -95 | 13- همد(هامدة) |
| 102 -98 | 14- جرز(جرزا) |
| 106 -102 | 15- أدنى الأرض |
| 111 -106 | 16- نقص الأرض من أطرافها |
| 116 -112 | 17- شق(تنشق، تشقق، شققنا، شقا) |
| 122 -116 | 18- صدع(الصدع) |

173 -123 **الفصل الثالث: الدراسة الدلالية لألفاظ الحقل الدلالي الفرعي**
(لفظي الجبال والبحار)

| | |
|----------|--|
| 151 -123 | المبحث الأول: الدراسة الدلالية لفظ الجبال |
| 140 -125 | أ- أشكال الجبال: |
| 127 -125 | 1- وتد(أوتادا) |
| 133 -128 | 2- رسى(أرساه، رواسي) |
| 136 -133 | 3- شمخ(شامخات) |
| 140 -137 | 4- نصب(نصبت) |

| | |
|----------|--|
| 146 -140 | ب- ألوان الجبال: |
| 141 -140 | 1- جدد |
| 146 -141 | 2- غرابيب سود |
| 151 -146 | ج- حركة الجبال: |
| 151 -146 | 1- سير(تسير، سيراء، سيرت، جامدة، تمر) |
| 173 -152 | المبحث الثاني: الدراسة الدلالية للفظ البحار |
| 160 -155 | 1- سجر(المسجور، سجرت) |
| 163 -160 | 2- فجر(فجرت) |
| 165 -163 | 3- مرج |
| 173 -166 | 4- برزخ، حجر، حجز(برزخا، حجرا محجورا، حاجزا) |
| 178 -174 | الخاتمة |
| 186 -179 | قائمة المصادر والمراجع |
| 190 -187 | فهرس الموضوعات |
| 211 -191 | الملاحق |

الملاحق

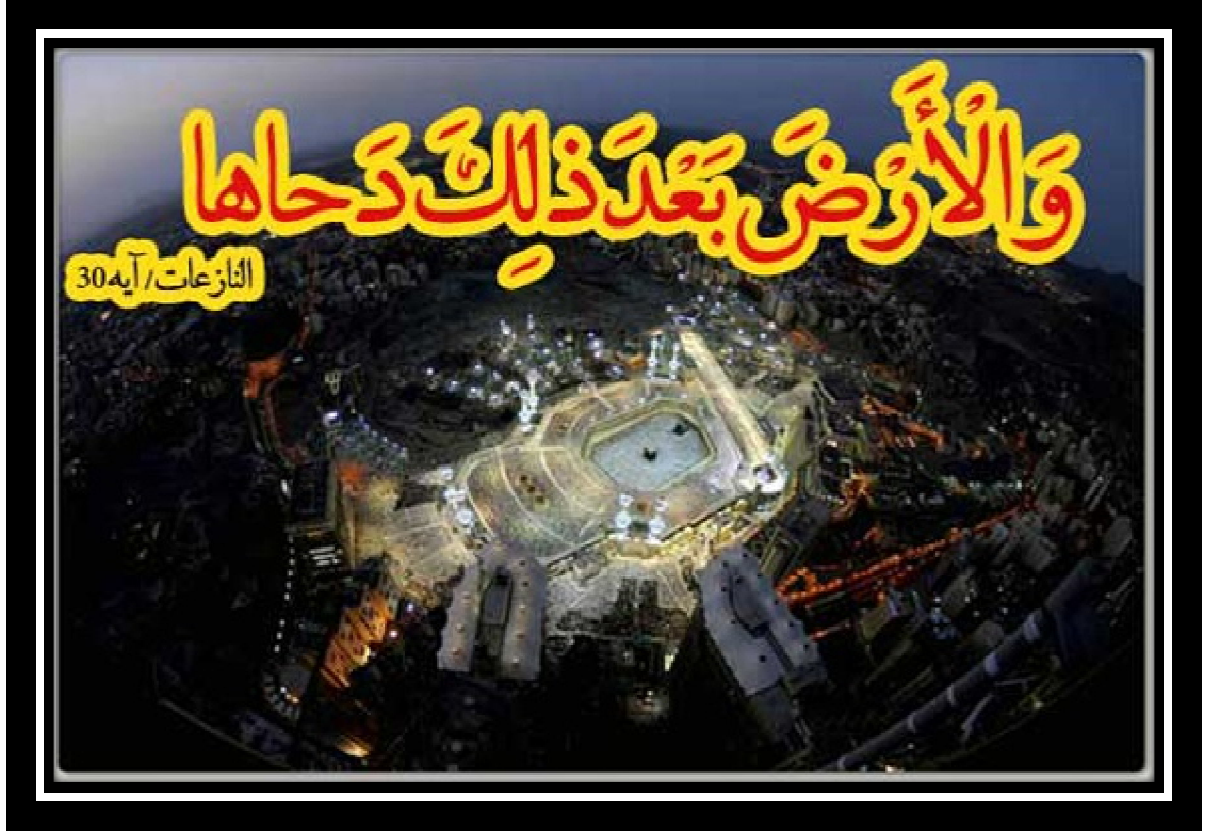
الملحق رقم: 1
ألفاظ الأرض

الملحق رقم: 2

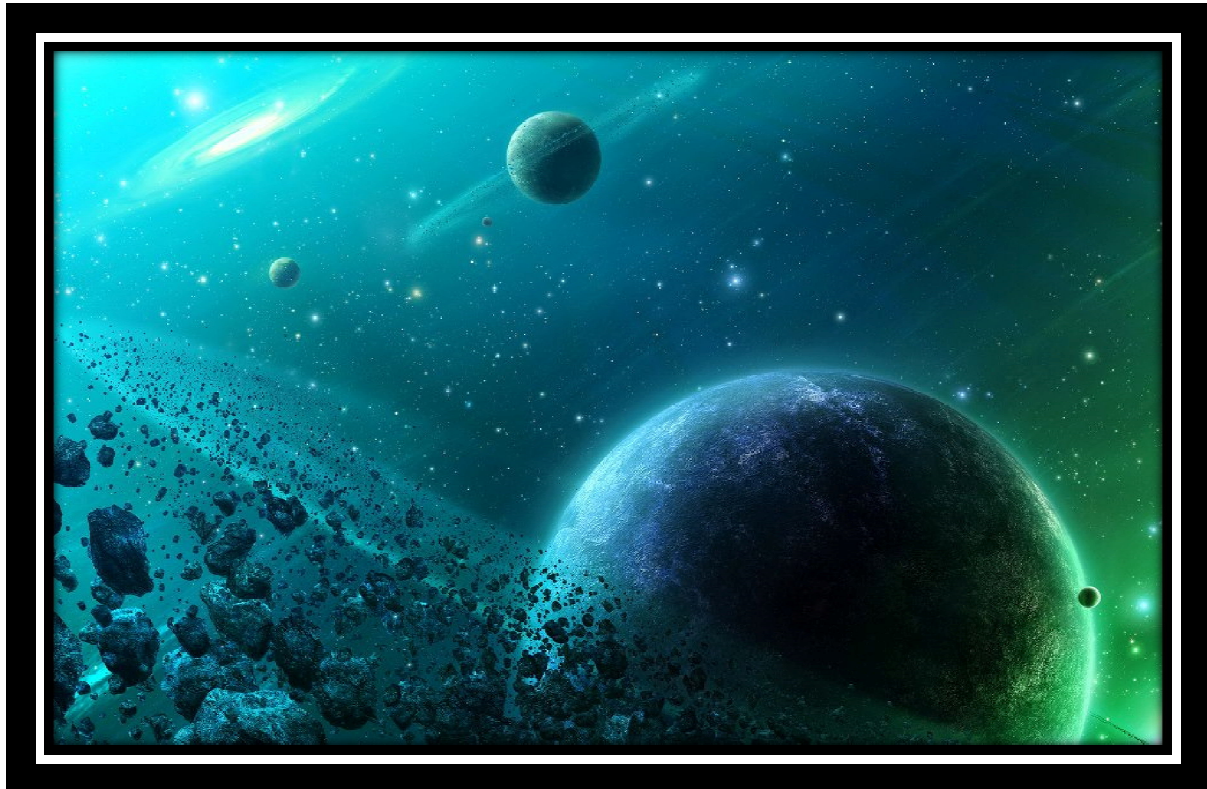
ألفاظ الجبال

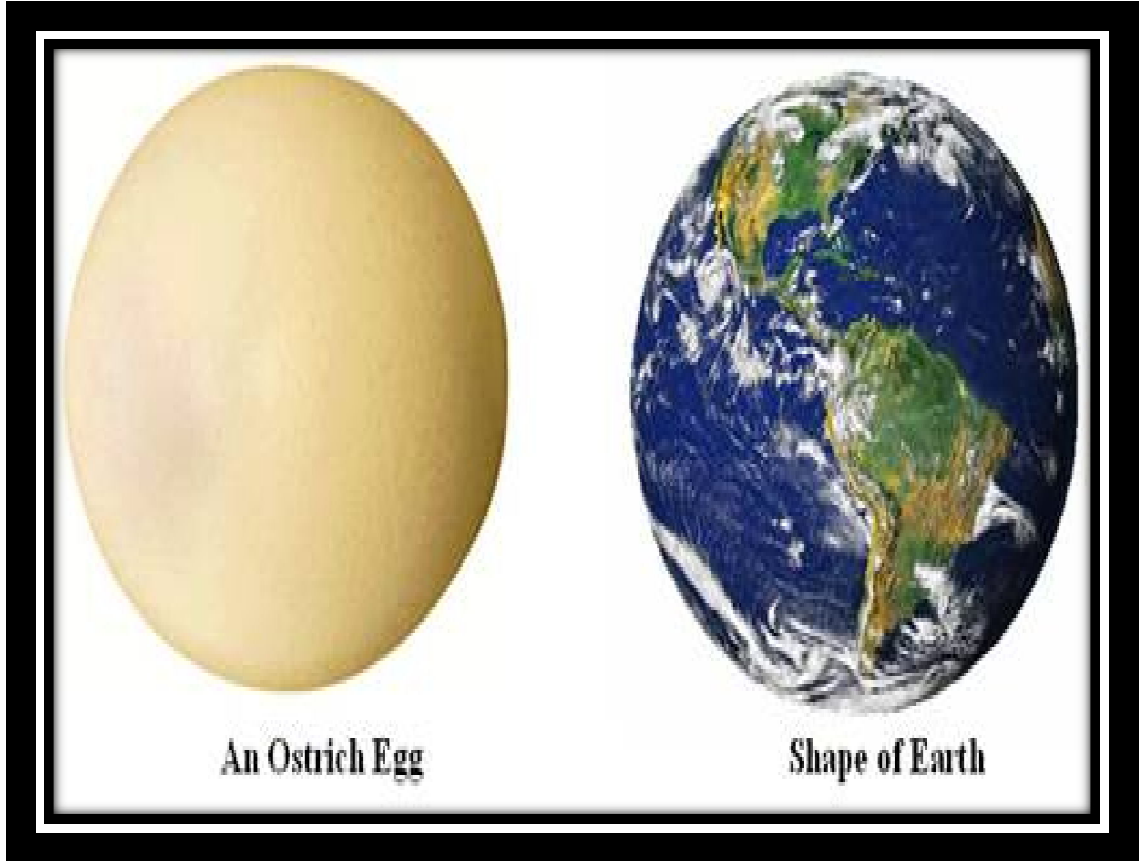
الملحق رقم: 3

ألفاظ البحار



- نَحُو الْأَرْضَ وَطَحَوْهَا -





- الاكتشافات العلمية الأولى لكروية الأرض والتي شُبِّهت فيها ببيضة النعام (الدُّحية) -



- اكتشاف العلماء أنّ الأرض ليست كروية تماما بل كروية مُسطّحة في قطبيها الشمالي والجنوبي، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾





قال تعالى :

﴿ ألم * غلبت الروم * في أدنى الأرض *
 وهم من بعد غلبهم سيغلبون * في بضع سنين لله
 الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون *
 ينتصر الله ينتصر من يشاء وهو العزيز الرحيم ﴾

(الروم ، ١-٥)



،

﴿ الأرض التي ، غلبت فيها الروم ﴾

trakeed
ma-ds.com



- خريطة توضح أخفض بقعة في العالم والتي تقع في البحر الميت-





- نلاحظ في هذه الصور انخفاض مستوى سطح البحر عن الأرض، والذي لا يتواجد إلا بمنطقة واحدة وهي الأرض الواقعة بين شرقي الأردن وفلسطين-

صدع الأرض



والأرض ذات الصدع

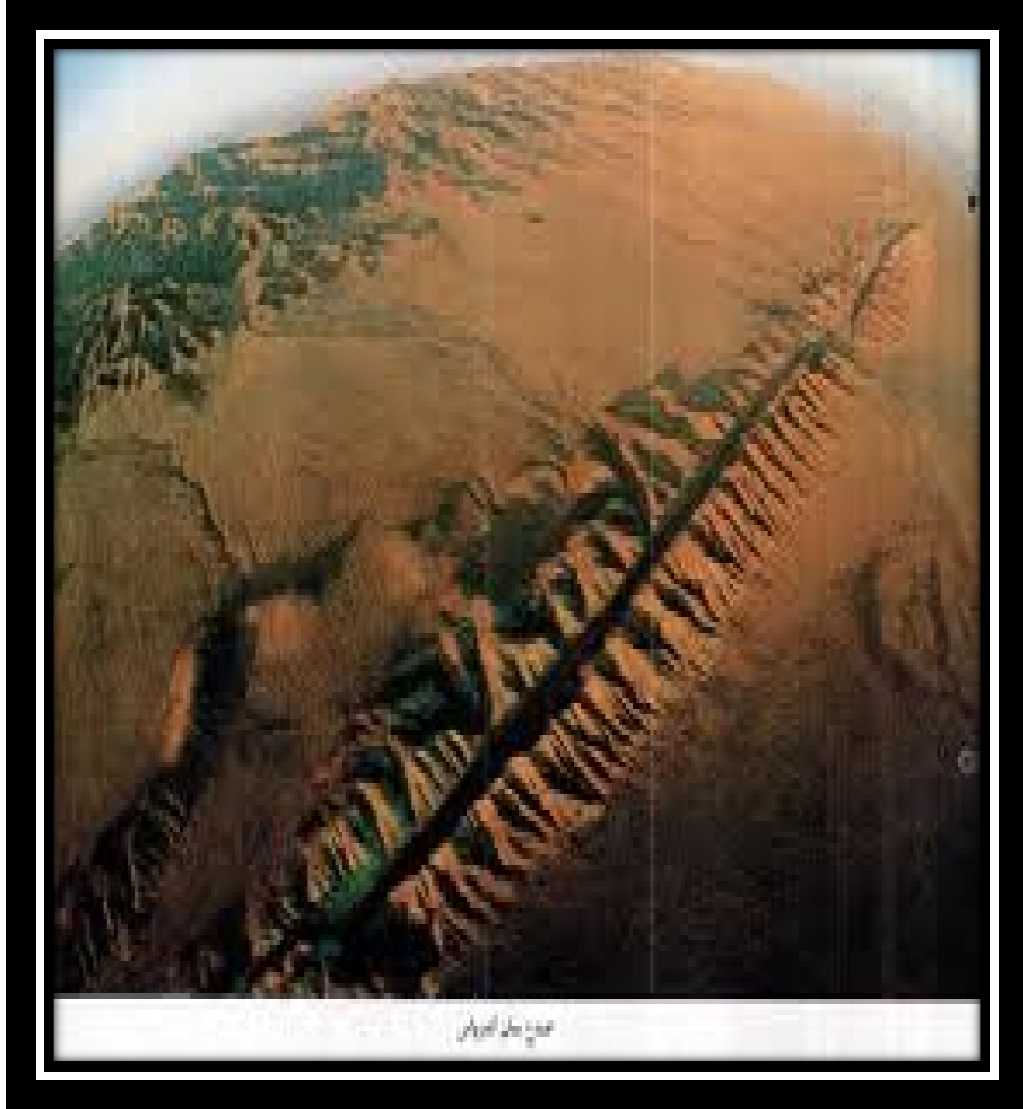
(الطابق ١٢)

شق ناري في قاع المحيط الأطلسي تنبعث منه مواد ملتهبة تخرج من باطن الأرض

- الصُّدُوعُ التي تتسبب فيها البراكين والزلازل تجعل الأرض تُخرج من باطنها الملايين من المواد الملهبة، حتى من قاع البحار والمحيطات وهذا ما يتجسد في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾.



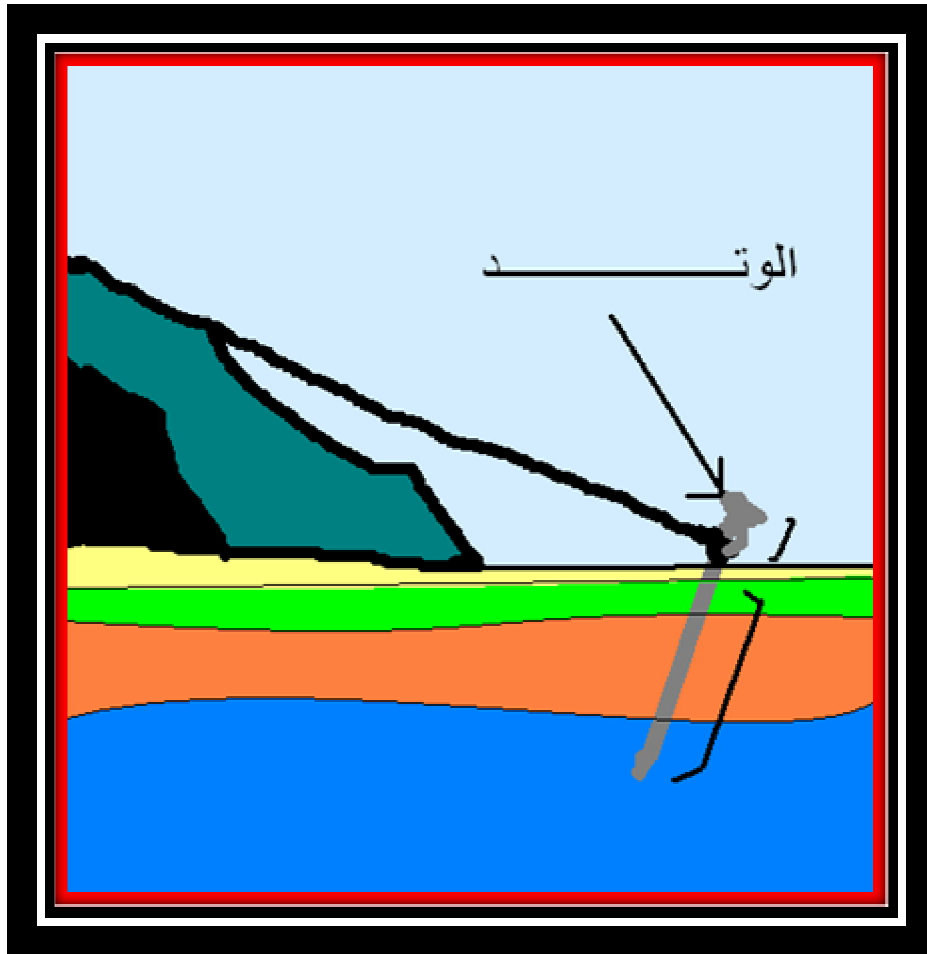
- صُدوع عميقة في الطبقات الأولى للقشرة الأرضية تؤدي إلى تشكل سلاسل جبلية مختلفة الأشكال -

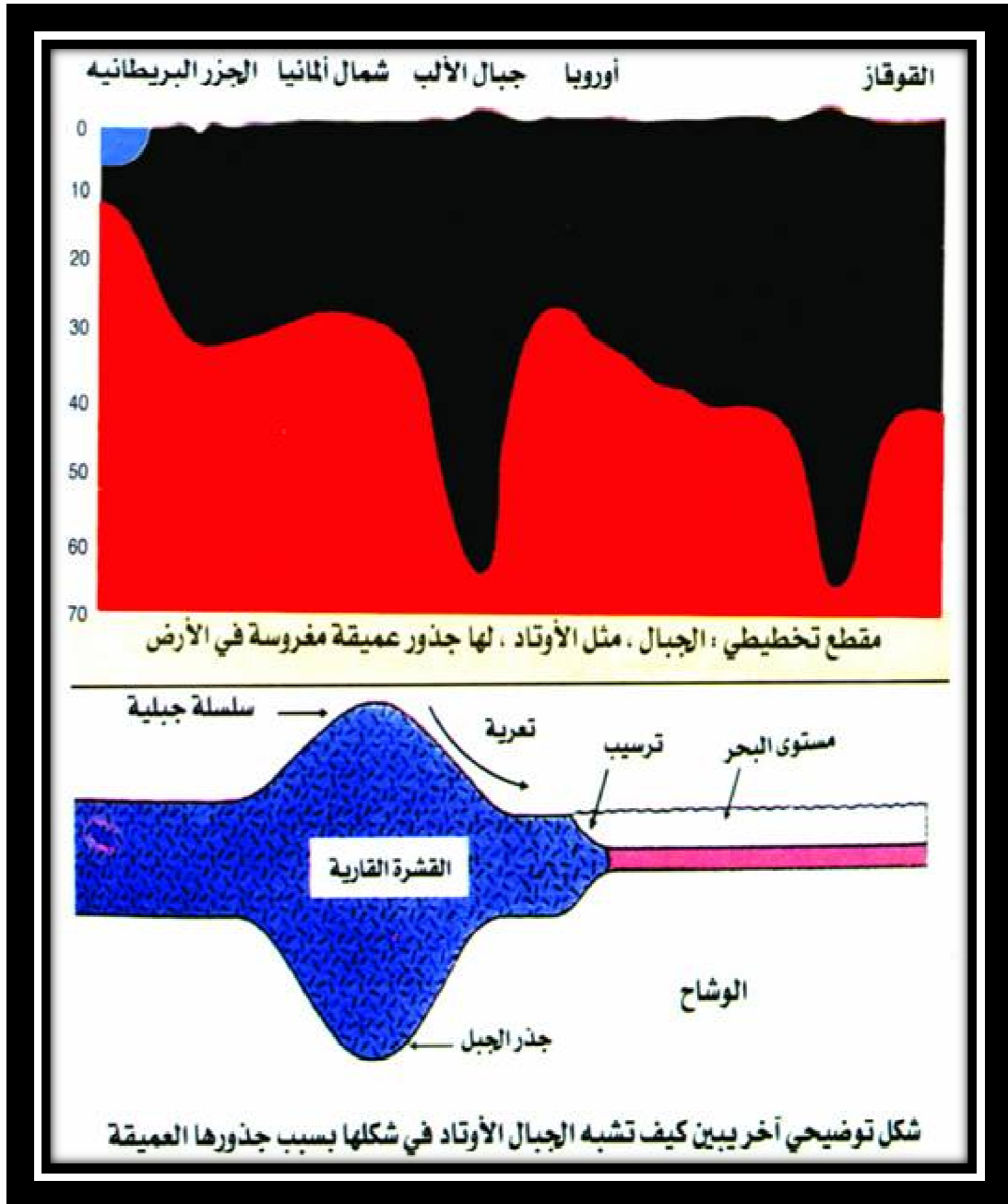


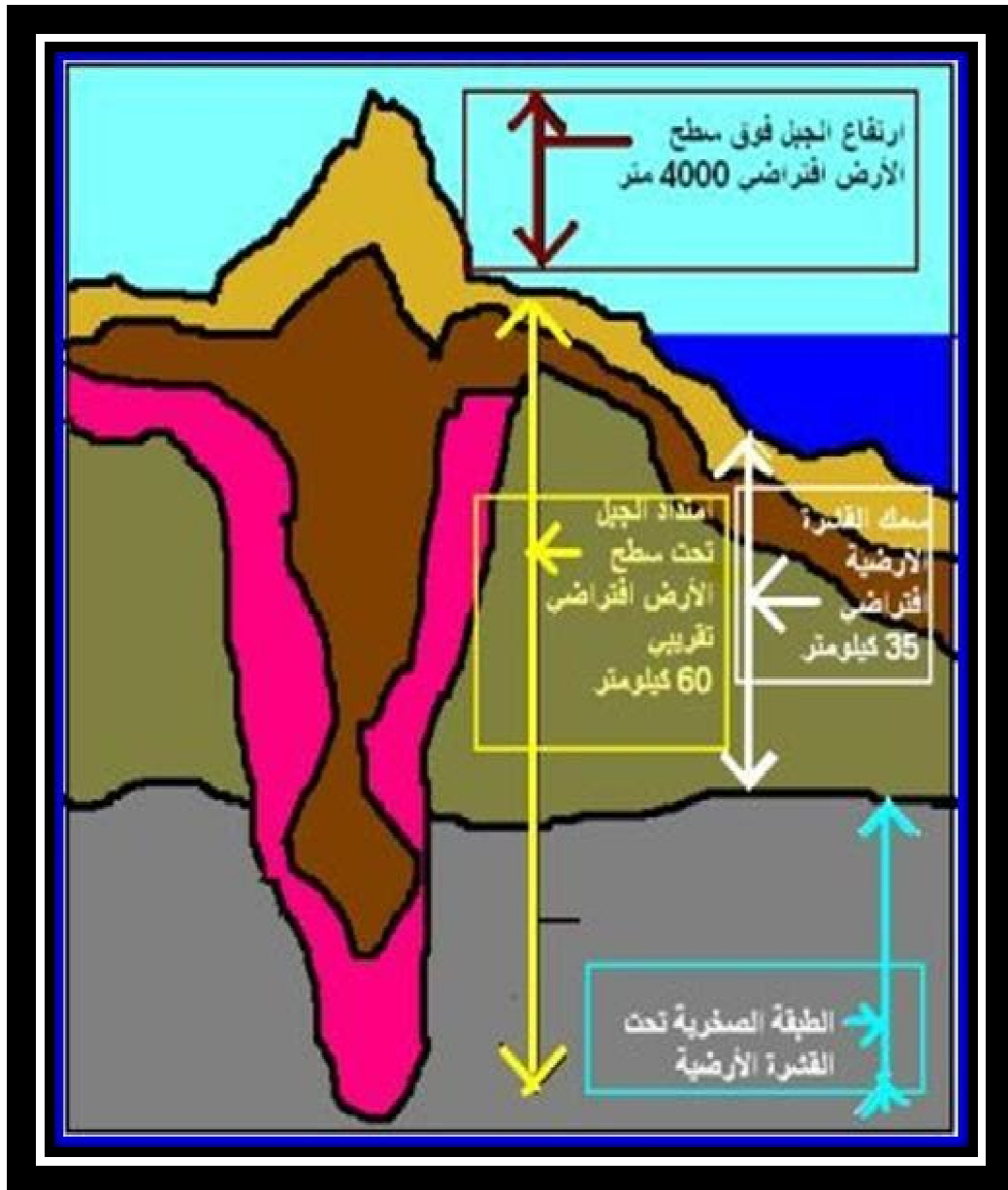
- نلاحظ في الصورة أنه صدع واحد ولكن تفرعت عنه عدة صدوع، وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدَعِ﴾.

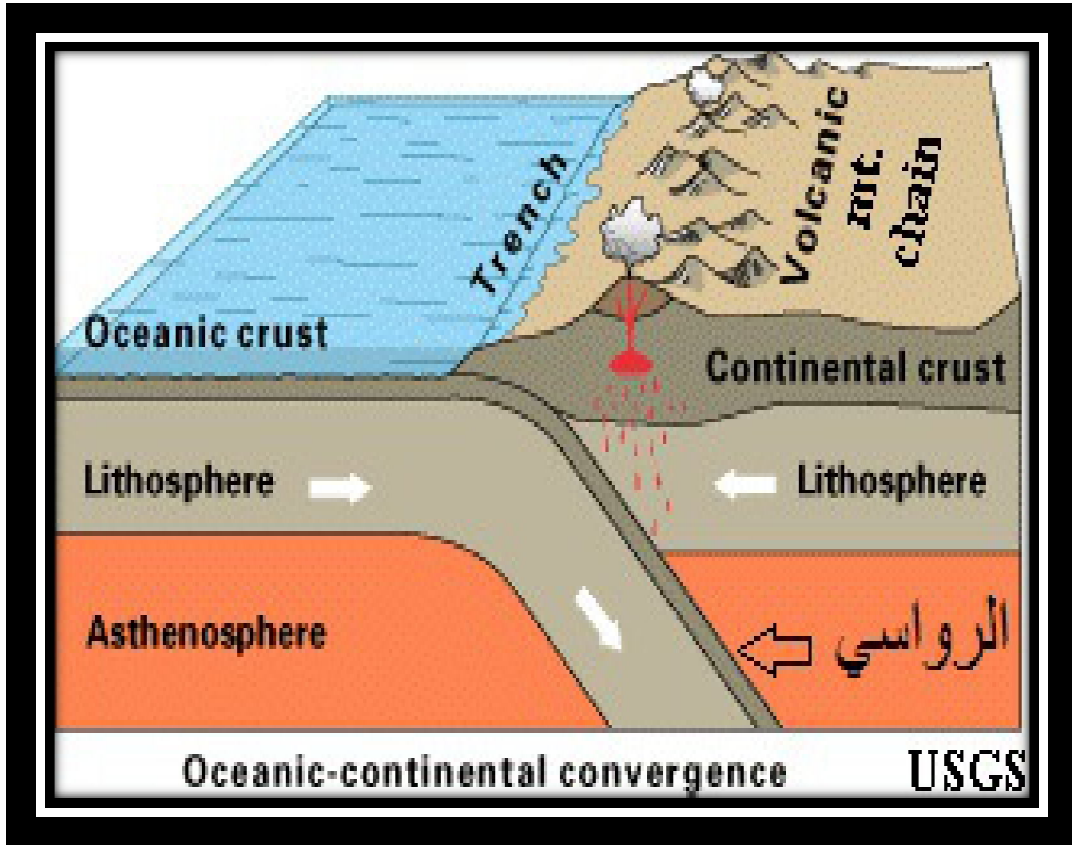


- تشبيه الله تعالى للجبال التي تُثبَّت الأرض أثناء ترئُحها بالأوتاد التي تُثبَّت الخيمة في وجه الزوابع القوية-



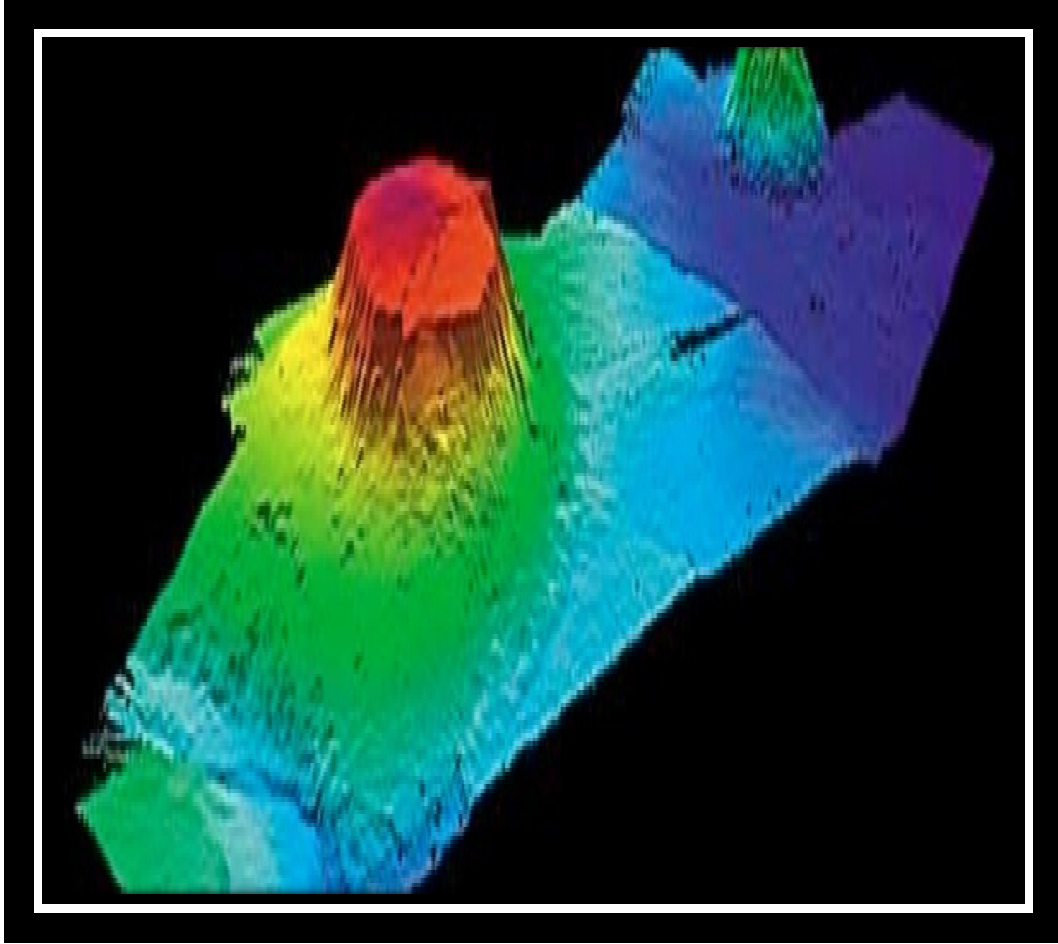






قال تعالى:

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾

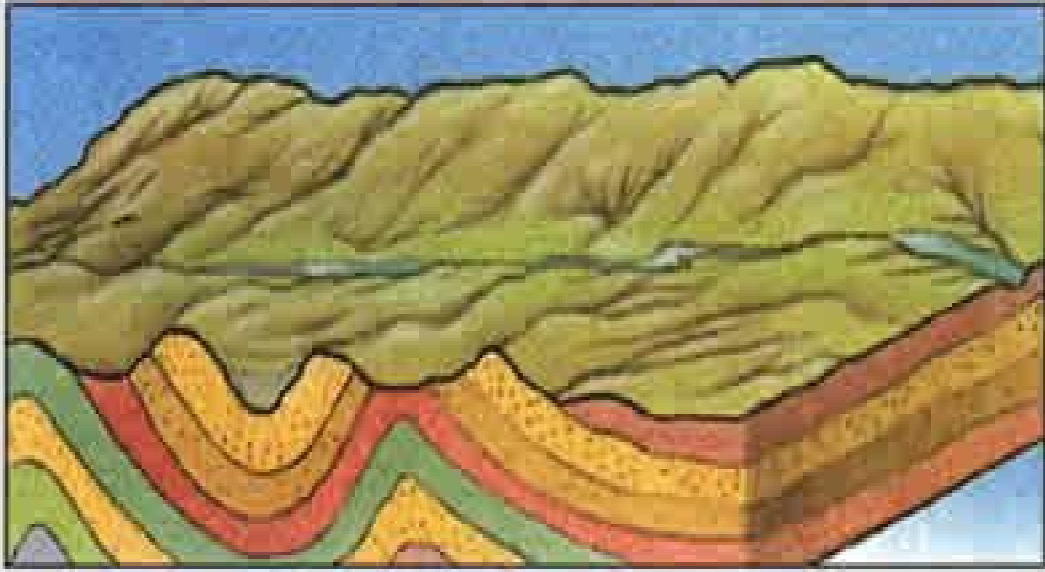


- الصورة تشير إلى كيفية نُصَبَ الجبال على سطح الأرض، وهذا بعد إشارة القرآن الكريم لكيفية تغلغل جذورها في أعماقها كالأوتاد -

لقلوه تعالى: ﴿وَالِىَ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

الشكل الرقم (٨٥)

الجبال الالتوائية



تتكون من تصادم قطاعات من القشرة الأرضية مع بعضها، ويؤدي هذا التصادم إلى تجعد طبقات الصخور في القشرة وطبيها، وغالباً ما يؤدي هذا إلى نشوء وتشكل نمط شبيه بالموجات

- هذه الصورة تفسر علاقة دلالة تصدع الأرض بتكوّن السلاسل الجبلية -



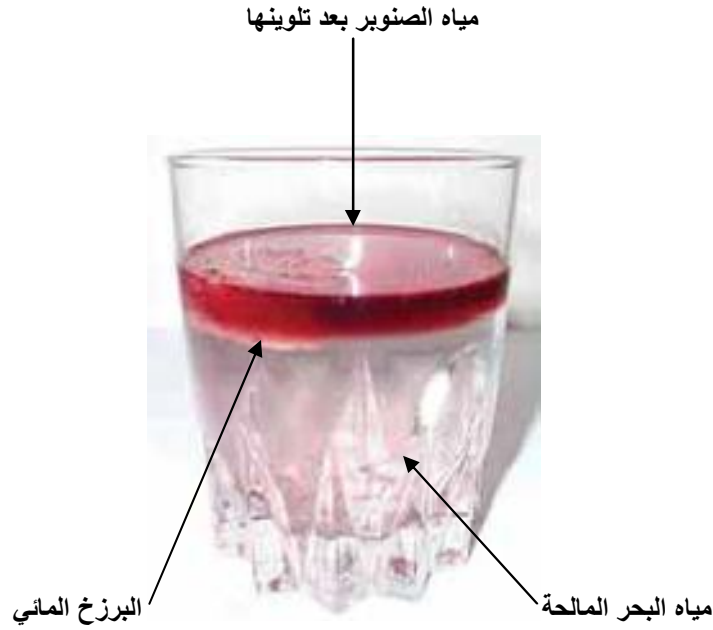
- مشهد يوضح معنى لفظ "تَسْجِيرُ" البحار بالنار الموقدة والملتهبة وتفجيرها وهاتين الداليتين لهما علاقة وطيدة بدلالة "زوال البرزخ" الذي يمنع امتزاج البحر المالح بالعذب، وكذلك بدلالة "تَصَدُّع" الأرض-





قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾

وقال أيضا: ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾



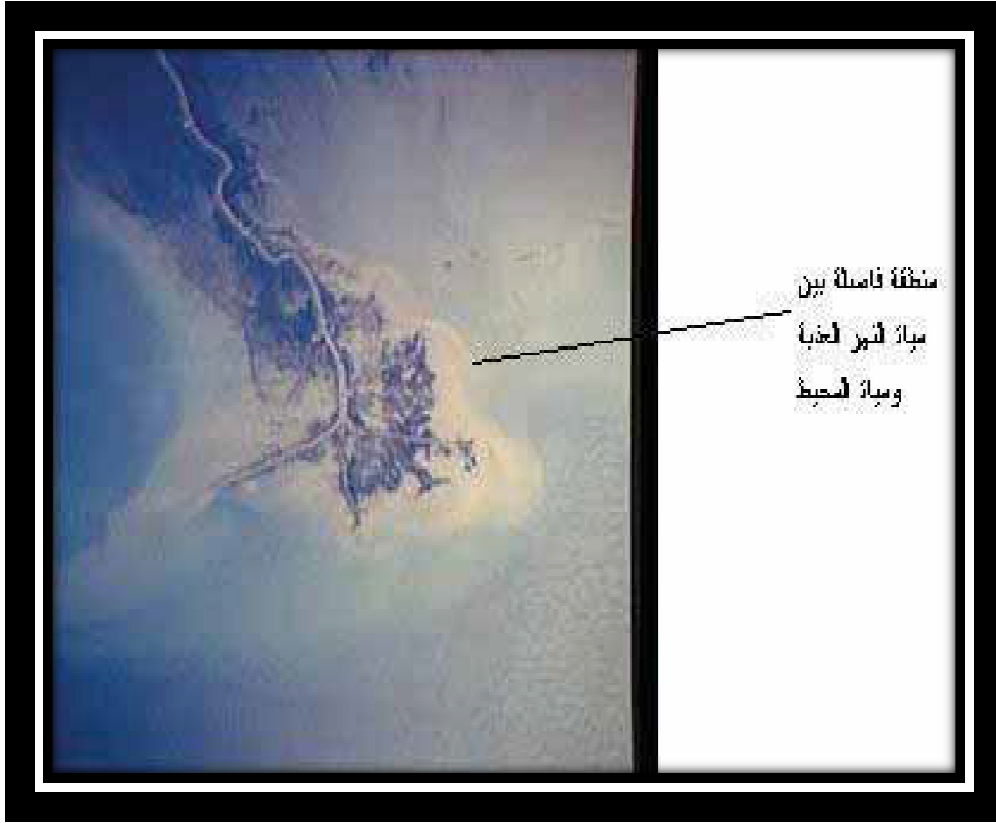
الشكل رقم (1):

صورة توضح بجلاء وببساطة علمية معنى مرج البحرين وأنهما لا يبغيان.



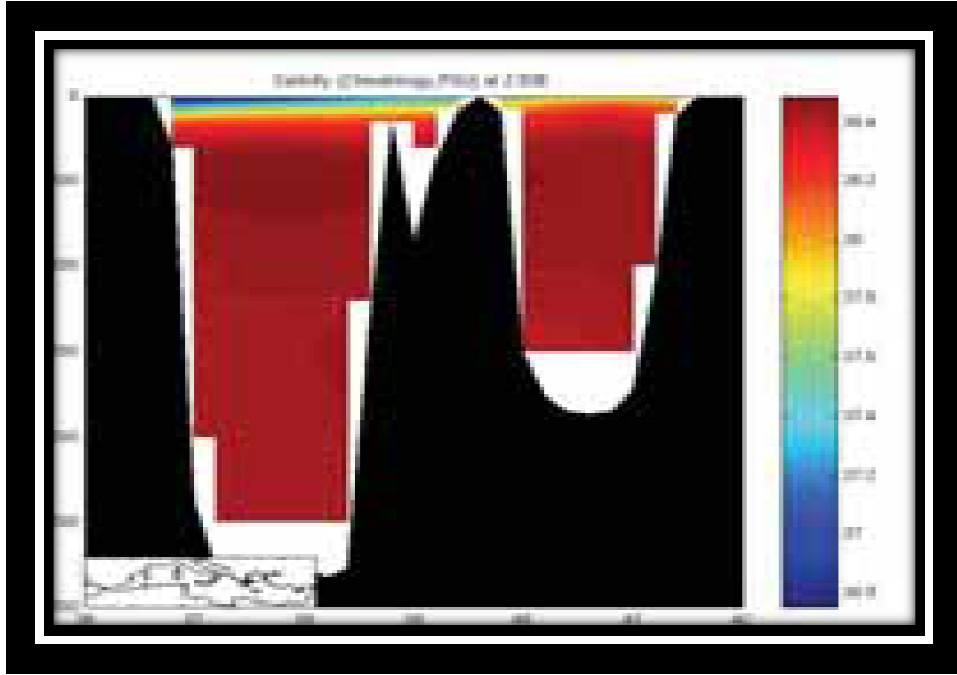
الشكل رقم (2):

صورة مأخوذة بواسطة أحد الأقمار الصناعية توضح منطقة الحاجز الأرضي المائي عند مصب نهر النيل والتقائه بمياه البحر الأبيض المتوسط (منطقة دلتا "نهر النيل" ناحية المصب وتظهر في الصورة منطقة البرزخ المائي).



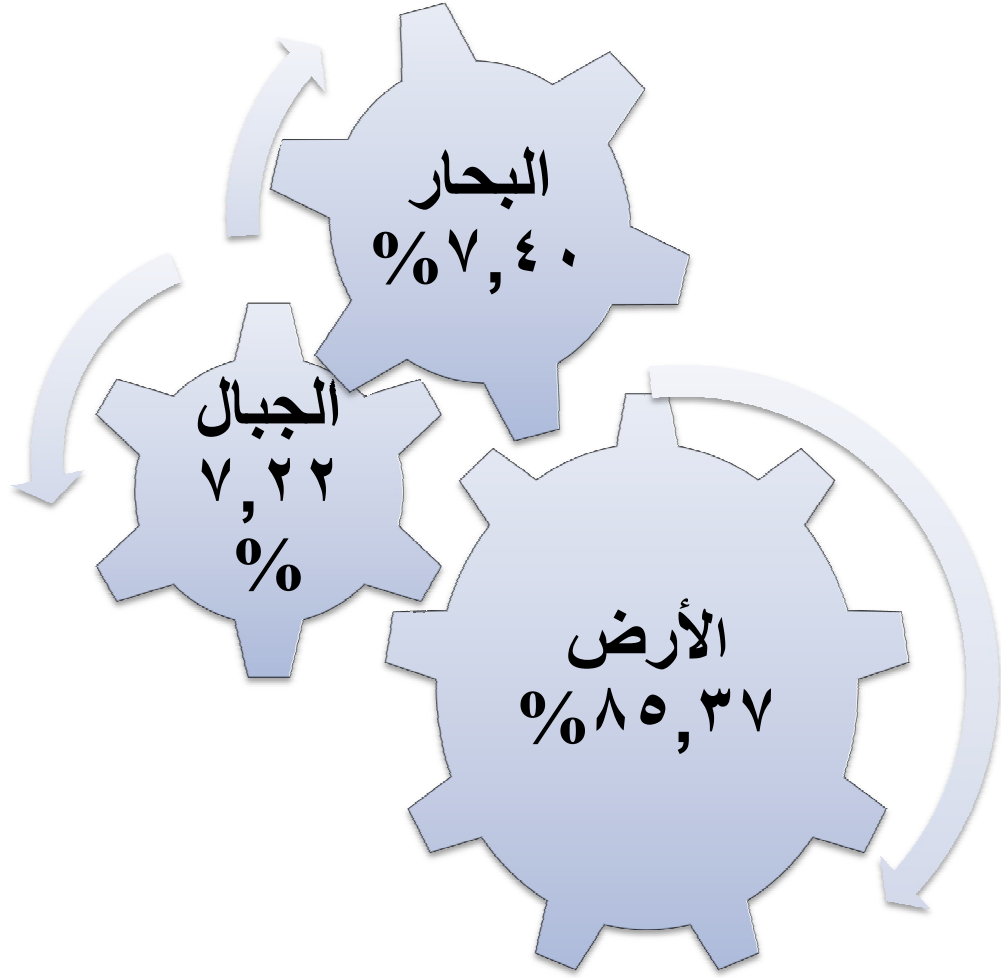
الشكل رقم (3):

صورة توضح بجلاء ظاهرة وجود الحاجز المائي في منطقة مصب نهر الميسسبي عند نقطة التقائه بالمحيط.



الشكل رقم (4):

رسم توضيحي لنسبة الملوحة مع عمق المياه في عدة مناطق بالبحر الأبيض المتوسط توضح الصورتين مدى الاختلاف في نسب الملوحة بين الموقعين، فما بالكم والحال كذلك مع مياه المحيطات ومصبات الأنهار.



- يمثل الشكل السابق نسبة تكرار ألفاظ الأرض والجبال والبحار في القرآن الكريم ونلاحظ أن نسبة ورود ألفاظ الأرض في القرآن كبيرة جدا وهذا يدل على أهميتها وعظمتها بالمقارنة مع الظواهر الطبيعية الأخرى-